

المهاد

بين الزرع والحصد

مكتبة
الشيخ محمد تقي فلسفي

ترجمة
عبد الحسين الداعي

الجزء الأول

مكتبات
مؤسسة الأمل للطباعة
بغداد - لبنان

المعاد

بين الروح والجسد

تأليف

الشيخ محمد قنقري فلسفي

ترجمة

عبد الحسين الكاشي

الجزء الأول

منشورات

مؤسسة الأُعلى للطبوعات

بيروت - لبنان

ص. ب. : ٧١٢٠

الطبعة الأولى
جميع حقوق الطبع والترجمة والإقتباس محفوظة للناسر
١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م

PUBLISHED BY
Al Alami Library

BEIRUT - LEBANON
P.O. BOX 7120

مؤسسة الأعلمي للطبوعات :
ببيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة .

ملك الاعلمي . ص.ب. ٧١٢٠
الهاتف : ٨٣٣٤٤٧ - ٨٣٣٤٥٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المحاضرة الأولى

دعوة الأنبياء والإيمان بيوم المعاد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١) .

إن الاعتقاد بيوم الجزاء يشكل ركناً أساسياً في الإسلام وأحد المبادئ الإعتقادية الذي لا يقبل الجدل، وهناك الكثير من الآيات في القرآن الكريم والأحاديث النبوية وأحاديث الأئمة المعصومين عليهم السلام حول المعاد ويوم الجزاء .

إن الذي لا يؤمن بيوم الجزاء ليس بمسلم ولا يمكن اعتباره من المؤمنين بالقرآن والتابعين له . فالمسلم الحقيقي يعتبر يوم الجزاء وعد الله الحق أوحى به (سبحانه وتعالى) إلى نبيه الأكرم عليه السلام حيث لا يخلف الله وعده .

إذن فيوم القيامة آت لا ريب فيه ، وفي ذلك اليوم يُنصب ميزان العدل الإلهي حيث يُحضر الناس للحساب ، عندها ينال الخيرون من ذوي الأعمال الصالحة أجرهم ويلقى الفاسقون عقابهم .

فالإنسان مهما كان دينه والمبدأ الذي يعتنقه يخضع بصورة تلقائية لتعاليم هذا الدين أو المبدأ ونظرتيه إلى الإنسان والكون ، ويصبح فكر هذا الإنسان مطابقاً لتعاليم الدين الذي يؤمن به ، ويبدأ

(١) سورة غافر ، الآية : ٥٩ .

بالتفكير في إطار مبادئ هذا الدين وتكون تصوراتهِ ونظرتهِ إلى الكون والإنسان وفقاً لنظريات المدرسة العقائدية التي ينتمي إليها . ومثل هذا الإنسان ينظر إلى الكون بكل عظمتهِ وكيفية نشوئه وتكوينهِ من منظار نفس تلك المدرسة . وكذلك نظرتهِ إلى الإنسان والقيم الإنسانية فإنها تكون في إطار النظرة الشمولية لهذا المبدأ أو الدين الذي يعتنقه لكل ما هو موجود في هذا العالم . كما أنه يطابق أعمالهِ وتصرفاتهِ الحسنة والسيئة مع المعايير التي تضعها المدرسة العقائدية التي يؤمن بها .

وخلاصة القول أن أتباع أي دين من الأديان لهم نظرة تتناسب وتتفق مع الدين أو العقيدة التي يؤمنون بها ، كما أن نظرتهم إلى الكون وإلى عالم الوجود تكون متطابقة مع نظرة هذا الدين إلى هذا الكون .

مقارنة بين الإسلام والمدارس المادية:

ومن أجل إلقاء مزيد من الضوء على هذا الموضوع نقوم فيما يلي بالمقارنة بين المدارس المادية والإسلام من حيث نظرة كل منهما إلى الإنسان والكون ونستعرض بالتالي مدى تأثير هاتين المدرستين الإسلامية والمادية على أسلوب وطريقة تفكير أتباع كلتا المدرستين ، لكي يتضح لنا مدى ما يسببه هذا الاختلاف في نظرة المدارس الفكرية المختلفة إلى الإنسان والكون من تباين في أفكار ومعتقدات أتباع هاتين المدرستين .

خلق الأشياء بقدر:

١ - المدرسة المادية ترى بأن نشوء العالم وظهور الإنسان هما ظاهرة مادية مائة في المائة حدثت بطريق الصدفة نتيجة عوامل طبيعية وتفاعلات مختلفة حيث لا دخل لأية قوة غير مادية في حدوث هذه الظاهرة، وأن العوامل الطبيعية والمادية وحدها هي التي لعبت دورها في حدوث هذه الظاهرة كمّاً ونوعاً .

أما المدرسة الإسلامية أو الدين الإسلامي فهو يرى بأن هذا الوجود لا يقتصر على المادّة والموجودات المادية التي هي جزء من عالم الوجود، والجزء الآخر من هذا الوجود يتجاوز حدود المادّة وبالتالي فهو ما وراء الظواهر المادية .

كما أن الإسلام يقول بأن هذا الكون والوجود بكل ما يحتويه من المخلوقات المادية هو مستمد من الله المجرد من المادّة والمنزّه من كل نقص ومن كل الجوانب المادية . فالله هو الذي خلق الكون بقدرته الأبدية الأزلية وأوجد الظواهر الكونية بحكمة ووفق حسابات دقيقة وهو الذي يقول في محكم كتابه ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾^(١) .

٢ - المدرسة المادية ترى بأن الكون والإنسان هما ظاهرتان نشأتا دون هدف، وأن وجود الكون والإنسان لم يكن وفق خطة وضعها خالق عالم وحكيم بل أن الكون برمته والإنسان أوجدتهما الطبيعة التي لا تعي ولا تفكر ولا تشعر دون هدف محدد واضح، حيث نشأ هذا الكون وهذا العالم بشكله الحالي نتيجة عوامل كثيرة لم تكن في الحسبان .

قصور فكر الإنسان:

أما الإسلام فيقول : إن صنع الله الحكيم ليس فيه لغو ولا عبث، فالله (سبحانه وتعالى) لم يخلق أي شيء عبثاً وبدون هدف . وإذا كان الإنسان عاجزاً عن معرفة سرّ خلق بعض الموجودات في هذا الكون فلأن فكره قاصر عن إدراك واستيعاب حقائق الكون ، وعلمه ناقص ومعرفته سطحية غير عميقة ، حيث يقول الله في محكم كتابه: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ * مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢) .

الشاعر بالفارسية يقول ما معناه^(٣) :

لا تتصور يا صاحبي بأن السماء الزرقاء وحركة الأجرام السماوية ودوران الشمس والقمر والكواكب الأخرى ، لا تتصور كل هذا عبثاً ومجرد لعبة لا طائل منها ، فحركة المجرات والكواكب هي أشبه ما تكون بستارة السينما أو المسرح

(١) سورة القمر ، الآية : ٤٩ .

(٢) سورة الدخان ، الآيتان : ٣٨ و ٣٩ .

(٣) هذه الآيات الشعرية موجودة في الصفحة ٤ من النسخة الفارسية .

(مسرح الدمى)، حيث أن هذه الدمى تتحرك أمام المشاهدين الذين لا يرون الخيوط التي تتحرك بواسطتها هذه الدمى، كما أنهم لا يرون اليد التي تتحرك هذه الخيوط وهذه الدمى . أي أن اليد التي تسيّر هذا الكون بما فيه هي الله (سبحانه وتعالى) الذي يمسك بزمام كل شيء في هذا الكون .

نظرة الإسلام والمدارس المادية إلى الإنسان:

٣ - أصحاب المدرسة المادية ينظرون إلى الإنسان كظاهرة ذات بعد أو جانب واحد وهم يرون بأن الإنسان لا يخرج عن نطاق المادة وخصائصها وآثارها فأعضاء الإنسان وجوارحه وقواه الظاهرية وقدراته الباطنية وعقله وذكائه وجميع نشاطاته وحركاته وسكناته والأعمال التي تقوم بها أعضاء الجسم الداخلية كلها مادية ناجمة عن تفاعلات المادة . ويقول أصحاب المبدأ المادي بأن تفكير الإنسان هو أيضاً ناجم عن عوامل مادية موجودة في المخ، حيث اتخذت هذه العوامل المادية طابعاً معنوياً . أمّا الإسلام فيرى أن الإنسان يتكون من بعدين مادي ومعنوي . فالإنسان له بعد مادي لأنه يشكل إحدى الظواهر الطبيعية وهو مخلوق من العناصر الموجودة في عالم الطبيعة .

وهناك العديد من الآيات القرآنية التي تتحدث عن البعد المادي للإنسان وأن الله خلق الإنسان من تراب ومن صلصال كالفخار وآيات أخرى تؤكد بأن الإنسان مخلوق من المادة وهذه المادة هي التراب أو الطين أو الصلصال أو من حمٍ مسنون أو من النطفة .

الإنسان مخلوق ذو بعدين:

ولكن نظراً لأن الإنسان بحد ذاته في داخله نفخة من روح الله ﴿... ونفخنا فيه من روحنا﴾ ويتضمن قيماً معنوية تؤهله لحمل الأمانة والمسؤولية الإلهية كما تؤهله لكي يكون خليفة الله في هذه الأرض ، فإنه أصبح ذا بعد معنوي وروحي . والقرآن الكريم أشار في العديد من الآيات إلى هذه النقطة حيث أكد وجود البعد المعنوي الروحاني في الإنسان إلى جانب ما يحظى

به من بعد مادّي . يقول القرآن الكريم ﴿ . . . وبدأ خلق الإنسان من طين * ثم جعل نسله من سُلالة من ماء مهين * ثم سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ . . . ﴾^(١) أي أن الله بدأ خلق الإنسان من التراب ثم جعل نسل البشر كامناً في المني الذي هو ماء قدر، ثم جعل هذا الإنسان متوازناً ومعتدلاً في أرحام النساء حيث نفخ فيه من روحه .

٤ - أتباع المذاهب المادية الذين يعتبرون الإنسان مخلوقاً من مادة جاهلة لا تفقه شيئاً ونتيجة تظافر عدة عوامل بطريقة الصدفة ، هؤلاء يعتقدون بأن الإنسان مثله كمثّل سائر الحيوانات والحشرات ظهر إلى عالم الوجود بطريقة الصدفة نتيجة سلسلة من الحوادث الطبيعية التي لم تكن متوقعة . ويقول هؤلاء الماديون بأن الذي أوجد الإنسان لم يكن على علم ودراية بما قام به ، ولم يكن لديه أي دافع أو هدف من خلق الإنسان كما أن الإنسان لا يتحمّل أية مسؤولية تجاه خالقه .

الإنسان مخلوق على أساس حكمة خاصة وهدف معين:

أما أتباع المدرسة الإسلامية الذين يعتبرون أنفسهم مخلوقين من قبل الله ، فيرون بأن هذا الخالق الحكيم خلق الإنسان على أساس حكمة خاصة وهدف معين ، وأنه منح هذا الإنسان قوة التفكير والعقل والذكاء وجعله موحداً يعبد رباً واحداً بفطرته ، وأعطاه كذلك الوجدان والضمير الأخلاقي ومزايا وصفات قيمة أخرى تساعده على بناء ذاته وإيصالها إلى أعلى درجات التكامل الإنساني ، كما وضع له تشريعات تجعله يميز بين طريق الحق وطريق الباطل ، وفي نفس الوقت تركه حراً في اختيار الطريق الذي يقوده إلى التكامل المعنوي الإنساني أو يؤدي به إلى الانحطاط والهاوية .

مسؤولية الإنسان أمام الله:

وقد ذكر الله الإنسان بالمسؤولية الملقاة على عاتقه وخاطبه بالقول : «إنك

(١) سورة السجدة ، الآيات : ٧ - ٩ .

أيها الإنسان لم تخلق عبثاً، وإنك مسؤول أمام خالقك الذي سوف يحاسبك على جميع أعمالك» .

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾^(١) .

٥ - أتباع المدرسة المادية يعتقدون بأن حياة الإنسان كحياة سائر الحيوانات تقتصر على هذه الدنيا وهذا العالم الدنيوي المادي، وعندما يموت هذا الإنسان بصورة طبيعية أو لأي سبب آخر فإنه يفنى وينتهي بالكامل ولا يبقى منه سوى جسد ميت يتفسخ بعد فترة وجيزة وتعود العناصر المكونة لهذا الجسم إلى دورة الطبيعة مرة أخرى . والقرآن الكريم يشير إلى هذه الفئة المادية التي لا تؤمن بالآخرة :

﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾^(٢) .

بعد الموت يبدأ الإنسان حياة جديدة:

أما أتباع المدرسة الإسلامية الذين ينظرون إلى الإنسان من منطلق واقعي ومنطقي وفي إطار مفاهيم الوحي الإلهي المتمثلة في نصوص القرآن الكريم فإنهم يؤمنون بأن الإنسان عندما يموت تنتهي حياته الجسدية المادية الدنيوية فقط وأما روحه فتبقى وتنتقل بعد الموت إلى عالم آخر وتواصل بقاءها في مقرها ومستقرها الجديد وفي ظل ظروف جديدة .

الفرق بين المذهب المادي والمذهب الإلهي:

هناك اختلاف كبير بين المدارس أو المذاهب المادية والمدارس أو المذاهب الإلهية بشكل عام، والمذاهب التي جاء بها الأنبياء بشكل خاص، وذلك من حيث نظرة كل من هاتين المدرستين إلى الإنسان والكون. ونحن لا نرى ضرورة لشرح هذه الاختلافات بالتفصيل، وأن الهدف من استعراض بعض هذه

(١) سورة القيامة ، الآية : ٣٦ .

(٢) سورة الروم ، الآية : ٧ .

الإختلافات بين المدرستين المادية والإسلامية هو توضيح الإختلافات الأساسية والمبدئية بين هاتين المدرستين، وما تركه نظرة المدرستين المذكورتين إلى الإنسان والكون من تأثيرات متفاوتة على أسلوب تفكير أتباع كل من المذهبين المذكورين .

ولكن هل من الممكن أن يفكر الماديون الذين يعتقدون بأن الكون والإنسان خلقاً ووجدوا بطريق الصدفة من خلال التفاعلات والتحركات اللاإرادية واللاشعورية للمادة ، مثلما يفكر أصحاب المدرسة الإسلامية الذين يؤمنون بأن الله القادر الحكيم خلق الكون والإنسان بوعي وإرادة حكيمة ؟ .

وهل يمكن أن يفكر الذين يعتبرون الإنسان مخلوقاً مادياً بحتاً ويعتقدون أن الهدف من هذه الحياة الدنيوية هو مجرد تحقيق المكاسب المادية وإشباع الغرائز الجسدية واللذات الدنيوية، كما يفكر أتباع العقيدة الإسلامية الإلهية الذين يرون أن للإنسان بعداً معنوياً إلى جانب بعده المادي ، وهذا البعد المعنوي يضم نفحة ربانية ، ويؤمنون بأن الهدف الأساسي من هذه الحياة الدنيا السير في مدارج الكمالات المعنوية وصولاً إلى قمة الكمال الإنساني ؟ .

وهل أن تصرفات ومنطق أولئك الذين ينظرون إلى الإنسان والكون من منظور مادي ويرون أن مصدر وجودهم في هذا العالم هو المادة البحتة والعوامل الطبيعية العرضية العديمة الإرادة والشعور والتي لا حول لها ولا قوة، وبالتالي فهم لا يشعرون بأية مسؤولية تجاه هذه الطبيعة التي أوجدتهم ، هل يمكن أن تكون تصرفات ومنطق هؤلاء كتصرفات ومنطق الذين يؤمنون بوجود خالق حكيم قادر مدبر ويرون أنفسهم مسؤولين أمام خالقهم الذي يرى جميع حسناتهم وسيئاتهم ويعلم ما يخفون وما يعلنون ويحاسبهم جميعاً على أعمالهم يوم الجزاء ؟ .

الإعتقاد أو عدم الإعتقاد بالآخرة:

إذن فإن أسلوب تفكير الشخص المادي يختلف من جهات عديدة عن أسلوب تفكير الشخص الذي يؤمن بالعقيدة الإسلامية ، والقضية الأساسية التي

هي مورد خلاف بين الماديين والإسلاميين هي قضية عالم الآخرة . فالماديون يعتقدون بأن حياة الإنسان تقتصر على هذه الحياة الدنيوية المؤقتة وأن كل إنسان يرى نتائج أعماله مهما كانت في هذه الدنيا وعندما يموت الإنسان ينتهي كل شيء . أما أتباع المدرسة الإسلامية فإنهم يؤمنون بأن الإنسان إذا مات فإنه ينتقل إلى عالم آخر وتبدأ حياته الأبدية حيث سيرى في عالم الآخرة نتائج ما قام به من أعمال حسنة أو سيئة في الدنيا وذلك إلى جانب ما يراه من نتائج أعماله في هذه الدنيا بالذات .

الأسس الإعتقادية لجميع الأديان السماوية:

إن الإعتقاد والإيمان بالمبدأ والمعاد وهو ما تؤكده جميع الأديان السماوية ويؤكدده الأنبياء ، يعتبر ركناً إعتقادياً مهماً في كافة الأديان السماوية . فالأنبياء كانوا يدعون الناس قبل كل شيء إلى الإيمان بالغيب أي الحقائق غير الملموسة التي تقوم عليها الأديان السماوية . ومن أهم هذه الحقائق الغيبية التي تشكل أساس جميع الأديان السماوية الإيمان بالله وبيوم القيامة والمعاد . ولكن هناك أكثر من طريق يوصل الإنسان إلى هذا الهدف وهو الإيمان بالله والمعاد .

طريق الإيمان بالله:

طريق الإيمان بالله موجود في فطرة الإنسان أي أن كل إنسان بفطرته مؤمن بالله وهذا الإيمان ممزوج بذات كل إنسان فهناك في داخل كل إنسان من يناديه ويدعوه إلى الإيمان بالله . كما أن طريق الإيمان بالله يتمثل أيضاً بعقل الإنسان فإذا ما حرّر الشخص فكره وعقله وابتعد عن التعصب والعناد وتمعن في الخلق وفكر ملياً بآيات الله ومخلوقاته التي أوجدها بحكمة ، لتوصل إلى حقيقة أن هذا الكون لا بد له من خالق حكيم عليم وضع هذا النظام المتقن الدقيق لهذا الكون العظيم، وهو الذي يسيّر هذا الكون وفق أصول وقواعد وضعها بعلمه . وإذا ما فكر الإنسان العاقل بهذه الطريقة فإنه سيؤمن بالله بضمير مرتاح وعندها يدرك ويقتنع بأن مثل هذا النظام الكوني العجيب المدهش لا يمكن أن يكون من صنع

الطبيعة التي لا تعي ولا تشعر، ولا يمكن لهذا النظام الكوني أن يكون قد نشأ بصورة تلقائية وبطريق الصدفة .

«جورج هربرت بلوند George Herbert Blunt وهو أستاذ في الفيزياء العملية يقول في هذا المجال : إن مجرد افتراض أن النظام الكوني نشأ بصورة تلقائية نتيجة الفوضى يعتبر استهانة بالعقل والشعور الإنساني . وعلى هذا الأساس فإن الإنسان أو الشخص العاقل المتفكر يصل في النهاية إلى هذه النتيجة وهي أنه لا بد لهذا العالم من خالق ومدبر وبالتالي لا بد لهذا الشخص أن يدعن ويقر بوجود الله ويعتبره أمراً بديهياً ومسلماً به في حياته»^(١) .

وجود خالق لهذا الكون أمر بديهي:

وقد أكد القرآن الكريم على لسان الأنبياء وجود خالق لهذا الكون :

﴿قَالَ رَسُولُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢) .

طريق الإيمان بيوم الجزاء:

إن السبيل للإعتقاد بيوم الجزاء هو الاعتقاد بالوحي وبحقيقة ما أنزله الله على أنبيائه عن طريق الوحي لأن المعاد هو من القضايا الغيبية في الدين ويرتبط بالتالي بالمستقبل المجهول، وأن الإنسان لا يمكنه أن يتيقن من وجود يوم المعاد إلا من خلال الوحي وما يخبرنا به الأنبياء . وعلى هذا الأساس يوجد في كل عصر وزمان أشخاص كثيرون توصلوا إلى حقيقة وجود الله وآمنوا به وذلك من منطلق الفطرة الإنسانية، واستعانوا بعقولهم وتمعنوا في خلق الله وآياته واهتدوا بالنتيجة إلى الخالق الحكيم العليم، وأصبحوا من حيث نظرهم إلى الإنسان والكون في عداد من يعبدون الله ولكن نظراً لأن هؤلاء لم يؤمنوا بالوحي التشريعي وبيعة الأنبياء فإنهم لم يطلعوا على عالم ما بعد الموت ولم يتمكن

(١) إثبات وجود خدا ، صفحة ١٤٧ .

(٢) سورة إبراهيم ، الآية : ١٠ .

من معرفة عالم الآخرة والإيمان بيوم الجزاء والثواب والعقاب الإلهي في ذلك اليوم .

يوم القيامة وما أخبرنا به على لسان الأنبياء:

إن حلول يوم القيامة هو أمر حتمي الوقوع وفقاً لمشیئة الله ، وإن أنبياء الله - وبحكم وظيفتهم الرسالية ومن خلال الوحي الذي كان ينزل عليهم من الله - أبلغوا الناس في كل عصر وزمان بحتمية يوم القيامة وأعلنوا بكل صراحة ووضوح أن ما وعد به الله سوف يتحقق، حيث سيأتي يوم القيامة وسيحاسب الناس على أعمالهم وسيحصل كل إنسان على نتيجة ما قام به من خير أو شر في الدنيا . والقرآن الكريم يحتوي على مئات الآيات حول المعاد ووصف يوم القيامة، وكان الرسول الأكرم ﷺ يتلو هذه الآيات على الناس في كل مناسبة ويطلعهم على الحساب والثواب والعقاب في يوم الجزاء .

المتقين وإيمانهم بالآخرة:

إن درجة اعتقاد الشخص بيوم الجزاء يرتبط بدرجة إيمانه واعتقاده بالوحي والنبوة . فكلما ازداد اعتقاد الفرد وإيمانه بالأنبياء كلما ازداد اعتقاده بيوم القيامة . وفي هذا المجال يستخدم القرآن الكريم عبارة اليقين في وصف المؤمنين الحقيقيين الواثقين والمعتقدين بيوم القيامة : ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾^(١) .

وفي هذا المجال يقول راغب الأصفهاني^(٢) : اليقين من صفة العلم فوق المعرفة والدراية وأخواتها يقال علم يقين ولا يقال معرفة يقين وهو سكون الفهم مع ثبات الحكم^(٣) .

(١) سورة البقرة ، الآية : ٤ .

(٢) أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بـ (راغب الأصفهاني) .

(٣) المفردات في غريب القرآن (باب الياء كلمة يقين) .

الإيمان وترجيح الآخرة على الدنيا:

إن الذين يؤمنون إيماناً كاملاً بالمعاد لا يغفلون عن ذكره في كل الأحوال ومثل هؤلاء لا يقتربون من المعاصي والذنوب، ويجتنبون الملهيات والشهوات اللامشروعة والمخالفة للشرع حتى لا يعاقبوا يوم القيامة ويوم الحساب، وهؤلاء يستقبلون المشاكل والصعوبات بصدر رحب وبطيب خاطر ويضحون بأموالهم وأنفسهم من أجل إعلاء كلمة الحق وتنفيذ ما أمر به الله ، لكي ينالوا أجرهم في الآخرة ويفوزوا برضوان الله . عن النبي ﷺ قال : «لو كنتم توقنون بخير الآخرة وشرها كما توقنون بالدنيا لآثرتم طلب الآخرة»^(١) .

الصالحين من أصحاب البصائر النيرة:

إن الوصول إلى مرحلة الإيمان الكامل والسير باتجاه المدارج العليا لليقين يترك أثراً عميقاً لدى الأفراد الطيبين الصالحين ويزيدهم إدراكاً ووعياً للأمور وينور ضمائرهم ويفتح بصيرتهم حتى يكادوا يكتشفون الحقائق الغيبية ويتعرفون على ما يجهله الآخرون . فهم يشاهدون مراحل ما بعد الموت وما يجري في الآخرة .

وفي وصف هؤلاء يقول الإمام علي عليه السلام : «فكأنما قطعوا الدنيا إلى الآخرة وهم فيها فشهدوا ما وراء ذلك فكأنما أطلعوا عيوب أهل البرزخ في طول الإقامة فيه وحققت القيامة عدايتها فكشفوا غطاء ذلك لأهل الدنيا حتى كأنهم يرون ما لا يرى الناس ويسمعون ما لا يسمعون»^(٢) .

هؤلاء الأشخاص الأفاضل المؤمنين الذين أورد الإمام علي عليه السلام بعضاً من صفاتهم هم أفراد قلائل موجودون في كل عصر وزمان، وغالباً ما يعيشون

(١) مجموعة ورام ، الجزء الأول ، صفحة ١٣٤ .

(٢) نهج البلاغة الخطبة ٢١٣ .

مجهولين لا يعرف الناس عنهم شيئاً، والقليل منهم يظهرون على الساحة في ظروف خاصة فيتعرف عليهم الناس .

حكاية الرسول الأكرم (ص) مع أحد الصالحين:

في أحد الأيام وبينما كان الرسول ﷺ يصلي بالناس صلاة الصبح في أحد المساجد ، وعندما فرغ من الصلاة التفت إلى شاب كان يصلي خلفه وقد اصفر وجهه وبدا عليه التعب من كثرة السهر وبدا عليه أنه لم ينم طوال الليل فقال له الرسول ﷺ: كيف أصبحت يا حارث ؟ فأجابه الشاب : لقد أصبحت وأنا على يقين . فتعجب الرسول ﷺ من كلام الشاب وقال له : إن كل يقين يقترون بالحقيقة فما هي حقيقة يقينك ؟ فقال الشاب : يا رسول الله إن يقيني هو ما دعاني أن أسهر طوال الليل وأتغاضى عن كل المغريات المادية والدنيوية .

«كأنني أنظر إلى عرش ربي قد نُصب للحساب وحُشِرَ الخلائق لذلك وأنا فيهم . وكأنني أنظر إلى أهل الجنة يتنعمون فيها ويتعارفون على الأرائك متكئين وكأنني أنظر إلى أهل النار فيها معذبون ويضطرخون، وكأنني أسمع الآن زفير النار يدور في مسامعي .» فقال رسول الله ﷺ: «هذا عبدٌ نورَ الله قلبه في الإيمان ثم قال: «إلزم ما أنت عليه» فقال الشاب : ادع الله لي يا رسول الله أن أرزق الشهادة معك. فدعا له بذلك، فلم يلبث أن خرج في بعض غزوات النبي ﷺ فاستشهد بعد تسعة نفرٍ وكان هو العاشر^(١) .

رغم أن اعتقاد الفرد بيوم الجزاء وعالم الآخرة نابع من إيمانه بالوحي الإلهي وما أخبرنا به الأنبياء، ولكن إلى جانب ذلك هناك بعض الشواهد والأدلة التي بإمكانها أن تقوي إيمان واعتقاد المؤمنين بالقيامة ويوم الجزاء إذا ما تم الإمعان والتعمق في هذه الشواهد والآيات الظاهرة في هذا الكون .

(١) مشكاة الأنوار ، صفحة ١٤ .

الغرائز وإشباعها:

١ - لقد جعل الخالق الحكيم في ذات كل إنسان وحيوان جملة من الغرائز والشهوات، وكل واحدة من هذه الغرائز لها وظيفة أو مهمة معينة في إدارة حياة الإنسان وتلبية متطلباته الحياتية كفرد مستقل وكعضو في مجتمعه وأن كل واحدة من هذه الغرائز أو الميول الطبيعية في الإنسان والحيوان لم تخلق لغواً وعبثاً . وهنا يجب أن نشير إلى أن جميع هذه الغرائز الإنسانية الموجودة في نظام الخليقة تُشبع وتُرضى نفسها بطريقة ما من خلال الإندفاع الطبيعي للفرد وميوله ورغباته الفطرية الشديدة .

«يقول جون ديوتي : إن العين مشتاقة للنور والأذن مشتاقة للصوت واليد مشتاقة للمس والذراع تبحث عن أشياء يمكنها أن تحصل عليها أو ترميها جانباً والقدم تسعى إلى قطع المسافات والغضب يبحث عن العدو وحب الإستطلاع يبحث عن شيء جديد يكتشفه والعشق يبحث عن المعشوق، وبهذا فإن كل غريزة تبحث عن موضوع يمهد لإشباعها وإرضائها، وإن إنكار أو تجاهل وجود موضوع أو محفز لكل غريزة هو في الحقيقة كتصور وجود مخلوقات أسطورية»^(١) .

غريزة حب الحياة:

إن غريزة حب الحياة والعيش هي من الغرائز الفطرية الموجودة في جميع الحيوانات والإنسان . ومن منطلق هذه الغريزة نرى أن الحيوانات تسعى للمحافظة على نفسها وتجنب كل ما يهدد حياتها بالخطر .

الإنسان وحلم الخلود:

إن الإنسان كسائر الحيوانات عنده غريزة حب الحياة ولكن توجد في طبيعة الإنسان رغبة أو غريزة أخرى لا توجد في الحيوانات وهي حب الخلود في هذه الدنيا . فالإنسان يفكر بحياة خالدة أبدية وهذه ليست رغبة مرحلية مكتسبة ولا

(١) أخلاق وشخصية ، صفحة ١٣٦ .

هي رغبة موجودة في أشخاص معينين دون غيرهم، بل هي رغبة فطرية مخلوقة في ذات الإنسان وتمتد جذورها في جميع أفراد البشر .

رغبة الخلود وحياة الآخرة:

قلنا إن الغرائز لم تخلق عند الإنسان عبثاً وإن كل واحدة من هذه الغرائز والميول الطبيعية يمكن إرضائها وإشباعها بموضوع أو بحالة معينة في هذه الدنيا ، ولكن لا يمكن إرضاء غريزة الخلود لدى الإنسان في هذه الدنيا الفانية والمؤقتة . إذن فإما أن نلغي هذه الغريزة الفطرية من وجود الإنسان ونتجاهلها أو أن نقبل بوجود حياة أبدية خالدة في عالم الآخرة وهو ما أخبر به الله على لسان الأنبياء ، ونذعن بأن الإنسان لا ينتهي بالموت ولا يفنى بل أنه يغير منزله وينتقل من منزل إلى آخر ، فيغادر دار الدنيا الفانية وينتقل إلى دار الآخرة الأبدية وعندها تتحقق رغبته في الحياة الأبدية الخالدة ويتمكن من إرضاء هذه الغريزة . ويرى بعض الفلاسفة والعلماء أن هذه الرغبة الفطرية الممتدة جذورها في داخل كل إنسان هي أقوى دليل على خلود الإنسان في الآخرة .

«عاطفة حب الخلود من أشرف عواطف النفس بل هي العاطفة الكريمة التي تشعر بأنها من طبيعة أرقى من طبيعة هذه الأرض وقد اتخذها بعض الفلاسفة من أدل الأدلة على حقيقة الخلود فقالوا: إذا لم يكن للإنسان خلود فلم أودعت فيه هذه العاطفة ولم يعهد في أعمال الطبيعة الجزاف والسرف؟»^(١) .

عاطفة الحياة الأبدية:

عاطفة أو غريزة الخلود هي من أنبل وأشرف غرائز النفس البشرية وهذه العاطفة أو الغريزة هي مصداق لحقيقة أن النفس الإنسانية أسمى وأنبل من طبيعة هذه الكرة الترابية التي نعيش عليها، ويقول بعض الفلاسفة : إذا لم تكن للإنسان حياة أبدية خالدة فلماذا وجدت هذه الرغبة الفطرية في داخله مع العلم أن نظام

(١) دائرة المعارف الجزء الرابع ، صفحة ٣٢٢ (الروح) .

الطبيعة ونظام الخليقة لا يعرف اللغو والعبث ؟ وقد أشار الحكيم المحقق والعالم الإسلامي الكبير والجليل الملاً محسن فيض الكاشاني في بحوثه إلى هذا الموضوع فهو يقول في هذا المجال :

حب البقاء:

«وكيف تعدم النفوس وقد جعل الله (عز وجل) بواجب حكمته في طبائعها محبة الوجود والبقاء وجعل في جبلتها كراهة العدم والفناء، وقد ثبت وتيقن أن بقاءها ودوامها في هذه النشأة الحسية أمر مستحيل، فلو لم يكن لها نشأة أخرى تنتقل هي إليها لكان ما ارتكز في طبائعها وأودع في جبلتها في محبة البقاء الأبدي والحياة السرمدية باطلاً ضائعاً تعالى الله عن ذلك»^(١).

الشعور بالحياة الخالدة:

«إن الإحساس الفطري بالحياة الخالدة هو بحد ذاته واحد من أهم الأدلة الإيجابية التي تقودنا إلى هذه الحقيقة، وعندما تشاء إرادة الله في أن يتوصل الإنسان إلى حقيقة ما فإنه يزرع في داخله وفي ضميره بذرة تلك الحقيقة . على أن تعطش البشر إلى البقاء والحياة الخالدة الأبدية هو من الشمولية بحيث لا يمكن أبداً القول بأن هذه الأمنية لا تتحقق»^(٢).

وفي هذا المجال يقول الشاعر باللغة الفارسية ما معناه :

عندما أخرج من هذا العالم يوماً ما فإني أذهب وأستقر في عالم آخر ،
إذن فهذه الروح لا تزول ولا تفنى بل تنتقل من مقر إلى مقر آخر .

جزاء الظالمين:

٢ - النقطة الثانية التي من شأنها أن تعزز الاعتقاد بيوم الجزاء وتقوية الإيمان لدى أتباع الأنبياء هي مسألة معاقبة الظالمين ، فنحن نعلم بأن الجبابة

(١) علم اليقين (الجزء الثاني ، صفحة ٨٣٧) .

(٢) دانستيهاي جهان علم ، صفحة ٢٠٤ .

المستبدين في كل عصر وزمان يرتكبون مختلف أنواع الجرائم والإنتهاكات ويعتدون على كثير من الناس، وفي معظم هذه الحالات ليس هناك من يعاقب هؤلاء المجرمين المعتدين ولا من ينصر ويساند المظلومين .

وبالطبع فإن الأشخاص المؤمنين الصالحين الذين يؤمنون بالله العليم القادر العادل الحكيم يتألمون أشد الألم لهذا الوضع ويتأثرون نفسياً ووجدانياً وهم يتساءلون: هل هناك من يحاسب هؤلاء الظالمين على ظلمهم وإجرامهم؟ وهل أن كل هذه الجرائم تبقى دون عقاب؟ وهل أن الله العالم العادل يغض النظر (والعياذ بالله) عن كل هذا الظلم؟. وخلاصة القول أن المؤمنين يصابون بالحيرة والذهول وكما لو كانوا قد فقدوا شيئاً ويبحثون عنه ، يسعون دائماً للحصول على جواب مقنع ليرتاح ضميرهم ويتخلصوا من الضغط النفسي وعذاب الوجدان والضمير .

وهنا تأتي أحاديث الأنبياء حول يوم القيامة والعقاب والثواب لتحل هذه العقدة النفسية عند الصالحين من الناس ولتجيب على تساؤلهم وتهديء من روعهم . إذن فقضية القيامة ومحاسبة الخلائق يوم الجزاء ، هي ضرورة مسلم بها باعتبارها تجسد العدل الإلهي ، ولولا يوم القيامة لبقيت قضية معاقبة الظالمين دون حل ولبقيت التساؤلات دون جواب وفي هذا المجال يقول الله في محكم كتابه العزيز :

﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾^(١) .

عن علي عليه السلام قال : «وَلَيْنَ أُمْهَلَ اللَّهُ الظَّالِمَ فَلَن يَفُوتَ أَخْذُهُ وَهُوَ لَهُ بِالْمُرْصَادِ عَلَى مَجَازِ طَرِيقِهِ وَبِمَوْضِعِ الشَّجَى مِنْ مَسَاغِرِ رِيقِهِ»^(٢) .

(١) سورة إبراهيم ، الآية : ٤٢ .

(٢) نهج البلاغة ، خطبة ٩٦ .

الله ومراقبة الظالم:

إذا ما أمهل الله الظالمين، فإن اليوم الذي يحاسبون فيه على ما ارتكبوه من أعمال آتٍ بكل تأكيد . فالله لا يراقب فقط أعمال الظالم وتصرفاته بل هو يراقب كل قطرة ماء تمر من حلقة وكل لقمة تجتاز بلعومه . إذن فإن الله العليم البصير يعلم كل حركات الظالمين وسكناتهم وهو سيحاسبهم يوم الجزاء على كل أعمالهم . ومن كل ما ذكرناه نصل إلى هذه النتيجة وهي : أن الدليل الأول والأساسي على قيام القيامة وحلول يوم الجزاء هو الوحي الإلهي الذي نزل على جميع الأنبياء الذين أبلغوا بدورهم أتباعهم بمضمون ما أوحى إليهم . على أن رغبة الإنسان الفطرية في حياة خالدة وعدم معاقبة الظالمين في دار الدنيا هما موضوعان يؤكدان موضوع القيامة ويوم الجزاء، حيث هناك المحاسبة على الأعمال والحياة الأبدية الخالدة التي يرغب بها الإنسان .

إذن فليس الماديون والملحدون الذين ينكرون وجود الله هم وحدهم الذين ينكرون القيامة بل أن الذين يعتقدون بوجود الله ولكنهم لا يؤمنون بالوحي والنبوة وبالتالي لا يؤمنون بالأديان الإلهية ينكرون المعاد أيضاً، كما ينكر المعاد أيضاً أولئك الذين يؤمنون ببعض ما جاءت به الأديان الإلهية ويكفرون بالبعض الآخر حيث يقول الله في محكم كتابه : ﴿... ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً﴾^(١) .

وخلاصة الكلام أن المعاد رغم أنه يعتبر مشيئة إلهية وأمرًا حتميًا فإن معظم الناس في الماضي والحاضر لا يؤمنون ولا يعتقدون به . وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم : ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٢) .

لقد كان مشركو مكة في عصر الرسول الأكرم ﷺ يؤمنون بالله وعندهم

(١) سورة النساء ، الآية : ١٥٠ .

(٢) سورة غافر ، الآية : ٥٩ .

نزعة إلهية ربّانية ولم يكونوا يؤمنون بالمدرسة أو العقيدة المادية ولا بفكرة نشوء الكون بطريق الصدفة. فهؤلاء كانوا موحدّين من ناحية أن الله هو خالق هذا الكون ولكنهم من ناحية العبادة وعلى الصعيد التعبدى كانوا مشركين حيث كانوا يعبدون الأوثان والأصنام من دون الله وهذا ما أشار إليه القرآن بوضوح :

﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾^(١).

إن هؤلاء وإن كانوا من حيث نظرتهم إلى الإنسان وهذا العالم يعتقدون بوجود الله وأنه خالق هذا الكون إلّا أنهم لا يؤمنون بعالم الآخرة ويوم القيامة ويوم الجزاء لأنهم أساساً لا يؤمنون بالوحي الإلهي الذي ينزل على الأنبياء وبالتالي فإن هذه الطبقة من الناس تؤمن فقط بالموت والحياة في هذه الدنيا .

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾^(٢).

وكان الرسول الأكرم ﷺ ومن منطلق واجبه كنبى مبعوث من قبل الله لهداية الناس وإرشادهم إلى طريق الهداية والإيمان بالله ، كان يتلو على الناس تلك الآيات التي تتحدث عن المعاد ويوم القيامة ويبلغهم بحلول اليوم الموعود وقيام الساعة وبمبدأ الثواب والعقاب الإلهي ، ولكن الناس في عهد الرسول كان استيعابهم لأقوال الرسول متفاوتاً، فمنهم من كان بعيداً عن التعصب والتعنّت وطلق الفكر متحرراً، وبالتالي فمثل هؤلاء كانوا يتمعنون في أقوال الرسول ويناقشونه بشأنها وكانوا يقتنعون في نهاية المطاف ويعتقون الإسلام ويؤمنون بما جاء في القرآن الكريم ومنها قضية المعاد .

التعصب القومي وإنكار المعاد:

أمّا الذين كانوا متمسكين بمعتقداتهم الموروثة وتعصّبهم القومي وأهوائهم

(١) سورة العنكبوت ، الآية : ٦١ .

(٢) سورة المؤمنون ، الآية : ٣٧ .

النفسية ويرون بأن الإسلام يتعارض مع مصالحهم وبالتالي لم يكونوا يريدون التصديق برسالة النبي الأكرم فكانوا يشيرون العديد من القضايا لتبرير معارضتهم للرسول ﷺ ومن جملة هذه القضايا قضية المعاد ، حيث كانوا يطرحون مسألة الحياة بعد الموت ويتحدثون عن هذه المسألة بأساليب مختلفة . والبعض الآخر كان يعتبر مسألة بعث الموتى وعودتهم أحياء بأنه أمر غير ممكن ومستحيل وكانوا ينفون وينكرون المعاد دون أن يذكروا أي سبب لذلك .

والقرآن الكريم يتحدث عن هؤلاء فيقول : ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يَهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (١) .

الكلام الذي لا يستند إلى المنطق والدليل:

وجاءت مجموعة من قريش بينهم «العتبة بن ربيعة» و«أبي بن خلف» و«الوليد بن المغيرة» و«العاص بن سعيد» ، جاؤوا إلى النبي وتحدثوا أمامه عن المعاد بطريقة تنم عن إنكارهم له ، ثم تقدم «أبي بن خلف» نحو النبي وهو يحمل بيده قطعة عظم فهشمها بين أنامله بقوة ثم نفخ فيها فتناثرت ذراتها في الهواء وقال : أَتَزَعُمُ أَنَّ رَبَّكَ يُحْيِي هَذَا بَعْدَ مَا تَرَى ؟ (٢) .

الإعتقاد الباطل والرد الحازم:

لقد تصور «أبي بن خلف» أنه بتهشيمه قطعة العظم ونثر ذراتها في الهواء قد أقام الدليل العلمي القاطع على عدم وجود المعاد واستحالته ولهذا نراه يقول للنبي ﷺ : «بعد الذي شاهدته هل لا زلت مصراً على رأيك بأن الناس يبعثون يوم القيامة ؟ وهنا جاء الرد الإلهي من خلال القرآن الكريم : ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا

(١) سورة الجاثية ، الآية : ٢٤ .

(٢) البرهان في تفسير القرآن ، صفحة ٨٩١ .

ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم * قل يُحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلقٍ عليم ﴿١﴾.

الله هو الذي يحيي في الدنيا والآخرة:

الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام يبين مسألة القيامة وبعث الموتى بطريقة أخرى حيث يقول عليه السلام: «عجبتُ لِمَنْ أنكرَ النشأةَ الآخرةَ وهو يرى النشأةَ الأولى» (٢).

وكان الإمام علي عليه السلام يريد أن يقول: رغم أن جميع المواد الميتة على هذه الأرض تسير على طريق الحياة وتعود إلى الحياة بقدرة الله وإرادته ومشيتته التكوينية فكيف إذن يسمح منكرو المعاد لأنفسهم بإنكار الحياة بعد الموت والنشأة الآخرة؟.

وكان هناك آخرون لا يعتبرون العودة إلى الحياة بعد الموت (البعث) أمراً مستحيلاً وهم لا ينكرون البعث بشكل صريح كالفئة الأولى التي ذكرناها من قبل ولكنهم يعتبرون عودة الإنسان إلى الحياة بعد الموت أمراً مستبعداً جداً، وهؤلاء هم الذين يقول عنهم القرآن الكريم: ﴿بل عجبوا أن جاءهم منذرٌ منهم فقال الكافرون هذا شيءٌ عجبٌ * إذا متنا وكنا تراباً ذلك رجعٌ بعيدٌ﴾ (٣).

إنكار المعاد والغرائز اللامشروعة:

بعض الأشخاص الذين كانوا أسرى غرائزهم وشهواتهم وأهوائهم النفسية فإنهم كانوا يكذبون بيوم الجزاء والمعاد لأنهم يريدون أن يكونوا أحراراً في إرضاء شهواتهم وأهوائهم الشيطانية اللامشروعة، بل إنهم كانوا يستهزؤون بالمعاد وبيوم القيامة لأنهم كانوا يعرفون بأن الإيمان بالمعاد والشعور بالمسؤولية أمام الله

(١) سورة يس ، الآيتان : ٧٨ و ٧٩ .

(٢) غرر الحِكم ، صفحة ٤٩٣ .

(٣) سورة ق ، الآيتان : ٢ و ٣ .

يقيّد ويحدّ من حريّتهم من أجل إرضاء شهواتهم . ويقول القرآن الكريم في هذا المجال : ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ * يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾^(١) .

فالإنسان بطبيعته يريد الحرية المطلقة دون قيد أو شرط ويرغب في أن تكون يده مفتوحتان لإرضاء شهواته وغرائزه بالطريقة التي يريدّها ويرغب بها ولهذا فهو يسأل : متى سيكون يوم القيامة ؟ ومتى سيحلّ يوم الجزاء ؟ وخلاصة الكلام أن عبدة الأصنام في عصر الجاهلية كانوا يرفضون القبول بمبدأ المعاد تدفعهم إلى هذا الرفض دوافع وأسباب مختلفة وبالتالي كانوا ينكرون المعاد دون أن يذكروا سبباً لذلك .

وفي عصرنا الحاضر أيضاً هناك الكثيرون ممن يعتقدون بوجود الله ويعترفون بأن الله القادر الحكيم هو خالق هذا الكون، ولكنهم ينكرون القيامة وينفونها دون أن يذكروا دليلاً لهذا الإنكار . أمّا أتباع الديانات السماوية المخلصون فإنهم كانوا دائماً وأبداً على يقين تام بالقيامة لأنهم يعلمون بأن الله هو الذي وعد بتحقيق هذا الأمر المهم، وذلك عن طريق الوحي الذي أنزله على أنبيائه ورسله جميعاً الذين أبلغوا بدورهم هذا الأمر إلى سائر الناس من منطلق وظيفتهم الرسالية . إذن فالمؤمنون بالرسالات السماوية يعتقدون بأن القيامة ستقوم وسيأتي يوم المعاد دون شك وستتحقق الوعد الإلهي وإن الناس لا بد وأن يبعثوا لينالوا ثواب حسناتهم وعقاب سيئاتهم ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾^(٢) .

بداية الحياة الجديدة بعد الموت:

إن الإنسان الذي يؤمن بالقيامة ويعتقد بما يقوله أنبياء الله المرسلون يدرك بأن حياته لا تقتصر على هذه الدنيا وأنه لا يفنى بالموت بل ينتقل إلى عالم آخر ويبدأ حياة جديدة مع فارق واحد وهو أن حياة كل إنسان في هذه الدنيا هي حياة

(١) سورة القيامة ، الأيتان : ٥ و ٦ .

(٢) سورة الحج ، الآية : ٧ .

محدودة تنتهي بمجرد موته ولكن حياة الآخرة حياة أبدية كما بشر بذلك الأنبياء .
على أن هناك في الحياة الدنيا وفي الحياة الآخرة نعم وملذات كثيرة وأيضاً
آلام ومصاعب عديدة ، ولكن الملذات والآلام الموجودة في الحياة الآخرة كثيرة
وشديدة إلى درجة لا يمكن مقارنتها بنعم وآلام الحياة الدنيا .

ثواب وعقاب الآخرة:

وفي هذا يقول علي عليه السلام: «كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْآخِرَةِ عِيَانُهُ أَعْظَمُ مِنْ
سَمَاعِهِ»^(١) .

قال ابن عباس : كُلُّ مَذْكُرَةِ اللَّهِ فِي الْقُرْآنِ مِمَّا فِي الْجَنَّةِ وَسَمَاءُ لَيْسَ لَهُ
مِثْلٌ فِي الدُّنْيَا وَلَكِنْ سَمَاءُ اللَّهِ بِالْإِسْمِ الَّذِي يُعْرَفُ^(٢) .

إن الاعتقاد بمدرسة الأنبياء ونظرتهم إلى الإنسان والكون والإيمان بمبدأ
الحياة بعد الموت واليقين بمبدأ الثواب والعقاب في عالم الآخرة ، من شأنه أن
يغير من نظرة الناس إلى الإنسان والكون وبالتالي يغير برنامج حياتهم .

العلاقة بين الحاضر والمستقبل:

إن الشخص الذي يؤمن برسالة أنبياء الله تهتز مشاعره عندما يسمع ما يقوله
هؤلاء الأنبياء من أن مستقبل أي إنسان يرتبط بممارساته وتصرفاته الحالية ، وأن
سعادته ورفاهيته أو شقاءه وتعاسته يوم القيامة ترتبط بما قدّمت يداه من حسنات
أو سيئات في هذه الحياة الدنيا ، لذلك نرى هذا الشخص يدخل في تفكير
عميق ويتوصل إلى هذه النتيجة وهي أن عليه أن يراقب ممارساته وتصرفاته .

الإهتمام بالقضايا المعنوية إلى جانب القضايا المادية:

وأن يتعد عن الذنوب والسيئات وعندها يدرك بأن مهمته في هذه الدنيا لا
تقتصر فقط على تأمين حاجاته المادية وتلبية متطلباته المعيشية، بل عليه أيضاً أن

(١) فهرست غرر الحكم ، صفحة ٥ .

(٢) لآلئ الأخبار ، صفحة ٤٣٦ .

يفكر في حياته الآخروية والمستقبلية ويهتم بالأمور المعنوية إلى جانب اهتمامه بالقضايا المعيشية المادية، وبهذا يستطيع أن يبني أسس سعادته الأبدية في الآخرة ويفوز فيها فوزاً عظيماً . وبعبارة أخرى فإن الاعتقاد والإيمان بالمعاد والحياة الأبدية في الآخرة يفتح الآفاق الواسعة للحياة أمام البشر ويزيل من مخيلته فكرة الفناء ويضاعف من قوة الأمل في نفسه ويزيد من قيمة الإنسان والإنسانية ويمنح الأشخاص المؤمنين وعياً ذاتياً ويسوقهم نحو العلو المعنوي والتكامل الروحاني .

العوامل التي تحت الإنسان على تحقيق منافعه الدنيوية والآخروية:

الإنسان بطبيعته يفكر في اكتساب الملذات والنعم والحصول عليها والتخلص من الآلام والنقم ، فالإنسان عندما يتيقن من مبدأ الثواب والعقاب الإلهي ويؤمن به ويصدق موضوع النعم والنقم في عالم ما بعد الموت فهل يمكنه أن يتجاهل قناعته ويقينه الباطني ويقف مكتوف الأيدي غير مبالي رغم علمه بإمكانية دفع نقم وآلام ومصاعب الآخرة في هذه الحياة الدنيا ؟ الجواب هو بالنفي لأن تلك الغرائز والقوى الكامنة في داخل الإنسان تحثه على اكتساب المنافع ودفع الأضرار الدنيوية ونفس هذه الغرائز تحت الإنسان أيضاً على السعي للوصول إلى النعم والملذات وتجنب النقم والشقاء في عالم الآخرة . والأشخاص المؤمنون يتعلمون هذه الأمور من خلال التوجيهات والتعاليم الدينية، حيث يعلمنا الدين بأن القيام بالواجبات الدينية والامتناع عن ارتكاب المحرمات التي نهى عنها الله وإطاعة ما أمرنا به . كل هذا يوفر السعادة الأبدية للإنسان الذي تشمله في هذه الحالة الرحمة والمغفرة الإلهية الواسعة في الآخرة ويتمتع الإنسان حينئذٍ بالنعم التي أعدها الله للصالحين والمؤمنين .

ارتكاب الذنوب يؤدي بالإنسان إلى السقوط والضياع:

كما تعلمنا من الدين بأن التماذي في إرضاء الشهوات والغرائز والانحراف عن طريق الحق والعدالة وارتكاب الذنوب والمعاصي يؤدي بالإنسان إلى الشقاء

والبؤس ويجرّه نحو الفساد والضياع. ومثل هذا الإنسان المنحرف الفاسد يتعرض للانحطاط والسقوط الخلقي في هذه الدنيا كما يواجه العذاب الأليم والعقاب الصارم في الآخرة على ما ارتكبه من سيئات وذنوب في الحياة الدنيا . الشخص المسلم ومن منطلق واجبه الديني يستغل حياته الدنيوية إلى أقصى الحدود ويبنى نفسه بشكل لائق ويدرك كافة أبعاد وجوده ويوازن في جميع الأحوال بين الجوانب المادية والمعنوية في حياته . فهو يعمل من ناحية على إرضاء الشهوات والفرائز الحيوانية الكامنة في وجوده في إطار التعاليم والمبادئ التي ينص عليها الإسلام ويتنعم بكافة الملذات الدنيوية، وفي نفس الوقت فإنه يسعى ويجاهد من أجل إحياء وترسيخ المبادئ الإنسانية والقيم الأخلاقية السامية ويبدل ما بوسعه للالتزام بمكارم الأخلاق والسجايا والخصال الإنسانية لكسب رضى الله (تعالى) والفوز بالسعادة في الدنيا والآخرة .

الحياة المادية والعبودية الإقتصادية:

في هذا العالم الذي تسيطر عليه القيم المادية والاقتصادية فإن كل شيء أصبح في خدمة الإقتصاد والمادة وحتى الإنسان فإنه أصبح عبداً للمال، وأصبح الجانب الإقتصادي في أيامنا هذه هو الهدف الأول والأخير في حياة الأفراد وأصبح الإنسان كالحيوان في خدمة الإقتصاد ليس فيه شيء من الإنسانية وأصبح غافلاً عن الجوانب والقيم المعنوية ولا يعرف شيئاً عن مبادئ السموّ الإنساني التي هي معيار لتكامل الإنسان . إن معظم الناس في عصرنا الحاضر يعتقدون بأن السعادة تكمن في الثراء المادي والرفاهية المعيشية، وهم يرون بأن الثروة والمال هما الشرطان الأساسيان لتفوق الشعوب وتقدمها . وعلى هذا الأساس فإن الناس يبذلون ما بوسعهم للحصول على الثروة والمال حتى أصبحوا ينظرون إلى الجوانب الخلقية والمعنوية من منظار الإقتصاد والربح المادي والبحث عن المنافع واللذات . وبشكل عام من منظار مادي محض ولا يعيرون أهمية للجوانب المعنوية والإنسانية .

القيم الخلقية من المنظار المادي:

إن الإنسان الذي من المفترض أن يرى أن عزته وكرامته تكمن في تحرره من الأهواء النفسية ومن العبودية لغير الله والإلتزام بالقيم الإنسانية ومكارم الأخلاق والسير في مدارج سمو الروح والتكامل المعنوي ، نجده اليوم - ومع الأسف - قد انحرف عن مسيرته الإنسانية وابتعد عن القيم الأخلاقية، وإن معظم الناس في عصرنا الحاضر أضحوا يعتبرون الجوانب المادية والثروة والمال هي المقياس في تعالي وسمو الإنسان، وأصبح الناس في خدمة الإقتصاد الإنتاجي وعبداً لبطونهم ومجرد موجودات مستهلكة ، بعد أن ضحوا بكل القيم الإنسانية وقدموها قرباناً للمادة والقيم المادية .

تكامل الآلة بدل التكامل الإنساني والمعنوي:

ونتيجة لهذا الخطأ الكبير فقد اختل التوازن بين القيم المادية والمعنوية وظهر تطور وتكامل على صعيد الآلة بدل التطور والتكامل الإنساني ، وأصبح الإنسان بعيداً عن نفسه وذاته إلى درجة نسي نفسه بأنه إنسان وأصبح لا يبالي بالقيم الإنسانية . إن التطور المذهل الذي حدث خلال القرنين الأخيرين على صعيد السيطرة على قوى الطبيعة وتطور المكننة الصناعية قد ولد غروراً عند الإنسان جعله يغفل عن الله وابتعد عن التعاليم الإلهية ويستخف ويستهن بالقيم التي تبني الكيان المعنوي للإنسان، وينهمك في إشباع غرائزه وشهواته الحيوانية التي تصده وتمنعه من الوصول إلى السمو المعنوي والتكامل الروحي ، الأمر الذي جعل الفساد يعم ويسود شيئاً فشيئاً وتزداد الجرائم يوماً بعد آخر وتبدأ مظاهر السقوط والانحطاط الخلقي بالظهور والانتشار بين الناس في جميع البلدان . ولحسن الحظ بدأ عدد كبير من الشبان المثقفين الواعين في الدول الغربية في الآونة الأخيرة بدأوا يدركون الخطأ الفاحش الذي وقعوا فيه .

العالم المتحضر والاتجاه المادي:

لقد أدرك هؤلاء الشبان المثقفين من خلال النظرة الإنسانية ونداء الضمير

أدركوا بأن العالم المتحضّر في عصرنا الحالي قد تخلّى عن سبيل الهداية والفلاح وأخذ يتجه نحو التعاسة والضلال في ظل الهيمنة التي تمارسها دول العالم المتقدمة على الدول النامية . وإذا لم نعمل على وقف هذا الانحراف فإن سائر الشعوب في العالم قد تسير - ومن غير وعي - على هذا الطريق المعوج ، وبذلك تتعرض البشرية لأكبر كارثة أخلاقية ومعنوية . إن البرامج الثقافية ووسائل الإعلام الجماهيرية والأفلام السينمائية في الدول الغربية لا تهدف إلا إلى ترويج ونشر الفساد وما ينتج عن ذلك من زيادة معدلات الجرائم . وبشكل عام فإن البيئة الاجتماعية في تلك الدول أصبحت لا تفرز إلا الفساد والانحطاط الخلقي وتدني القيم الإنسانية وسقوطها . إن الأحداث والشباب المغفلين في الدول المتقدمة أصبحوا ينساقون نحو الفساد والرذيلة والإدمان على المخدرات وممارسة الإعتداءات الجنسية والاغتصاب وغيرها من الجرائم فأصبحوا كالبهائم والحيوانات بل أضلّ من البهائم وأكثر وحشية منها .

استياء وتذمّر الشباب من الوضع السائد:

ويقوم هؤلاء الشباب بالتمرد والعصيان واللجوء إلى العنف للتعبير عن معارضتهم لما هو سائد في الغرب من قيم اجتماعية خاطئة على أمل أن يتمكنوا من القيام بثورة على التقاليد والانتهاكات التي تشهدها المجتمعات الغربية ، ثورة تطيح بالقيم والحضارة المادية القائمة على الاستغلال والسير وراء الملذات وتُنشيء مكانها حضارة إنسانيةً ببعديها المادي والمعنوي تلبي احتياجات ومتطلبات الجسم والروح في آن معاً وتنقذ شعوب العالم ولاسيّما الشعوب الغربية من الأخطار الناجمة عن الأفكار والتيارات المادية .

تجاهل المعنويات:

«إن طغيان الشباب سواء كان على شكل أعمال عنف أو بشكل أقل وطأة ، كظاهرة الهييز وغيرها تعكس بالدرجة الأولى سلسلة من التناقضات والشكوك تجاه الأهداف والمطالب الأساسية للمجتمعات

الغربية ، حيث تطرح تساؤلات حول أهمية التنظيمات المختلفة في المجتمع الغربي وإنتاجية العمل والنجاحات على صعيد الأعمال والمهن . والحقيقة أن موجة التمرد والعصيان من قبل الشباب في الغرب يعكس حقيقة أن المجتمع الغربي يتجاهل الرغبات والغرائز والمتطلبات الروحية والمعنوية الأساسية للفرد ويضحي بسعادة الفرد من أجل الآلة وأدوات الإنتاج وزيادة إنتاج السلع .

وخلاصة القول أن هؤلاء الشباب الواعين في المجتمعات الغربية يعتقدون بأن هذه المجتمعات قد تخلت عن الأصول وتمسكت بالفروع أي أنها تخلت عن القضايا الأساسية في المجتمع وانشغلت بالقضايا الجانبية والثانوية . إن المعنويات التي كانت تستند في الماضي إلى الدين والأعراف والتقاليد القومية والتاريخية وكانت بمثابة قاسم مشترك يربط بين الأجيال المختلفة على مر العصور ، هذه المعنويات أخذت تضعف ويخف بريقها في أيامنا هذه . ففي الماضي كان الكبار يحثون الشباب على عدم الإنزلاق نحو الشهوات الدنيوية ومخالفة الأهواء النفسية والاهتمام بالقضايا المعنوية . أما في عصرنا الحاضر فنلاحظ عكس ذلك حيث يشجع الكبار ومن بيدهم زمام الأمور في المجتمعات الغربية ، يشجعون الشباب على إطلاق العنان لشهواتهم وغرائزهم وأهوائهم النفسية، ولا يُرشدون هؤلاء الشباب إلى هدف يخرج عن نطاق الحياة المادية والملذات الدنيوية المؤقتة . ولعل هذا هو السبب في أن هؤلاء فقدوا أهميتهم ومكانتهم عند الشباب .

مرحلة الشباب والشعور بالبراءة:

بالرغم من أن مرحلة الشباب هي مرحلة التحرك والنشاط وتفجر الغرائز والميول النفسية وأن من خصائص هذه المرحلة الشعور

بالبراءة والتعفف والسعي نحو المثاليات والمعنويات وأن هذه المرحلة وهي مرحلة الشباب تغرس في نفوس الشباب الحاجة إلى مثاليات ومعنويات أسمى ، فإن إرضاء الغرائز والمتطلبات المادية لا يستجيب للرجبات والمتطلبات الروحية والنفسية عند الشباب . وقد أثبت تاريخ الحضارات الماضية بأن التضحية والتعفف وكبح جماح الغرائز والشهوات والإيثار من أجل الأهداف العامة هو أكثر لذة وممتعة بالنسبة للشباب من مجرد الحصول على المكاسب والمزايا المادية البحتة»^(١) .

إنسان اليوم والقضايا المادية:

إن الأنظمة والخطط التي تدار على أساسها شؤون الحياة العامة اليومية والمرافق الحكومية في الدول المتقدمة في عصرنا الحاضر ، موضوعة بشكل يجعل المجتمعات في تلك الدول بكل فئاتها وطبقاتها توجه جلّ اهتمامها لتأمين الحاجات المادية ، حيث تستغل جميع طاقات الإنسان في تلك الدول لإدارة الشؤون الدنيوية ، ولم يعد هناك مكان لتعليم القيم المعنوية والخلقية للناس وتنمية سجايهم وخصالهم الإنسانية . إن سنوات الدراسة هي أفضل فترة لترسيخ القيم الإنسانية في الفرد وزرع بذور الإيمان ومكارم الأخلاق في نفوسهم . ومع الأسف فإن الدول النامية ليس لديها خطط وبرامج معينة وواضحة لترسيخ القيم المعنوية في نفوس الطلبة . فالطفل منذ أن يدخل المدرسة وحتى يتخرج من الجامعة لا يتعلم سوى الدروس الخاصة بتأمين متطلباته الجسمية والمعيشية حيث لا يوجد في الأساس برنامج لتنمية الجوانب الروحية والإنسانية لدى الطالب، وحتى لو وجد مثل هذا البرنامج فإنه يكون محدوداً وضيقاً إلى درجة لا يترك معه أي تأثير يذكر على سلوك الطالب وضميره الإنساني .

(١) غربت غرب ، صفحة ١٠٩ .

اختلال التوازن بين الجسم والروح:

وهذا الأسلوب غير الصحيح قد أخلّ بالتوازن بين الجسم والروح وبين الماديات والمعنويات وجعل حياة الإنسان تنحرف عن مسير الفطرة وسنة الخلقة الإلهية . فمن ناحية نجد أن هناك تطرفاً كبيراً حدث على صعيد السير وراء القيم المادية وإرضاء الغرائز والأهواء النفسية وأخذ الناس يتجهون نحو الماديات بشكل مفرط . ومن ناحية أخرى لم يحسب حساب للجوانب الروحانية المعنوية والإنسانية التي تشكل نصف الكيان الإنساني، وأصبح هذا الجانب منسياً من الناحية العملية، وكان من نتيجة ذلك أن الناس أخذوا يفقدون شخصيتهم المعنوية شيئاً فشيئاً ويتعدون عن القيم الإنسانية وأخذوا يركزون جل اهتمامهم على المنافع والمصالح والمكاسب المادية وإرضاء الشهوات والأهواء النفسية وإشباعها . ومن الطبيعي فإن مثل هؤلاء الناس الذين تتعارض ممارساتهم مع سنة الخلقة والفطرة الإنسانية لم ولن يصلوا إلى السعادة الحقيقية ولن ينالوا شيئاً من السمو والتكامل الذي يليق بمنزلة الإنسان ومقامه .

التمرد على سنة الخلقة وهي سنة الله:

لقد منّ الله (تعالى) على الإنسان بنعمة العقل وجعله حراً سيّداً نفسه وهذه أكبر ميزة يمتاز بها الإنسان على غيره من الكائنات الحية في هذا العالم . وإذا ما استغلت الحرية بشكل صحيح وتمت الاستفادة منها وفقاً لمنطق العقل فإن الإنسان سيصل إلى أعلى مراتب السعادة . ولكن إذا خرجت الحرية عن سيطرة العقل وأصبحت تحت سيطرة وهيمنة الشهوات الحيوانية والغرائز العمياء اللاشعورية، أو إذا سيطرت القيم الاجتماعية الخاطئة بالقوة والإرهاب على تيار الحرية في المجتمع وأصبحت الحرية خاضعة لمنطق القوة والتعسف فإنها ستقود الإنسان إلى الشقاء ومن ثم تؤدي به إلى السقوط والضياع .

جهل الإنسان لحقيقته:

«إن معظم الأفراد في المجتمعات المختلفة قد ابتعدوا من خلال

تفكيرهم وتصرفاتهم وعلائقهم الاجتماعية ، ابتعدوا عن طبائعهم الحقيقية وأصبحوا غرباء ومنقطعين عن أنفسهم . إن أكبر كارثة ومصيبة تحلّ بالفرد هي أن يصبح غريباً ومنفصلاً عن ذاته وبالتالي لا يملك اختيار نفسه ومثل هذا الإنسان في الواقع يصبح أسيراً للتقاليد وخاضعاً للقيم الخاطئة التي تصبح بمثابة حبل يضيق الخناق عليه ويسوقه حيث يشاء ، الإنسان الذي يوصف بأنه حيوان ناطق يملك قوة العقل وقدرة التمييز بين الخير والشر وهو بهذه الصفات يختلف عن الجمادات . إن قوة العقل والتفكير والتمييز هذه تمكن الإنسان من التحكم في حالات ومظاهر الروح التي هي من جوهر وجود الإنسان حيث بإمكانه أن يظهر شخصيته خلافاً لما هي عليه إذا أراد هو ذلك ، أو إذا اضطرت الظروف الاجتماعية إلى ذلك . ويتضح مما تقدم بأن جهل الإنسان لحقيقته ونفسيته هو في ماهيته وطبيعته لا يختلف عن الرياء أو التظاهر (أي الإنسان ذو الوجهين الذي يُظهر خلافاً لما هو كامن في نفسه) مع فارق واحد بين الحالتين - أي بين جهل الإنسان لحقيقته ونفسيته وبين الرياء - وهو أن الرياء تصرف يصدر عن الفرد بصورة شعورية إرادية - أي بمحض إرادة الفرد - ، أما جهل الإنسان لحقيقته ونفسيته فهو حالة لا إرادية تصدر عن الفرد .

الفرق بين النفاق وبين الجهل بالنفس والتغرب عنها:

إما بسبب الإستمرار عليها وتكرارها بشكل دائم وإما بسبب حصوله على منصب أو مركز اجتماعي مرموق ، حيث يصبح الجميع أنصاراً وتابعين له . كما أن الرياء أو التظاهر هو حالة معينة يكون فيها للإرادة والشعور الفردي دور أكبر في حين أن الفرد الذي يجهل حقيقة نفسه غالباً ما ينفصل وينقطع عن طبائعه الذاتية وخصاله الحقيقية بفعل الضغط والإكراه ونتيجة للمتطلبات والظروف الاجتماعية السائدة .

وخلاصة القول أن عدم معرفة الذات أو جهل الإنسان لحقيقة نفسه
ينتج بسبب القصور في النظم الإجتماعية « (١).

ولا بد أن نشير هنا إلى أنه كان يوجد في الماضي في المجتمعات البشرية
أشخاص خضعوا واستسلموا لغرائزهم الحيوانية وأهوائهم وشهواتهم النفسية
وتخلّوا بذلك عن كل ما يمتّ إلى الإنسانية بصلة وأصبحوا - حسب تعبير كتابنا
المعاصرين - غرباء حتى عن أنفسهم، ولكن مثل هؤلاء الأشخاص هم قلة في
جميع الأحوال . أمّا في عصرنا الصناعي الحاضر فإن إدارة شؤون الدول تتم
على أساس مادي ووفقاً للمغريات المادية الدنيوية، حيث أن الغالبية العظمى من
الناس في هذا العصر يسرون وفق التيار السائد في المجتمع وبذلك أصبحوا
غرباء عن أنفسهم لا يملكون من أنفسهم شيئاً . إذن ففي عالم اليوم ليس فقط
الناس أصبحوا يجهلون حقيقتهم بل إنّ العالم بأسره أصبح يجهل حقيقته وصار
غريباً عن نفسه ، ولكي يتخلّص الإنسان من هذه الظاهرة ويعود إلى نفسه
وحقيقة وجوده فإنه بحاجة إلى إرادة قوية وعزم راسخ، وعليه أن يعود إلى فطرته
التي فطره الله عليها ويعرف ويفهم نفسه على حقيقتها وكما هي ويعود إلى طريق
الإنسانية الضائعة ويجعل من نفسه إنساناً بكل معنى الكلمة ويعيش كإنسان
ويسير على نهج الأنبياء ويحقق بالتالي التوازن المطلوب بين جسمه وروحه .

إن الكثير من الناس ونتيجة عدم إيمانهم بالآخرة وعدم اكتراثهم بالقيم
الإنسانية لا يحاولون معرفة واكتشاف أنفسهم وبالتالي لا يريدون السير خطوة
واحدة على طريق معرفة الذات .

الحياة البهيمية :

وكأنهم قرروا أن يبقوا غافلين عن الإنسانية والمسؤوليات الملقاة على

(١) جهاني ازخود بیگانه ، صفحه ٦ .

عائق الفرد باعتباره إنساناً ، ويعيشوا كالحيوانات يقضون حياتهم في الأكل والشرب وإرضاء الشهوات ومن ثم يموتون كالحيوانات وينتهي كل شيء . وفي وصف هذه الحيوانات ذات المظهر البشري يقول علي عليه السلام : «عَجِبْتُ لِمَنْ يَنْشُدُ ضَالَّتْهُ وَقَدْ أَضَلَّ نَفْسَهُ فَلَا يَطْلُبُهَا» (١) .

(١) غرر الحكم ، صفحة ٤٩٥ .

المحاضرة الثانية

الإيمان بالمعاد والشعور بالمسؤولية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾^(١)

الإنسان بطبيعته وفطرته يفكر في اللامحدود واللانهاية وفي أعماقه يتوق إلى العلم المطلق والقوة المطلقة والحق المطلق والعدالة المطلقة والخير المطلق وهو يحلم بهذه الأمور ويتخيلها في ذهنه وفكره ، - إلى جانب ذلك بالطبع - فإن الإنسان يفكر في الحياة الخالدة ويتمنى في أعماقه بأن يعيش إلى الأبد . وبدأ المفكرون والعلماء دراساتهم وبحوثهم للتعرف على هذه الغرائز والرغبات الفطرية الموجودة في داخل كل إنسان، وتوصلوا إلى هذه النتيجة وهي أن وجود مثل هذه الرغبات في داخل الإنسان يثبت حقيقة أن الإنسان بإمكانه أن يصل إلى الكمال المطلق والحياة الخالدة، وإمكانية الإنسان في هذا المجال هي إمكانية لا محدودة ولا نهائية . وهذه الحقيقة تؤكد بأن الإنسان يتمتع إلى جانب بعده المادي الضيق والمحدود بروح مجردة، وهذه الروح ليست محصورة في نطاق المادة والأمور المادية بل هي مؤهلة إلى أبعد الحدود وبشكل لا محدود للتكامل والسمو، حيث يقول الشاعر مامعناه: «إن حدود جسمك ومساحته لا تتعدى الذراع

(١) سورة المؤمنون ، الآية : ١١٥ .

الواحد أو الذراعين ولكن روحك تمتد إلى عنان السماء وبإمكانك أن تحلق بها إلى أعماق الفضاء .

الماديون ينظرون إلى الكون والإنسان من بُعد واحد:

إن الماديين وأتباع المذاهب المادية الذين يتصورون بأن هذا الوجود مخلوق من المادة وكل ما في هذا الكون هو وجود مادي ويحاولون تفسير كل ظاهرة من الظواهر الكونية من منطلق مادي ، هؤلاء ليس لديهم رد مقنع وحل منطقي لمشكلة رغبات الإنسان وغرائزه اللامتناهية لأن هؤلاء الذين ينظرون إلى هذا الكون من بُعد أو جانب واحد ومن منطلق النظرية المادية ، تكون أفكارهم محدودة في إطار المادة والجوانب المادية المحدودة والضيقة وهم لا يعرفون شيئاً عن الحقائق اللامحدودة الكامنة في ما وراء المادة . أما أتباع الديانات السماوية التي جاء بها الأنبياء الذين ينظرون إلى هذا الكون من بُعدين مختلفين فهم يرون بأن عالم الوجود لا يقتصر على الماديات . ورغم قبولهم بعالم المادة والظواهر المادية فإنهم يؤمنون أيضاً بالحقائق غير المادية وعوالم ما وراء المادة .

مدرسة الأنبياء والإيمان بالمبدأ والمعاد:

إن الأديان السماوية كلها تقوم على مبدأين أساسيين هما الإيمان بالله والإيمان بيوم القيامة .

وفيما يتعلق بالمبدأ الأول وهو الإيمان بالله فإن جميع الأنبياء يدعون الناس إلى عبادة الله الذي خلقنا جميعاً ، وإن الله منزّه من المادة وكل الجوانب المادية وليس محدوداً بمكان ووجوده يمتد إلى ما لا نهاية ، وعلمه وقدرته لا حدود ولا نهاية لهما . وخلاصة القول أن الله تجتمع فيه كافة الصفات الكمالية ، وكمالاته لا محدودة ولا متناهية . وقد أكد الأنبياء من خلال دعوتهم إلى الله أكدوا للناس بأن جميع البشر سيعودون إلى الله ، ولهذا فإن على الفرد أن يبنى نفسه في هذه الدنيا بشكل يليق بمكانته كإنسان ويستخدم مواهبه وطاقاته اللامحدودة للوصول إلى الكمال المطلق في ظل السعي والعمل الجاد المخلص لوجه الله ، كما أن

على الفرد أن يتصف بالكمال وأن يتشبه في حدود قدرته واستطاعته بالكمال المطلق أي الذات الإلهية المقدسة^(١) ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾^(٢) .

إن المسلمين الحقيقيين مكلفون وفقاً لتعاليم الأنبياء وأولياء الدين بالسعي من أجل السمو المعنوي والتكامل الروحي، وأن يخطوا في كل يوم من أيام حياتهم بمقدار يوم واحد نحو الكمال اللامتناهي ليصلوا إلى مرحلة جديدة من السعادة والفلاح وإذا لم يفعلوا ذلك فإنهم سيواجهون الخسران المبين .

كيف يستفيد الإنسان من أيام حياته:

عن أبي عبد الله عليه السلام قال : «مَنْ اسْتَوَىٰ يَوْمَاهُ فَهُوَ مَغْبُونٌ وَمَنْ كَانَ آخِرُ يَوْمِيهِ خَيْرَهُمَا فَهُوَ مَغْبُوطٌ وَمَنْ كَانَ آخِرُ يَوْمِيهِ شَرَّهُمَا فَهُوَ مَلْعُونٌ وَمَنْ لَمْ يَرَ الزَّيَادَةَ فِي نَفْسِهِ فَهُوَ إِلَى النَّقْصَانِ وَمَنْ كَانَ إِلَى النَّقْصَانِ فَالْمَوْتُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ الْحَيَاةِ»^(٣) .

الموت أفضل من الحياة بدون سعي نحو الكمال الإنساني:

إذن فإن البشر يسعى نحو الكمال المطلق وعنده رغبات لا حدود لها والجوانب المادية الضيقة ليس فقط لا تحقق آمنيات وتطلعات الإنسان اللامحدودة، بل إن الإنسان عندما تتحقق رغباته ومتطلباته المادية ويحصل على الثروة والجاه والمناصب الدنيوية ، فإنه يصل إلى حالة الإشباع ويستمر في البحث إلى ما لا نهاية لإرضاء رغباته وميوله اللامحدودة وتهدة وإرضاء ضميره المضطرب . وهذا الهدف السامي لن يتحقق إلا بذكر الله الذي لا نهاية له ولا تحدّه حدود ، الله الذي يتجسّد فيه الكمال المطلق وتجتمع فيه جميع الصفات الكمالية . والإنسان عن طريق التشبه بالذات الإلهية المقدسة يستطيع السير

(١) عبدي أطعني تكن مثلي (مثلي) - (حديث قدسي) - .

(٢) سورة الانشقاق ، الآية : ٦ .

(٣) معاني الأخبار ، صفحة ٣٤٢ .

باتجاه الكمال اللامحدود والتقدم في طريق السموّ ، هذا الطريق الذي لا نهاية له ، وبالتالي فهو يستطيع أن يهديء من روعه ويبعث الهدوء والسكينة المطلقة في نفسه وروحه ويحصل على السعادة الدائمة والنجاح المستمر من خلال ذكر الله والتقرب المعنوي من ذاته المقدّسة ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (١) .

ذكر الله وراحة الضمير:

قال الصّادق عليه السلام : «أوحى الله عزّ وجلّ إلى داود عليه السلام يا داود بي فافرح وبذكرى فتلذذ وبمناجاتي فتنعّم» (٢) .

وخلاصة القول فإن الإيمان بالله الذي هو المبدأ الأساسي الأول الذي دعا إليه الأنبياء ، يلبي رغبة الإنسان في الوصول إلى ميوله وتطلعاته المطلقة اللامحدودة واللانهاية ، فالإنسان الذي لديه رغبات وميول لا محدودة ويفكر في الكمال المطلق لا يقنع ولا يكتفي أبداً بالماديات المحدودة الضيقة ، كما أن المذاهب المادية غير قادرة على تلبية رغبات ومتطلبات الإنسان اللامحدودة ولكن الأديان السماوية التي جاء بها الأنبياء والتي تقوم على أساس الإيمان بالله فهي تستطيع إرضاء الرغبات الإنسانية اللامتناهية .

الإيمان بالله وكبح جماح الغرائز والشهوات:

فالفرد الذي يؤمن بالله عن قناعة وإدراك ويجعل هدفه السامي في التكامل الإنساني والتقرب الروحاني من الله ، يستطيع من خلال طاعته لله والابتعاد عما ينهي عنه الله ، أن يتغلب على شهواته وأهوائه النفسية وأن يكبح جماح غرائزه الحيوانية ، وأن يفتح بالتالي أمام نفسه طريق الكمال المطلق من خلال ما يتمتع به من سلطة معنوية وقدرة روحية ، ومثل هذا الفرد يسير في كل يوم خطوة في طريق السمو والعلو الإنساني اللامحدود مما يمكنه من الحصول على مزيد من الكمالات الإنسانية . الإيمان بيوم القيامة والسعي إلى حياة خالدة أبدية هي

(١) سورة الرعد ، الآية : ٢٨ .

(٢) الأمالي للشيخ الصدوق ، صفحة ١١٨ .

غريزة طبيعية أخرى كامنة في ضمير كل فرد ، وإن إرضاء هذه الرغبة الذاتية وهذه الغريزة الفطرية كسائر الغرائز والرغبات الأخرى اللامحدودة الكامنة في داخل الإنسان هو أمر غير ممكن في هذا العالم المحدود الذي لا يدوم إلى الأبد ، والمذاهب المادية التي تعتقد بأن وجود الفرد ينتهي بمجرد أن يموت ، لا تستطيع أن تقدم حلاً لهذه المشكلة وليس لديها جواب مقنع لهذه القضية ولكن الأديان السماوية تؤكد بأن الإنسان لا يفنى ولا ينتهي وجوده بمجرد أن يموت بل ، إن روحه تنتقل من دار الدنيا إلى دار الآخرة ، وكما أشرنا إلى ذلك في المحاضرة السابقة فإن جميع الأنبياء أعلنوا بأنه بعد هذه الدنيا يبدأ عالم القيامة، حيث يعث الناس من جديد ويبدأون حياة جديدة ، وقضية المعاد هي الركن الأساسي الثاني في الديانات السماوية بعد مبدأ الإيمان بالله ، وفي عالم القيامة تسود نظم وقوانين تختلف معظمها عن القوانين والنظم السائدة في عالمنا هذا ، فعلى سبيل المثال هناك في الدنيا حالة عدم الاستقرار والزوال (الموت) أما في عالم الآخرة فهناك الخلود والبقاء الأبدي .

عن عليٍّ عليه السلام قال : « لكلِّ شيءٍ من الدُّنيا انقضاء وفناء ولكلِّ شيءٍ من الآخرة خُلودٌ وبقاء » (١) .

عالم الآخرة والحياة الأبدية الخالدة:

إذن فاستناداً لما جاء به الأنبياء فإن الإنسان يحصل على الحياة الخالدة في الآخرة ، ورغبته في الحياة الخالدة تتحقق بعد الموت حيث سيتمتع هناك بالحياة الأبدية .

الإيمان بالمعاد والشعور بالمسؤولية:

ولكن يتبادر إلى الذهن السؤال التالي : هل أن الاعتقاد بعالم الآخرة والإيمان بالحياة بعد الموت يترك تأثيراً على حياة الفرد قبل الموت ؟ وهل أن هذا الاعتقاد بالآخرة والحياة بعد الموت بإمكانه أن يغير من الأوضاع في هذه الدنيا والحياة الدنيوية للناس ويجعلهم يغيرون من نمط تفكيرهم وممارساتهم ؟

(١) غرر الحكم ، صفحة ٥٧٨ .

الجواب : نعم . فمما لا شك فيه أن الإعتقاد بالأنبياء والإيمان بيوم الحساب وبمبدأ الثواب والعقاب الإلهي يغير من نمط تفكير الفرد ونظرته إلى هذا الكون، ويحدث تغييرات وتقلبات أساسية وجذرية في أعماق الإنسان ، حيث أن الإعتقاد بعالم الآخرة يعطي للحياة الدنيوية مفهومها ومعناها الحقيقيين ، ويوقظ إحساس الشعور بالمسؤولية في ضمير الإنسان ، ويقوده نحو الشعور بالواجب والإخلاص والأمانة ويحثه على تجنب المعاصي والذنوب بمقدار إيمان الفرد الباطني بمبدأ الثواب والعقاب الإلهي . ولكي تتوضح هذه المسألة نقدم فيما يلي بعض الإيضاحات حول الآثار التي تترتب على الإيمان والإعتقاد بيوم المعاد :

١ - ان الإنسان يفكر بالحياة الأبدية وذلك من منطلق فطري وغريزي ، فهو يريد أن يبقى حياً إلى الأبد ليتمكن من تحقيق آماله وتطلعاته اللامحدودة واللامتناهية والوصول بالتالي إلى الكمال الذي يتمناه ويصبو إليه ، ولكن الإنسان من ناحية أخرى يعلم بأن الحياة الدنيوية مؤقتة لا تدوم ومحدودة أيضاً ، إذن في هذه الحياة الدنيا لا يمكن إرضاء غريزة الخلود كما لا يمكن أن تتحقق في هذه الدنيا الرغبات والآمال والتطلعات اللانهائية واللامحدودة للإنسان .

التشاؤم من حياة الدنيا:

ونتيجة لهذين التيارين المتعارضين المتناقضين فقد أصبح الكثير من الأفراد المثقفين والأغنياء المرفهين في الدول المتقدمة ، أصبحوا متشائمين من الحياة وأصبحت الحياة الدنيا في نظرهم حياة تافهة لا معنى ولا مفهوم لها . إن التفكير في تافهة الحياة الدنيا قد جعل هؤلاء المرفهين يصابون بأمراض نفسية أدت بالبعض منهم إلى الانتحار تخلصاً من هذا العذاب والقلق ، كما سيطر اليأس والتشاؤم على البعض الآخر منهم إلى درجة لم يستطع معها أطباء الأمراض النفسية من معالجتهم وجعلهم يستعيدون الأمل بالحياة والتخلي عن فكرة الانتحار .

القلق الذي لا علاج له:

«وقد كتب (دونالد لايت) أستاذ علم الاجتماع في جامعة برينستون مقالاً في مجلة العلوم الاجتماعية التي تصدر عن منظمة اليونسكو ذكر فيه بأن هناك حالياً في أميركا حوالي خمسة ملايين شخص حاولوا الانتحار مرة واحدة على الأقل في حياتهم، ومن هنا فإن ظاهرة الانتحار حظيت باهتمام كبير من قبل علماء الاجتماع، حيث أنشئت جمعيات لمكافحة هذه الظاهرة وشكلت مؤسسات لدراسة أسباب هذه الظاهرة، وأيضاً لمساعدة الأشخاص الذين تراودهم فكرة الانتحار.

وتوصل «دونالد لايت» إلى هذه النتيجة وهي أن الأساليب الفنية المستخدمة في الطب النفسي تلعب دوراً محدوداً جداً في منع الأفراد من الانتحار . وهذه الأساليب التي يتبعها الأطباء النفسانيون وخبراء علم الاجتماع لا يمكنها أن تبعث الأمل في قلوب الأشخاص الذين يحاولون الانتحار نتيجة اليأس والشعور بالوحدة وعدم الإيمان بهذه الحياة وبالتالي الإحساس بتفاهة وعدم جدوى الحياة الدنيا .

إن القلق والاضطراب الذي ينتاب الشباب بسبب الأزمات النفسية والاجتماعية التي يعيشونها ليس بالشيء الذي يمكن معالجته بأساليب العلاج النفسي»^(١) .

نعم، إن الحياة تافهة ولا معنى لها في نظر الماديين الذين يعتقدون بأن الوجود يعني المادة ويرون في الإنسان موجوداً مادياً مائة بالمائة، وهم لا يعترفون بالروح غير المادية للإنسان التي تشكل عماد الإنسان وأساس تكامله اللامحدود ويقرّون ويعترفون بأن للإنسان في هذه الحياة الدنيا هدف نهائي واضح ومحدد . هؤلاء غرباء عن مدرسة الأنبياء وتعاليم الأديان السماوية ، ولا يؤمنون بالعوالم

(١) غربت غرب ، صفحة ١٨ .

الأخرى بعد الموت والحياة الأبدية في الآخرة، ويتصورون بأن حياة الإنسان تقتصر على هذه الحياة الدنيا وأن الإنسان ينتهي بعد مماته ولا يبقى له أي أثر .

إنكار المعاد وتفاهة الدنيا :

ولا غرابة أن يعتبر هؤلاء (الذين لهم هذا النمط من التفكير) الحياة الدنيا تافهة لا مفهوم لها والعيش في هذا العالم الرتيب المتعب لغواً وعبثاً .

«يقول البروفسور (يونك) وهو أستاذ كبير في البحوث النفسية في الغرب : إن ثلثي المرضى الذين يأتون إليّ من أنحاء العالم لغرض المعالجة هم أفراد مثقفون وموفقون في حياتهم، ولكنهم يعانون من معضلة كبرى وهي أن الحياة في نظرهم تافهة لا معنى ولا مفهوم لها . القضية هي أن التكنولوجيا الحديثة والقوانين والأعراف والتقاليد الجافة الجامدة وقصر النظر والتعصب ، كل هذه الأمور جعلت الإنسان في القرن العشرين يبتعد عن الدين ويصبح لا دينياً تائهاً في هذا العالم يبحث عن ذاته وهو لا يذوق طعم الراحة ولا يقر له قرار حتى يعود إلى الدين ويلتزم بتعاليمه .

إذن فالابتعاد عن الدين والتخلي عنه هو السبب في جعل الإنسان يتصور بأن الحياة الدنيا تافهة لا معنى ولا مفهوم لها»^(١) .

المذهب المادي يعني الاستغلال:

الماديون لا هدف لهم من هذه الحياة سوى الحصول على المكاسب المادية وتحقيق النجاحات على صعيد العمل الدنيوي، إنهم لا يرون سوى هذه الدنيا ولا علم لهم بالعوالم الأخرى، ولهذا السبب فهم يركزون جلّ اهتمامهم على القضايا والأمور المادية ويسعون لجمع المزيد من الثروة والمال والتمتع بالمزيد من الملذات والشهوات وتوفير سبل الراحة والرفاهية لأنفسهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً .

(١) صحيفة كيهان ، العدد ٨١٩٦ .

أما أتباع الديانات السماوية المخلصون فإنهم يعتبرون الدنيا منزلاً مؤقتاً ومدرسة لبناء وتكوين الذات الإنسانية، وهم واثقون بأن الدار الأبدية للإنسان هي في عالم ما بعد الموت . هؤلاء يستفيدون من النعم والملذات الدنيوية لكي يتمكنوا من العيش بصورة طبيعية وتأمين متطلباتهم واحتياجاتهم المعيشية في هذه الدنيا وضمان سلامتهم الجسميّة، ولكنهم لا يجعلون المكاسب والأرباح المادية والثروة والمال والتمادي في اللذات والشهوات هدفاً أساسياً لهم، ولا يركزون جل اهتمامهم ومساعيهم في هذا المجال .

وبعبارة أخرى : فإن الدنيا في نظر المؤمنين الحقيقيين ليست هدفاً بل وسيلة أو أداة للوصول إلى السمو والكمال الإنساني .

الوصول إلى الكمال في ظل الإيمان:

هؤلاء المؤمنون الحقيقيون كسائر الناس يتمتعون بنعم الله ، ولكن هدفهم النهائي الوصول إلى أعلى درجات السمو والكمال . إنهم يريدون أن يصبحوا أناساً بكل معنى الكلمة، ويجسدوا قدراتهم الكامنة ويكتسبوا المعارف الإلهية ويتحلوا بمكارم الأخلاق ، ويغترفوا من مناهل العلم والإيمان والأخلاق والعمل الصالح في هذه الدنيا الفانية والاستفادة منها في دار الآخرة التي هي دار البقاء والخلود .

عن علي عليه السلام قال : «إنما الدنيا منتهى بَصَرِ الأعمى لا يَبْصُرُ ممّا وراءها شيئاً والبصيرُ يُنْفِذُهَا بَصَرَهُ وَيَعْلَمُ أَنَّ الدَّارَ وراءها، فالبصيرُ منها شاخِصٌ والأعمى إليها شاخِصٌ والبصيرُ منها مُتَزَوِّدٌ والأعمى لها مُتَزَوِّدٌ»^(١) .

استغلال الفرص:

وعن الحسن بن علي عليه السلام قال : «يا بن آدم إنك لم تزل في هدمِ عُمرِكَ منذ سقطت من بطنِ أُمِّكَ فخذ مما في يَدَيْكَ لما بين يَدَيْكَ، فإنَّ المؤمنَ يتزوّدُ والكافرَ يَتَمَتَّعُ»^(٢) .

(١) نهج البلاغة ، الخطبة ١٣٣ .

(٢) بحار الأنوار ، مجلد ١٧ ، صفحة ١٤٧ .

ومن سوء الحظ فإن الذين جعلوا البحث عن اللذات وإرضاء الشهوات هدفاً أساسياً لهم في هذه الحياة وبذلوا كل ما في وسعهم في هذا المجال سيواجهون الفشل في النهاية، لأن هناك عقبات وقيوداً طبيعية وصحية وقانونية واجتماعية وغيرها تقف في طريقهم وتمنعهم من ممارسة شهواتهم وفق ما يريدون ووفق ما تهوى أنفسهم .

الحياة الدنيا والعقبات التي تعترض سبيل الإنسان:

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن الدنيا مليئة بالصعوبات والمشاكل إلى درجة لم يعد معها الإنسان يشعر بلذة ما هو موجود في هذه الدنيا من نعم وملذات . وبدل أن تكون هذه النعم والملذات مصدر سعادة وهناء للإنسان فإنها أصبحت مصدر قلق وعذاب وألم له لأنها تتكرر باستمرار . وهناك أبيات شعرية بالفارسية تصف هذه الحالة وتقول ما معناه : إن الطرب يسبب الكآبة والحزن إذا تجاوز حده، كما أن الماء يقتل الحيوان إذا تجاوز رأسه (وغرق فيه) ، لقد ضقت ذرعاً بهذه الحياة الرتيبة ، فإني لا أريد هذه الحياة الرتيبة المتكررة حتى لو كانت حلوة كالعسل ، فحبذا لو انتهى هذا العمر الثمين أسرع ، طالما أن هذه الحياة مليئة بالصعوبات والمصائب .

من هم الذين يعتقدون بأن الدنيا تافهة؟:

إن الذين يعتقدون بأن الدنيا تافهة لا معنى لها وبالتالي فهم يعانون من هذا المرض النفسي ، هم في معظمهم أفراد لا هدف لهم سوى تأمين مصالحهم وإرضاء شهواتهم والبحث عن الملذات ، وهؤلاء إما أنهم يؤمنون بالمذهب المادي الذي يعتبر الموت فناً ونهاية للإنسان ، أو إذا كانوا يؤمنون بالله فإنهم لا يسيرون وفقاً لتعاليم الأنبياء وبالتالي لا يؤمنون بمبدأ الحياة بعد الموت ولا يعترفون بنعم وآلام غير تلك الموجودة في هذه الدنيا . فهؤلاء يفكرون من ناحية وبموجب الفطرة الإنسانية ، بالحياة الخالدة ويتمنون أن يعيشوا حياة أبدية ، ولكنهم من ناحية أخرى يشاهدون بأن الموت - الذي هو حسب

اعتقادهم - بمثابة نهاية للإنسان بجميع جوانبه وأبعاده يلاحقهم ، لذلك نراهم يتساءلون: هذا المجيء والذهاب من أجل ماذا ؟ لماذا جئنا إلى الدنيا ؟ ولماذا نذهب منها ؟ ما الفائدة من هذه الحياة الدنيوية القصيرة الأمد بما تتضمنه من ممارسات وأعمال روتينية مملة ومتعبة ؟ أليس من الأفضل أن ننهي هذا العمر بالانتحار ونضع - وبسرعة - حداً لهذه الحياة التافهة العابثة ؟ .

أما الذين يتبعون نهج الأنبياء فإنهم يؤمنون بالأديان الإلهية ونظرتها إلى هذا الكون، كما أنهم يعتقدون بالحياة بعدالممات، وهدفهم في هذه الحياة الدنيا ليس فقط الحصول على المكاسب والملذات المادية ، إنهم ينظرون إلى الحياة الدنيا والحياة الآخرة معاً وفي الوقت الذي يمارسون فيه نشاطاتهم اليومية في الدنيا فإنهم يفكرون بغدهم ويعملون أيضاً من أجل هذا الغد - أي من أجل حياة الآخرة - وهم يعرفون جيداً بأن سعادة وشقاء الإنسان في حياة ما بعد الموت مرتبط بأعماله وتصرفاته في هذه الدنيا ، ولهذا فهم يراقبون تصرفاتهم في الدنيا ويسعون للسير على الطريق القويم، طريق الخير والصلاح والقيام بواجباتهم بشكل صحيح وفق ما يأمر به الدين، كما يحاولون الابتعاد عن المعاصي والذنوب حتى لا يصيبهم الشقاء في الآخرة .

الموت يعني ولادة الإنسان من جديد:

ويرى أتباع المذاهب الإلهية الذين يؤمنون برسالات الأنبياء أن حياة الإنسان في هذه الدنيا هي كحياة الجنين في بطن أمه، والموت هو عبارة عن ولادة الإنسان من جديد .

ففترة حياة الجنين في الرحم هي فترة مؤقتة ، كما أن حياة الإنسان في الدنيا مؤقتة أيضاً . وعندما يولد الجنين فإنه يغادر محيط الرحم ويدخل إلى محيط واسع هو الدنيا ، إنهم يعزلون الطفل المولود عن كيس الرحم ويدفنون هذا الكيس في التراب، أما الجنين أو الطفل فإنه يواصل حياته . والإنسان أيضاً عندما يموت يخرج من نطاق رحم الدنيا الضيق ويدفنون جسده الذي هو بمثابة كيس الرحم في الدنيا، حيث يتلاشى هذا الجسد، أما روحه فتتقل

إلى عالم أوسع وأسمى . الجنين يخلق في بطن الأم لكي يعيش في الدنيا ويزود هذا الجنين بأعضاء وجوارح كل واحد منها ضروري ونافع على الأقل لمواصلة الحياة وتأمين السعادة والهناء للإنسان .

بناء الذات والفوز والفلاح في الآخرة:

والإنسان أيضاً لكي ينال السعادة الأبدية يجب أن يبني ذاته ويسمو بها نحو مدارج الرقي الإنساني ويزود بالكمالات المعنوية ومكارم الأخلاق لكي يتمكن من مواصلة حياته بعد الموت وبشكل يليق به كإنسان وبالتالي لكي يحظى بالفلاح والفوز في الآخرة .

كيف يحشر يوم القيامة من كان أعمى البصيرة في الدنيا:

وعلى فرض أن الجنين خلق أعمى في رحم أمه فإنه سيكون محروماً من نعمة البصر مدى الحياة وسيعاني باستمرار من فقدان نعمة البصر ، والإنسان أيضاً إذا لم ينظر بعين البصيرة في هذه الدنيا وكان أعمى القلب في الدنيا فسيحشر في الآخرة أعمى البصيرة وأعمى القلب وسيبقى يعاني ويتألم من هذا النقص إلى الأبد .

﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾^(١) .

فالنقطة الجديرة بالاهتمام هنا هي أن الجنين وهو في بطن أمه مسلوب الإرادة ولا يمكنه أن يتدخل في طريقة تكوينه وخلقه وأن يخلق نفسه بالشكل الذي يريده ويرغب فيه ، لأنه محكوم بالقوانين التكوينية ومقيّد بالعوامل الوراثية ، وهذا الجنين يتكون في الرحم بموجب سنن الخليفة وقوانين الطبيعة التي سنّها الله الخالق الحكيم . فنظام الخليفة هو الذي يكون كافة أعضاء الجنين الخارجية والداخلية ويجعل هذه الأعضاء ناقصة أو كاملة سالمة أو غير سالمة وهو الذي يجعل هذا الجنين عاقلاً أو مجنوناً ذكياً أو غيباً متعادلاً أو غير

(١) سورة الإسراء ، الآية : ٧٢ .

متعادل جميلاً أو قبيحاً عند الكبر ، وهو الذي يجبر هذا الجنين على الخروج من بطن أمه (إذ أن الجنين بحد ذاته لا دخل ولا دور له في جميع هذه الأمور ويكون بالتالي خاضعاً لسنن الخلق الإلهية) .

حرية الإنسان في بناء ذاته:

ولكن وضع الإنسان في رحم الدهر ليس كذلك فالإنسان في هذه الدنيا (وهي بمثابة رحم الأم) حرّ بإمكانه أن يجعل من نفسه إنساناً يتصف بالأخلاق والخصال الإنسانية ويصل إلى أعلى درجات السمو والتكامل الذي يليق بمقام الإنسان ، كما يمكنه أن يدير ظهره للإنسانية وينمّي في داخله الصفات البهيمية والحيوانية ويصبح بالتالي حيواناً أو أسوأ من الحيوان . والله (سبحانه وتعالى) لكي يهدي الناس ويرشدهم إلى طريق الإنسانية ، ويبين لهم طريق التسامي والتكامل ويفتح أمامهم مجال السعادة والفلاح ، فإنه بعث الأنبياء على مرّ العصور ليطلعوا الناس في كل زمان ومكان على السنن الإلهية وقوانين التشريع الإلهي وليرسموا لهم في الوقت ذاته معالم طريق السعادة وطريق الشقاء ، على أن يتركوا أحراراً في قبول التعاليم الدينية الإلهية أو رفضها .

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾^(١) .

شكر النعم أو الكفر بها:

الذين يتقبّلون الهداية الإلهية ويسیرون على نهج القوانين التشريعية الربّانية ويجعلون من أنفسهم إنساناً بكل معنى الكلمة في هذه الدنيا فإنهم يحشرون كإنسان يوم القيامة ويوضعون في مرتبة الأتقياء والفائزين حيث سينالون الأجر والثواب الإلهي الجزيل ، أما الذين يتمردون على التعاليم الإلهية ويرفضون الهداية الربّانية ولا يعيرون أهمية للإنسانية ويستهيئون بالقيم المعنوية الإنسانية

(١) سورة الإنسان ، الآية : ٣ .

ويمثلون للغرائز والشهوات الحيوانية فإنهم يحشرون يوم القيامة مع الضالين المنحرفين حيث سينالون عقابهم على ما ارتكبوه من سيئات في الدنيا .

الدنيا من وجهة نظر الأنبياء:

الدنيا من وجهة نظر الأنبياء هي كالمدرسة للبشر وكحلقة الدرس للطلبة الشباب ، ولكن نظراً لأن مفهوم العلم والمعلم يختلف من شاب إلى آخر فإن مفهوم المدرسة وتحصيل العلم يختلف أيضاً من شخص إلى آخر ، فالبعض من الطلبة الذين يشعرون بمسؤوليتهم المستقبلية يدركون بأن عليهم أن يدخلوا معترك الحياة الاجتماعية إن عاجلاً أو آجلاً ويتولوا مسؤولية ما في المجتمع ويعملوا في مهنة شريفة ليؤمنوا معيشتهم ، كما أنهم يدركون بأن مركزهم وموقعهم الاجتماعي في المستقبل يعتمد على مدى تحصيلهم العلمي وتقديمهم الدراسي في الوقت الحاضر . فهؤلاء يجتهدون ويجهدون من أجل الدراسة وتحصيل العلم ويبذلون أقصى ما بوسعهم لتكوين وبناء أنفسهم بالشكل الذي يليق بهم ويتسلحون بسلاح العلم ، إذ أن بإمكانهم زيادة قوة الفهم والإدراك لديهم عن طريق تحصيل العلم وبالتالي يستطيعون الوصول إلى مركز اجتماعي مرموق في المستقبل وفقاً لكفاءاتهم ومؤهلاتهم المكتسبة .

التفكير بالمستقبل:

هؤلاء الطلبة رغم أنهم يذهبون إلى المدرسة في كل يوم ويعودون إلى البيت ولكنهم لا يعتبرون هذا الذهاب والإياب المستمر الرتيب والمتكرر في ظاهره ، لا يعتبرونه عديم النفع والفائدة أو أمراً تافهاً ، بل إن كل مرة يذهبون فيها إلى المدرسة ويعودون منها تعتبر في نظرهم مرحلة جديدة في حياتهم العلمية لأنهم في كل مرة يذهبون فيها إلى المدرسة ويعودون يتعلمون درساً جديداً وموضوعاً لم يكونوا يعرفونه من قبل ، وأنهم في كل يوم يذهبون فيه إلى المدرسة يتقدمون بمقدار يوم واحد على طريق العلم والكمال وهو طريق لا نهاية له .

الغفلة وعدم الوعي:

وهناك طائفة أخرى من الشبان يذهبون إلى المدرسة تحت ذريعة طلب العلم ولكنهم لا يؤدون الواجبات التي تقع على عاتق طالب العلم ، فهم لا يطالعون ولا يدرسون ولا يهتمون بالمعلم ولا يتعلمون منه شيئاً ، فهؤلاء غافلون عن غدهم ومستقبلهم ولا يهتمون بمسؤوليتهم المستقبلية، ولهذا فهم لا يفكرون في المستقبل ولا يستفيدون من المدرسة لأيامهم القادمة ومستقبلهم ، ولسان حالهم يقول : ما هذا الروتين المتكرر الممل الذي لا طائل منه ؟ لماذا نذهب إلى المدرسة في كل يوم ؟ هؤلاء يحاولون بشتى السبل إنقاذ وتخليص أنفسهم من هذا العمل التافه والعديم الجدوى (حسب رأيهم) ووضع حدٍ لهذا الذهاب والإياب الممل الذي لا مفهوم له ولا معنى . أمّا في نظر أتباع الديانات السماوية الذين يؤمنون برسالات الأنبياء فإن الدنيا هي المدرسة التي يتعلّم فيها الإنسان دروس الفضيلة والكمال الإنساني . فهؤلاء الذين يعتقدون بالحياة بعد الموت ويؤمنون بمبدأ الثواب والعقاب الإلهي ، يعلمون بأن كل من يريد نيل السعادة والفلاح في الآخرة ويحصل على الأجر والثواب الإلهي الجزيل ، عليه أن يربّي نفسه في هذه الدنيا بجدارة وأن يسير في مدارج السمو المعنوي والتكامل الروحي ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، وأن يجتهد ويجاهد بقدر ما يستطيع لاكتساب المعارف الإلهية وتقوية إيمانه بالله وتهذيب نفسه خلقياً وعملياً . والخلاصة أن عليه أن يسعى لإحياء القيم الإنسانية .

السعي لإحياء القيم الإنسانية:

وعلى هذا الأساس فإن المؤمن الحقيقي يغتنم الفرصة في هذه الحياة ولا يقضي عمره إلا في الطريق الصحيح وهو خدمة وإسعاد الآخرين وبهذا فإن المؤمن الحقيقي يوظف دنياه الفانية من أجل آخرته الباقية الخالدة ، حيث «أن الدنيا مزرعة الآخرة»^(١) .

(١) حديث للرسول الأكرم ﷺ - المترجم - .

عن علي عليه السلام قال : «خُذْ مِنْ نَفْسِكَ لِنَفْسِكَ وَتَزَوَّدْ مِنْ يَوْمِكَ لِغَدِكَ» (١) .
ويقول شاعر بالفارسية ما معناه :

«يا صاحبي إن العمر لغال فاغتنمه ، إنه ميدان خير فاستفد منه ما شئت ،
فكل من لا ينثر بذراً في الشتاء فإنه يحصد اليأس في فصل الصيف» .

الواعون الذين يعرفون واجبهم:

هؤلاء الواعون هم كالطلبة الشباب الذين يدرسون بجدّ ونشاط ويفهمون
ويستوعبون بدقة كل ما يقوله المعلم أو الأستاذ، لأنهم يعرفون المستقبل الذي
ينتظرهم ويدركون بأنهم إذا انتهت مرحلة الدراسة ولم يدرسوا ويتعلموا شيئاً
فإنهم سيواجهون الخذلان والفشل في المستقبل، حيث لا يمكنهم أن يعيشوا في
مجتمع الغد بعزّة وكرامة وفخر مثل أولئك الذين أكملوا دراستهم واكتسبوا العلم
والمعرفة بجدارة ، وسيعانون باستمرار من عذاب الوجدان وتأنيب الضمير حيث
سيأسفون على ما فاتهم وسيحترقون بنار الحرمان وسيعانون بشدّة من إهمال
الآخرين لهم واستهزاء المجتمع بهم .

الحياة بهدف والوصول إلى الكمال:

الإسلام يقول : إذا قضى الإنسان عمره في طاعة الله والسير في مدارج
الكمال وتخلّق بالصفات الإنسانية وفاز برضى الله فإن حياته في الدنيا ليست عبثاً
ولغواً وعمره لم يذهب هدرأً ، بل إن حياة هادفة وعمراً مثمراً ومنتجاً ومفيداً كهذا
هو مصدر سعادة الإنسان ورفقه وتكامله الإنساني ، وهذا العمر مهما طال فإنه
يحقق للفرد مزيداً من الرقي والتكامل . إن الحياة التافهة الضارة والعمر المذموم
غير المثمر والذي لا نفع فيه ، من الأفضل أن ينتهي ويتوقف ، والحياة التي
تستخدم في طريق الباطل والآثام والذنوب ولا تهدف إلا إلى عبادة الشهوات
وإرضائها وممارسة الأفكار الشيطانية والفساد الأخلاقي ، هي حياة لا تجلب

(١) غُرر الحكم ، صفحة ٣٩٤ .

لصاحبها سوى الشقاء والبؤس ولا تؤدي به إلا إلى السقوط والضياع في الدنيا وتعرضه للعذاب الأليم في الآخرة ، والإمام علي بن الحسين عليه السلام يشير إلى هذا الموضوع في أحد أدعيته فيقول : « وَعَمَّرَنِي مَا كَانَ عُمْرِي بِذَلِكَ فِي طَاعَتِكَ فَإِذَا كَانَ عُمْرِي مَرْتَعًا لِلشَّيْطَانِ فَأَقْبَضَنِي إِلَيْكَ قَبْلَ أَنْ يَسْبِقَ مَقْتُكَ إِلَيَّ أَوْ يَسْتَحْكِمَ غَضَبُكَ عَلَيَّ » (١) .

العذاب النفسي ومحاولات الإنتحار:

أتباع المذهب المادي الذين ينكرون الآخرة ولا يؤمنون بمبدأ الثواب والعقاب الرباني ويعتقدون بأنهم ينتهون بالموت ، هم أكثر من المؤمنين بالله ومعتنقي الديانات السماوية عرضة للإصابة بداء الاعتقاد بتفاهة وعدم جدوى هذه الحياة الدنيوية ، وهم يعانون من عذاب الضمير ويقضون جانباً من عمرهم وهم في قلق واضطراب نتيجة لهذه الحياة غير الهادفة والروتينية المتعبة ، ولذلك يفقد بعض هؤلاء الماديين القدرة على المقاومة ويلجأون إلى الإنتحار للتخلص من هذا العذاب النفسي وهذه الضغوط التي يتعرضون لها من الداخل ووضع حدٍ لهذا الوضع المؤلم . هؤلاء الماديون مثلهم كمثل الشاب الذي يذهب إلى المدرسة بحجة الدراسة ولكنه لا يدرس لأنه يجهل مستقبله ويتصور أن الحياة لعبة وهو لا يشعر بالمسؤولية إزاء موقعه ودوره المستقبلي في المجتمع .

التفكير الخاطيء:

ولهذا السبب فإن الذهاب إلى المدرسة هو عمل تافه لا معنى له حسب اعتقاد الفرد الذي يؤمن بالنظرية المادية، وبالتالي فإن مثل هذا الشخص يتمنى أن تحدث هزة أرضية أو يحدث سيل أو تنشب حرب أو يقع أي حادث آخر يدمر المدرسة وما فيها ويعطل الدراسة وينتهي هذا الرواح والمجيء من وإلى المدرسة - حتى وإن كان بشكل مؤقت - .

(١) الصحيفة السجادية ، دعاء ٢٠ (مكارم الأخلاق) .

إذن من الناحية النفسية هناك ارتباط أساسي بين إنكار عالم الآخرة وإنكار الحياة بعد الموت وبين فكرة اعتبار الحياة الدنيا حياة تافهة لا جدوى ولا فائدة منها ، وقد ركز القرآن الكريم على هذه النقطة حيث يربط الله (سبحانه وتعالى) بين هاتين القضيتين بصورة استفهام إنكاري حيث قال (جلّ وعلا) :

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾^(١) .

معيّار الفوز في الآخرة:

إن الذي يؤمن بالحياة بعد الموت ويعتقد بأن السعادة والشقاء في الآخرة رهن بالتزام سبيل العفة والصلاح في هذه الدنيا ، مثل هذا الفرد لا يرى أبداً بأن الحياة الدنيا لهو ولعب وليست ذات معنى وبالتالي لا يعتبر نفسه إنساناً متمرداً لا يتحمّل أية مسؤولية في مجتمعه ، بل إنه يعتبر الدنيا مدرسة يتعلّم فيها ويتكامل معنوياً، حيث يجب عليه أن يتعلّم في هذه المدرسة المعارف الإلهية ويجدّ ويسعى في سبيل أن يتخلّق بالأخلاق الحميدة والخصال الإنسانية، ويجعل من نفسه إنساناً بكل معنى الكلمة لينال يوم القيامة الرحمة الإلهية الواسعة التي تشمل البشر .

الله يراقب حركات الإنسان وسكناته:

مثل هذا الإنسان المؤمن واثق من أن الله يراقب ويدقّق جميع حركاته وأفعاله وتصرفاته في هذه الدنيا ، وطبقاً لمبادئ الدين فإن الإنسان لا يحق له استغلال حُرّيته وقدرته كما لا يحق له أن يخطو أقل خطوة مهما كانت صغيرة خارج إطار القوانين الإلهية، لأن الإنسان يحاسب يوم القيامة عن كل ما أعطي من قدرات وإمكانات وأنه يعاقب على كل خطأ أو تقصير يصدر منه حسب طبيعة ونوع التقصير أو الخطأ .

عن النبي ﷺ قال : « لَا تَزُلُّ قَدَمَا الْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ

(١) سورة المؤمنون ، الآية : ١١٥ .

أربع : عَنْ عُمَرُ فِي مَا أَفْنَاهُ وَعَنْ شَبَابِهِ فِي مَا أَبْلَاهُ وَعَنْ عِلْمِهِ كَيْفَ عَمِلَ بِهِ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِي مَا أَنْفَقَهُ» (١) .

توضيح الهدف من الحياة:

وكانت النتيجة أن أول تأثير إيجابي مفيد ومثمر يتركه الإيمان بالآخرة والإعتقاد بمبدأ الثواب والعقاب الإلهي على حياة الإنسان الدنيوية هو أنه يجعل الإنسان يدرك الهدف من الحياة ، حيث يبدأ وعن وعي ودراية بتربية نفسه وإصلاح معتقداته وأخلاقه ، وبالتالي فهو يتخلص من وساوس تفاهة الحياة وعدم جدواها وتصبح الحياة في نظره هادفة ذات مفهوم ومعنى .

السيطرة على الغرائز

إن الغرائز والميول الطبيعية في الإنسان هي أمانة أودعها الله في الإنسان وهي ثروة حقيقية في حياة البشر ، فالغرائز هي مذكرات وكنوز قيمة أوجدها الله بإرادته الحكيمة في ذات الإنسان لكي تحثه على التحرك والعمل وبذل النشاط في هذه الحياة . والغرائز بحد ذاتها عمياء لا شعورية لا تفهم الصلاح والفساد ولا تميز بين الخير والشر، ولهذا السبب لا بد أن تخضع هذه الغرائز الإنسانية لسيطرة العقل وهيمنة الدين وبالتالي توجه في الطريق الصحيح والمثمر . على أن هذه الغرائز موجودة أيضاً في الحيوانات إلى حد ما ولكن مع هذا الفارق وهو أن الحيوان وفقاً للتوجيه الفطري يعرف حدوده في استخدام غرائزه، وهو بالتالي يعمل على إرضاء هذه الغرائز وفقاً لنظام الخليفة الذي يأخذ بنظر الاعتبار مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة والمجتمع ، ولا يستطيع الحيوان أن يتجاوز البرنامج التكويني ونظام الخليفة . أما الإنسان فإنه خلق حراً ويستطيع أن يتمادى ويفرط في إرضاء غرائزه ويتجاوز حدود المصلحة العامة وبالتالي فإن بإمكانه أن يتعدى على حقوق الآخرين وأن يرتكب الجرائم والانتهاكات بدافع حب الذات وإرضاء الميول الشخصية .

(١) مشكاة الأنوار ، صفحة ١٧١ .

سيطرة الغرائز على الإنسان تنسيه نفسه:

كثير من الناس عندما تسيطر عليهم غرائزهم الحيوانية كغريزة التكبر وغريزة الشهوة الجنسية وغريزة الانتقام وغريزة حب المال والثروة وسائر الغرائز الأخرى ، فإنهم ينسون أنفسهم ولا يعودون يرون أو يسمعون شيئاً ويتخلّون عن القيم والسجايا والصفات الإنسانية، ويلجأون في نهاية المطاف إلى ارتكاب جرائم رهيبة ويسببون الشقاء والتعاسة لأنفسهم وللآخرين .

«الميول والغرائز البشرية إمّا غرائز فردية وإمّا غرائز اجتماعية .
الغرائز أو الميول الاجتماعية مثل غريزة حب الإنسان وحب الوطن وحب النساء والزواج وعاطفة القرابة وغيرها، وهذه الغرائز أو الميول تمنع الشخص من ارتكاب الجرائم ، لأن هذه الميول والرغبات تجعل الفرد يحرص ويهتم بالمستقبل حيث أن السبب في ارتكاب الجرائم هو كراهية المستقبل والتذمر منه ومن المجتمع ومن الأفراد الذين يعيشون في المجتمع .

الميول الاجتماعية والتكامل:

الميول الشخصية أو الفردية التي نسمّيها هنا بالغرور ترتبط بوجودنا المادّي الجسدي والنفسي ، فالميول الاجتماعية تقودنا إلى الأعمال الاجتماعية وتبعث الروح والحياة في المجتمع وتؤدي إلى تكامله .
أما الميول الفردية فإنها لا تعير أهمية إلى المجتمع ولا تهتم إلا بشخصية الفرد ومصالحه التي تصبح في هذه الحالة المحور الأساسي لجميع النشاطات الفردية، وتجعل الفرد يهتم ويفكر بنفسه فقط في أي عمل يقوم به ويتخلّى عن واجباته ووظائفه تجاه الآخرين وتجاه المجتمع الذي يعيش فيه ، وفي هذه الحالة ترتكب الجريمة في ظل مختلف الغرائز والميول الفردية مثل التكبر والغرور، وتوقع التقدير والاحترام الزائد عن الحدّ من قبل الآخرين والبحث عن

السعادة والنجاح، وغريزة الحصول على الثروة والمال وغيرها من الميول والغرائز الفردية . ولكن المؤكد أن جميع هذه الميول والرغبات تنشأ من حب الذات وحب النفس .

وحب الذات هذا يجعل الفرد يضحي بالآخرين وبالتالي يصبح الفرد مجرماً محباً لذاته»^(١).

حب الذات وعلاقته بارتكاب الجريمة:

«عندما انفصلت «جرمن» عن زوجها كان هناك كثيرون يرغبون بها ولكن أيّاً منهم لم يكن مستعداً للزواج منها لأنه كانت لها ابنة في الرابعة من العمر، وكانت «جرمن» تحصل على مائة وعشرين فرنكاً في الشهر، وكان عليها أن تدفع شهرياً مائة فرنك لدار الحضانة حيث كانت ابنتها تعيش هناك، وفي الفترة الأخيرة لم تتمكن الأم من إرسال هذا المبلغ لابنتها فطردت من دار الحضانة، والأم لم تكن ترغب بأن يرى الأشخاص الذين يأتون لطلب يدها ابنتها هذه، ولهذا فهي حاولت كثيراً إرسال ابنتها الصغيرة إلى دار الأيتام ولكن الطفلة لم تُقبل في أي من دور الأيتام لأنها كانت مصابة بالسعال الديكي . ثم فكرت الأم «جرمن» بإرسال ابنتها إلى المستشفى . وبينما هي في طريقها إلى المستشفى تذكرت أن اليوم هو يوم التسوق الشعبي حيث يتجمع الناس من كل حذب وصبوب في السوق لشراء حاجياتهم، ولهذا فهي اختارت طريقاً فرعية توصلها إلى المستشفى، وفي الطريق مرّت على مرتع كبير حيث تذكرت وجود مستنقع قريب من هذا المرعى .

كانت الطفلة في حضنها وهي بين النوم واليقظة، وفي هذه الأثناء تفتح الطفلة عينيها وتنظر إلى أمها، الأم «جرمن» ترمي طفلتها في الهواء وتدير ظهرها وتذهب دون أن تنظر وراءها .

(١) چه ميدانم ؟ صفحة ١٧ .

تقول جرمن :

(لقد سمعت صوت ارتطام الطفلة بسطح الماء وبعد ذلك بنصف ساعة ذهبت إلى أحد عشاقى)»^(١) .

السبب في انتشار الفساد والانحطاط الخلقي:

إن الحرية المطلقة وإطلاق العنان للغرائز والشهوات يتناقض مع سمو المعنوي والحياة الاجتماعية والحضارة الإنسانية، وبشكل عام يتناقض مع الحياة الإنسانية المشرفة الكريمة ، لأن إطلاق العنان للغرائز والشهوات يخلّ بالنظام الاجتماعي، ويسبب الفوضى في المجتمع ويجرّه نحو الفساد والضياع والانحطاط ويسحق القيم الإنسانية ويجرّ البشر إلى الانحطاط والفساد الخلقي . ولهذا السبب فإن كافة المذاهب المادية والإلهية وكافة القادة والزعماء الدينيين والسياسيين وكافة المجتمعات البشرية متفقون في هذا المجال، ويؤكدون جميعاً على أن الحياة الاجتماعية والمحافظة على الحضارة البشرية يستلزم فرض قوانين معينة على الناس تنظم حرياتهم وتضع حدوداً وأطراً واضحة لغرائزهم وميولهم الفردية ، وهذه الضرورة يُشعرُ بها في كافة العهود والحقب التاريخية وفترات الحضارة الإنسانية . ومن هذا المنطلق توجد هناك باستمرار منذ العصور الغابرة وحتى أيامنا هذه مجموعة من المعايير والمبادئ على شكل قوانين مكتوبة أو أعراف وتقاليد سائدة في مختلف المجتمعات البشرية ، وعن طريق هذه القوانين والأعراف والتقاليد الاجتماعية يسود النظام والتفاهم بصورة نسبية داخل المجتمعات البشرية .

المشكلة الاجتماعية الكبرى:

على أن المشكلة الكبرى الموجودة في هذا المجال هي مشكلة تطبيق القوانين الوضعية . إذ ما هي القوة التي تستطيع تطبيق هذه القوانين التي تتعارض مع أهواء وغرائز الناس في المجتمعات المختلفة؟ ومن يستطيع كبح جماح الغرائز والشهوات النفسية . . ومنعها من الانفلات وإجبار الأفراد على

(١) جنابت ، صفحة ٥٥ .

الالتزام بالقوانين والتقاليد السائدة في المجتمع؟ ، وبعبارة أخرى كيف يمكن إيقاظ الشعور بالمسؤولية وإيقاظ الضمير عند الناس وجعلهم يشعرون بمسؤولياتهم وتحفيزهم وحثهم على الالتزام بالقوانين ؟ طبعاً هناك بعض القضايا التي توجد إلى حدٍّ ما في المجتمعات البشرية ، وتلعب بعض الدور في حث الأفراد على السيطرة على غرائزهم والالتزام بالقوانين ، منها على سبيل المثال : الطريقة التي يتربى فيها الفرد خلال الطفولة ، وتربية الضمير الأخلاقي وجدارة الفرد في المجتمع والمراقبة الذاتية في المجتمع والحياء العام لدى الأفراد. ولكن هذه العوامل التي ذكرناها لا يمكنها دائماً وأبداً أن تردع الناس وتمنعهم من ارتكاب المعاصي وانتهاك القوانين، لاسيما عندما تغطي الغرائز وتحدث طوفاناً في أعماق الفرد تجعله لا يفهم ولا يدرك ولا يسمع ولا يرى شيئاً بعين بصيرته ولسان حاله يقول : لا عين رأت ولا أذن سمعت .

ففي مثل هذه الحالة تبرز الحاجة إلى عامل رادع أقوى ليتمكن من السيطرة على الغرائز وكبح جماحها وردع الفرد ومنعه من ارتكاب الأعمال المخالفة للقوانين .

أساليب تطبيق القوانين:

إن أقوى وأنجع وسيلة لتنفيذ القوانين وإقرار الأمن والنظام في الدول المتقدمة هي معاقبة المخالفين والفاسدين ، حيث هناك في قوانين هذه الدول عقوبات معينة لكل نوع من أنواع الجرائم والمخالفات القانونية ، فتدرس المحاكم الملفات الجنائية وتصدر أحكامها بحق المخالفين والمجرمين وتتولى الشرطة تنفيذ هذه الأحكام .

معاقبة المجرمين:

وأجهزة الشرطة والأمن لديها إمكانيات وأجهزة متطورة في مجال التعرف على المجرمين، حيث تخصص كل دولة - وحسب مساحتها وعدد سكانها - ميزانية ضخمة، كما توظف الكوادر البشرية اللازمة للقيام بهذه المهمة . وبطبيعة الحال فإن هذه الإجراءات قد حدثت بشكل كبير من معدلات الجرائم، وأصبح الناس

يتمتعون بأمن نسبي، ولكن المجرمين يخرجون في كل يوم بحيلة جديدة ليواصلوا جرائمهم بعيداً عن أعين رجال الأمن والشرطة .

الدول المتقدمة والجرائم الرهيبة التي تقع فيها:

«في بريطانيا قام زوجان من الساديين (الساديسم هو نوع من الشذوذ حيث يشعر الشخص المصاب بهذا الشذوذ بلذة كبيرة في تعذيب الآخرين وقتلهم)^(١) بقتل طفلة صغيرة بعد تعذيبها وقاما بعد ذلك بتسجيل صوت صراخ هذه الطفلة واستغاثتها على شريط كاسيت . في باريس قام أحد السائقين بقتل سائق آخر إثر خلاف على مكان للوقوف . وفي إيطاليا قامت فتاة شابة وشقيقاها بتشكيل عصابة للسطو على المصارف . في ألمانيا قام مجهول بقتل فتاة شابة بعد اغتصابها . وفي (كواتيمالا) تم اختطاف أحد الدبلوماسيين وقتله بعد ما تبين للخاطفين أن أحداً لم يتقدم لدفع فدية مقابل الإفراج عنه . في البرازيل كان أفراد الجيش يقومون بحراسة أحد أبطال كرة القدم خوفاً من اختطافه . في أميركا كثير من النساء عندما يركبن سياراتهن يقمن بإقفال الأبواب من الداخل قبل تشغيل محرك السيارة . في الكثير من الدول الصناعية عندما تغادر المرأة أحد المتاجر فليس مستبعداً أن تكون قد قامت بسرقة شيء ما من المتجر وأخفته تحت ثيابها . في (هوليوود) قامت عصابة من الهيبيز (الخنافس) وبدون أي سبب بقتل أفراد أسرة بكاملها . هذه كلها دلائل تثبت بأن الجريمة أصبحت ترتكب بأساليب جديدة ونتيجة لاضطرابات نفسية أفرزتها الحضارة الحديثة، حيث أن التاريخ بكل مراحلها وحقبه لم يشهد كل هذه الجرائم الجماعية والاغتيالات والعنف وحوادث القتل التي لا مبرر لها والإغتصاب والشذوذ الجنسي»^(٢) .

(١) المترجم .

(٢) صحيفة اطلاعات ، العدد ١٦١١١ .

عدم الإيمان بالله هو السبب في زيادة عدد الجرائم:

إن ازدياد معدلات الجرائم في الدول الصناعية في عصرنا الحاضر له أسباب عديدة أهمها عدم الإيمان بالله وعدم الشعور بالمسؤولية أمام الله . فمعظم السكان في الدول الغربية الصناعية ينظرون إلى الإنسان من بعده المادي فقط ويغفلون تماماً عن البعد المعنوي للإنسان .

المسؤولون عاجزون عن الترويج للقيم المعنوية:

وهذه النظرة القاصرة هي كالمرض المعدي يصيب كافة أفراد المجتمع وفئاته ويمنعهم من النظر بواقعية إلى الأمور ، إلى درجة أن بعض المسؤولين في هذه البلدان هم أفراد متدينون ويؤمنون بالله ، ولكن رغم ذلك لا يستطيعون أن يخطوا أدنى خطوة في سبيل نشر وترويج القيم المعنوية ، وغرس بذرة الشعور بالمسؤولية في نفوس الأفراد من خلال التبليغ للتعاليم الدينية وتعزيز قوة الإيمان بالله عند الأفراد، وهذا من شأنه أن يقود الأفراد نحو طريق الصلاح والصدق والإخلاص من خلال الحوافز المعنوية . ولهذا السبب فقد ركز هؤلاء المسؤولون ومن بيدهم مقاليد الأمور في الدول الصناعية ركزوا جُلَّ اهتمامهم على الأساليب المادية والإستعانة بالجيش والشرطة ، والدخول في سباق التسلح وتعزيز الجيش حفاظاً على الأمن في خارج الحدود ، والسيطرة على الأمن الداخلي عن طريق تشديد العقوبات القانونية وتوسيع وتعزيز جهاز الشرطة والأمن الداخلي ، وهم لا يتطرقون أبداً إلى موضوع إحياء القيم الأخلاقية الفطرية والإستعانة بضمائر الأفراد وإحياء الكرامة الإنسانية وتربية وتنمية مكارم الأخلاق وكرامة النفس .

القيم الإنسانية أصبحت منسية:

لقد أصبح الإنسان اليوم غافلاً وبعيداً عن القيم المعنوية إلى درجة أن الكثيرين نسوا طبيعتهم الإنسانية وأن عليهم أن يعيشوا كإنسان وكبشر، وأصبحوا لا يعيرون أهمية للمكارم الأخلاقية والخصال الإنسانية باعتبارها عوامل مهمة

لضمان سعادة الإنسان وفلاحه في هذه الدنيا .

«يقول (زول موك) وزير الدفاع الفرنسي الأسبق بمناسبة الذكرى الخامسة والعشرين لإنشاء منظمة الأمم المتحدة حيث يشهد العالم تطور وانتشار أسلحة الدمار الشامل : إن توازن الرعب لا يزال هو الضمانة الوحيدة للسلام العالمي . وتتزامن الذكرى الخامسة والعشرون لإنشاء منظمة الأمم المتحدة مع وجود تيارين مختلفين يتجاذبان هذا العالم ، التيار الأول : هو التطور الحاصل على صعيد إنتاج وسائل ومعدات الدمار الشامل والإبادة الجماعية ، والتيار الثاني : هو التباطؤ الملحوظ على صعيد حل الأزمات العالمية بالطرق السلمية من خلال المفاوضات ولاسيما فيما يتعلق بالتفاوض حول نزع السلاح في العالم . وبهذا فقد أضحي العالم عالماً لا معنى ولا مفهوم له ، حيث تبادر الدول المختلفة إلى إعلان إفلاسها أو أنها تضحي بجهودها السلمية من أجل الحصول على أسلحة رهيبة وفتاكة»^(١) .

الأنبياء يعملون على تنمية المكارم الأخلاقية عند الأفراد:

الأنبياء مكلفون من قبل الله (سبحانه وتعالى) بإصلاح الناس من الداخل ، وتطهير ضمائرهم من المعتقدات الباطلة والأفكار الشيطانية والأخلاق المذمومة وزرع بذور الإيمان في قلوبهم ، وتعليمهم كتاب الله والحكمة التي هي مجموعة تعاليم الله لتوجيه البشر وإرشاده إلى الأخلاق والصفات الحميدة ، وجعله يتمتع بجميع الصفات والكمالات الإنسانية .

الإيمان كفيل بتحقيق الأمن الإجتماعي:

إن أفضل طريقة لتطبيق القوانين في مجتمع أفراده يؤمنون بالله ويتبعون

(١) صحيفة كيهان ، العدد ٨١٧٧ .

الأنبياء بصدق وإخلاص ، هي الاعتقاد بالله والشعور بالمسؤولية أمام الباريء (سبحانه وتعالى) . فالناس الذين يعيشون في مجتمع مؤمن يتربون في إطار من الصدق والشعور بالواجب واحترام حقوق الآخرين ، وبالتالي فهم لا يتجاوزون حدودهم ولا يفكرون أبداً بارتكاب الجريمة ولا يقتربون من الذنوب والمعاصي . ففي مجتمع كهذا يكون إيمان الناس بالله والتزامهم الديني بمثابة الشرطي الذي يحافظ على الأمن والنظام داخل المجتمع ، حيث لم تعد هناك حاجة إلى جهاز الشرطة وقوانين العقوبات إلا في الحالات النادرة ، وبالنسبة لبعض الأفراد المنحرفين الذين لا إيمان لهم وليس عندهم التزام ديني . وهناك أبيات شعرية بالفارسية في هذا المجال تقول ما معناه : إن الحق يعتمد على قوة الإيمان حيث لا تستطيع أية قوة أخرى أن تقف أمام قوة الإيمان المستمدة من وجود الله (سبحانه وتعالى) الذي هو مصدر الإلهام ، وإن الذي يستلهم من الشيطان أي يكون الشيطان مصدر إلهام له ، لا يمكنه أن يلهم الآخرين ويكون مصدر إلهام لهم .

فالفرد يكون مؤمناً إذا كان عنده ضمير باطني يردعه عن فعل المنكر . وفي هذه الحالة لا ضرورة لوجود الشرطي ورجل القانون (من أجل فرض القوانين بالقوة) .

إن رسالات الأنبياء جميعها تقوم على مبدئين أساسيين هما أساس كفاة التعاليم الإلهية التي جاءت بها الأديان السماوية ، وهذين المبدئين هما الإيمان بالله والاعتقاد بالآخرة . والمقصود بالإيمان بالله عند الأنبياء ليس مجرد نظرية علمية كما هو الحال بالنسبة للفلاسفة الربانيين الذين يعتقدون بأن هذا الكون أوجده خالق حكيم عليم . فليس المطلوب منا فقط هو أن ننضم إلى هؤلاء الربانيين ونرفض نظرية الفلاسفة الماديين ، بل إن المقصود بالإيمان بالله هو الاعتقاد بأن الله هو المالك الحقيقي للإنسان والكون ، وأنه المعبود الوحيد الذي يستحق أن يُعبد ، وأنه (سبحانه وتعالى) سميع بصير يسمع ما يقوله الناس ويرى أعمالهم ، وهو مطلع على كل ما يجري لهم ويحيط إحاطة كاملة بجميع أفراد

البشر ويراقب دائماً وأبداً جميع حركاتهم وسكناتهم ويعلم ما يخفون وما يعلنون .

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾^(١) .

﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾^(٢) .

ما هو المقصود بالإيمان بيوم الجزاء:

المقصود بالإيمان بعالم الآخرة من وجهة نظر الأنبياء لا يعني فقط أن تؤمن ببقاء الروح بعد الموت ، وننفي ونفند نظرية الفلاسفة الماديين التي لا تؤمن بالروح المجردة ، بل المقصود بالإيمان بالآخرة هو الاعتقاد بيوم القيامة وبمبدأ الثواب والعقاب الإلهي ، الاعتقاد باليوم الذي يبعث فيه البشر بأمر من الله ويمثلون أمام محكمة العدل الإلهية ، الاعتقاد بيوم يجد فيه كل إنسان ملفه أو صحيفة أعماله مفتوحة ومعرضة أمامه ، حيث يشاهد بأمر عينيه بأن كل الأعمال التي قام بها طوال فترة حياته في الدنيا - سواء كانت أعمال حسنة أو سيئة صغيرة أو كبيرة - مدونة ومكتوبة في سجله وفي صحيفة أعماله .

﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أُحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾^(٣) .

المنذوبون وصحيفة الأعمال:

إذن فالمقصود بعالم الآخرة هو الاعتقاد بيوم الحساب ، وهو يوم تُهيأ فيه وبأمر من الله الوسائل للحساب والتدقيق في أعمال البشر ، حيث يحاسب الأفراد

(١) سورة الفجر ، الآية : ١٤ .

(٢) سورة غافر ، الآية : ١٩ .

(٣) سورة الكهف ، الآية : ٤٩ .

وبدقة على جميع أعمالهم سواء كانت حسنة أو سيئة صغيرة أو كبيرة ، وينال كل إنسان الثواب أو العقاب طبقاً لأعماله التي قام بها في الدنيا ، وفي يوم الجزاء سيكون الله هو المحكم بين الناس ، حيث يحكم بالحق والعدل ولا تعرف ذاته المقدسة الظلم والجور .

﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً﴾^(١) .

محاسبة الناس يوم القيامة على أساس العدل:

المسلمون الحقيقيون الذين يؤمنون بيوم الجزاء استناداً إلى التعاليم والمفاهيم الدينية ويرون أنفسهم مسؤولين أمام الله ، فإنهم يراقبون باستمرار أعمالهم وتصرفاتهم ويؤدون الواجبات التي يأمرهم بها الله ويجتنبون ما ينهاهم عنه رب العالمين ويبذلون ما في وسعهم لكي لا ينجرّفوا نحو الذنوب والمعاصي والآثام لأنهم على يقين بأن أي عمل يقومون به في هذه الدنيا - حسناً كان أو سيئاً صغيراً كان أو كبيراً - سوف يسجل في صحيفة أعمالهم يوم القيامة ويحاسبون على أعمالهم في ذلك اليوم وينالون جزاءهم . إنّ هؤلاء المؤمنين بالله المعتقدين بيوم القيامة ويوم الحساب يتغلبون على غرائزهم وشهواتهم بقوة الإيمان والعقل ولا يتجاوزون حدود القانون الإلهي ولا يرتكبون المعاصي والذنوب ولا يعتدون على حقوق الآخرين وذلك بسبب التزامهم بالقيم المعنوية واعتقادهم بيوم الجزاء والحساب وبمبدأ الثواب والعقاب الإلهي .

عن موسى بن جعفر عليه السلام قال : «يا هِشَامُ رَحِمَ اللَّهُ من استحيا من الله حقَّ الحياءِ فَحَفِظَ الرَّأْسَ وما خَوَى والبَطْنَ وما وَعَى وذَكَرَ الموتَ والبَلَى وَعَلِمَ أَنَّ الجَنَّةَ محفوفةٌ بالمكاره والنَّارَ محفوفةٌ بالشَّهوات»^(٢) .

(١) سورة الأنبياء ، الآية : ٤٧ .

(٢) تحف العقول ، صفحة ٣٩٠ .

المخلوق يستحي من الخالق:

إن الذي يريد جنة الخلد فعليه أن يتقبل - ويرحابة صدره - المشاكل والصعوبات التي تعترض سبيل تربية وتزكية النفس في هذه الدنيا ، وأن يعتاد ويكيف نفسه على الصعوبات التي تواجهه ، وهو يسعى للعميل بما أمره به الله وتجنب ما نهى عنه الله ، وإن الذي يريد أن يحفظ نفسه من عذاب جهنم عليه أن يتغلب على أهوائه النفسية وشهواته اللامشروعة التي نهاه الله عنها .

تجنب الظلم:

عن عليّ عليه السلام قال : «والله لأن أبيت على حاك السعدان مسهداً أو أجر في الأغلال مصفداً أحب إليّ من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد وغاصباً لشيء من الحطام»^(١) .

إذن ، فالإيمان بيوم الجزاء والإعتقاد بمبدأ الثواب والعقاب الإلهي يترك تأثيره على الفرد ، فيجعله قادراً على السيطرة على غرائزه وأهوائه وميوله النفسية ، كما يجعله قادراً على تجنب المعاصي والذنوب والابتعاد عن الجرائم .

فالشخص الذي يوقن بالآخرة ويرى نفسه مسؤولاً أمام الله ومعرضاً للحساب يوم القيامة يراقب تصرفاته وأعماله باستمرار وبشكل تلقائي ، وليست هناك حاجة للشرطة لكي تراقبه كما لا حاجة للعقوبات القانونية .

ومثل هؤلاء الأشخاص يؤدون الواجبات التي فرضها الله وبالتالي فإن تصرفاتهم هي نفسها في السر وفي العلانية ، فهم يراعون ويحترمون حقوق الآخرين دائماً وأبداً وفي جميع الأحوال ، وذلك في سبيل مرضاة الله ، كما أنهم لا يقربون المعاصي والذنوب ومن منطلق معتقداتهم الدينية يحاولون جهد إمكانهم عدم تجاوز حدود الحق والعدالة .

(١) نهج البلاغة ، خطبة ٢٢٤ .

الحياة المادية وتقبل المسؤولية:

٢ - إن متطلبات الحياة اليومية وما تتضمنه من ضرورة الحفاظ على الحضارة الإنسانية ، تفرض على كل فرد أن يكون عضواً مفيداً ونافعاً يتحمل مسؤولياته في المجتمع ، ويمارس أعماله وي بذل جهده لإدارة شؤون حياته وتأمين احتياجاته المعيشية ومتطلباته الاجتماعية .

هذه الأعمال التي لها قيمة اقتصادية ومالية ويمكن تقييمها بالنقود موجودة في جميع الدول المتقدمة والدول النامية على حدٍ سواء مع اختلاف في طبيعتها وطريقة إنجازها . وفي ظل هذه الأعمال والنشاطات اليومية العادية تدور عجلة الحياة وتتواصل حياة الإنسان المادية .

الإهتمام بالقيم الإنسانية:

إن الوصول إلى سمو النفس والحياة التي تسودها القيم المعنوية والأخلاقية ، تتطلب من الإنسان ممارسة النشاطات الإنسانية والمعنوية والروحية إلى جانب نشاطاته المادية وجهوده الحيوانية التي تؤمن متطلباته الدنيوية ، حيث أن مثل هذه النشاطات المعنوية الإنسانية التي تجسّد كرامة النفس الإنسانية هي التي تجعل من الفرد إنساناً واقعياً بكل معنى الكلمة وتنتشلهُ من حضيض الحياة الحيوانية البهيمية إلى قمة السموّ الإنساني . ويوجد في العالم أفراد ساروا في طريق معرفة الذات وشقوا طريقهم نحو الإنسانية إلى حدٍّ ما ، ولكن تربية هؤلاء الأشخاص الأجلاء الذين تمكنوا من الوصول إلى هذه الدرجة من الإنسانية لم تكن قائمة على الأسس المادية وأسس الرفاه الإقتصادي والمادي ، بل إنهم وصلوا إلى هذه المرتبة من خلال الجهاد مع النفس والسيطرة على الغرائز الحيوانية وتنمية القيم الخلقية والضمير الإنساني وحب الآخرين ، وهذا هو ما دعا إليه الأنبياء والمرسلون .

الأنبياء وتربية النفس:

لقد كانت مهمة أنبياء الله على مرّ الأزمنة والعصور هي تربية البشر وزرع

القيم الإنسانية في نفوسهم ودعوتهم إلى التعاون وتحكيم الضمير ، وكظم الغيظ والعفو عن الناس وتجاهل سيئاتهم وأخطائهم ، ومحبة الآخرين والإنفاق والتضحية والإيثار وسائر المكارم الأخلاقية والصفات الإنسانية .

وقد بعث نبي الإسلام الكريم ﷺ من أجل ترويح وترسيخ هذه القيم الإنسانية والأخلاقية في نفوس الناس ، حيث يقول ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»^(١) .

كبح جماح الميول والرغبات اللامشروعة

إن الإلتزام بمكارم الأخلاق وبالصفات والسجايا الإنسانية والوصول إلى التكامل الروحي وكرامة النفس يتطلب منا كبت الميول الغريزية وقمع الأهواء النفسية ومخالفة الشهوات والرغبات الحيوانية . ولا يستطيع الوصول إلى هذه المرتبة والإلتزام عملياً بمكارم الأخلاق إلا من كانت في داخله قوة منيعة تساند وتدعم الخلق الكريم ، وبالتالي تعزز وتقوي إرادتهم وعزيمتهم ليتمكنوا - وبالاعتماد على هذه القوة الباطنية - من السيطرة على أهواء النفس والغرائز وإخضاعها ، والسير على طريق مكارم الأخلاق بإرادة وعزيمة راسخين ، وطبقاً لما جاء به الأنبياء ، فإن جلب رضى الله والإيمان بالآخرة والإعتقاد بالشواب الإلهي هي أقوى دعم للسجايا والخصال الإنسانية .

إعلاء كلمة الحق والأجر والثواب الإلهي:

الذين يؤمنون برسالات الأنبياء يعلمون بأن التضحية بالمال والنفس في سبيل الله ومن أجل إعلاء كلمة الحق وإقامة العدل وإزالة الظلم ومساعدة المحتاجين وسائر الخصال الحميدة ، من شأنه أن يجلب رضى الله (سبحانه وتعالى) ، حيث يكافأ الإنسان يوم القيامة بأضعاف ما قام به من أعمال الخير في الدنيا .

(١) مستدرک وسائل الشيعة ، المجلد ٢ ، صفحة ٢٨٢ .

فهذه الحالة الروحية والإطمئنان النفسي يمنح القوة والطاقة للفرد المؤمن ممّا يجعله يغض النظر عن إرضاء جانب من غرائزه وميوله ويتنازل عن أعزّ وأغلى وأثمن شيءٍ في حياته .

عن عليّ عليه السلام قال : «مَنْ أَيْقَنَ بِالْخَلْفِ جَادَ بِالْعَطِيَّةِ» (١) .

حب الشهادة:

إن غريزة حُب الحياة والرغبة في العيش هي من الغرائز القوية لدى الإنسان ، فالفرد - وفي الأحوال الطبيعية - مستعد للتنازل عن منصبه ووطنه وأرضه وبيته وأمواله في سبيل أن يبقى حياً ، ولكن هؤلاء الأفراد أنفسهم عندما يعتنقون الإسلام ويؤمنون حقيقة بتعاليم الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ويدركون قيمة التضحية في سبيل الله ، فإنهم يصبحون من عشاق الشهادة ويستقبلون الموت في سبيل الله بكل رغبة وشوق ورحابة صدر ، حيث يتمنون أن يقتلوا في ميادين الجهاد ، لأن الدين علمهم بأن الإنسان لا ينتهي ولا يُفنى بالموت ، بل ينتقل من عالم إلى آخر . فما أروع أن ينتقل الإنسان إلى عالم الآخرة عن طريق الشهادة ، أي أن يقتل ويموت في سبيل الله لينال الثواب الإلهي الجزيل الذي يعطيه الله للشهداء .

قال الإمام السّجاد عليه السلام : يوم عاشوراء عندما احتدم القتال وازدادت نار الحرب لهيباً ، خاطب الإمام الحسين عليه السلام أصحابه الميامين المؤمنين قائلاً لهم : «صَبْرًا بَنِي الْكَرَامِ فَمَا الْمَوْتُ إِلَّا قَنْطَرَةٌ تَعْبُرُ بِكُمْ عَنِ الْبُؤْسِ وَالضَّرَاءِ إِلَى الْجَنَانِ الْوَاسِعَةِ وَالنَّعِيمِ الدَّائِمَةِ فَأَيُّكُمْ يَكْرَهُ أَنْ يَنْتَقِلَ مِنْ سِجْنٍ إِلَى قَصْرِ» (٢) .

الموت في سبيل الله:

يقول «جلال الدين محمد بلخي» في كتاب «مشنوي»: إن حمزة عمّ

(١) بحار الأنوار ، المجلد ١٧ ، صفحة ١٠١ .

(٢) نفس المهموم ، صفحة ١٥٣ .

النبي ﷺ عندما كان يذهب للحرب في شبابه كان يلبس الدرع حتى لا تؤثر فيه ضربات السيوف وطعنات الرماح، ولكن عندما آمن بالرسول واعتنق الإسلام غير من عاداته هذه وصار لا يلبس الدرع عندما يذهب للجهاد ضد الكفار والمشركين ، فقال له البعض : إنك كنت في قمة شبابك وفي أوج قوتك تلبس الدرع عند ذهابك إلى الحرب، والآن حيث تقدمت بك السن إلى حدٍّ ما وضعفت أصبحت تواجه العدو بدون درع ؟ ألم يقل الله في محكم كتابه : ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾^(١) لماذا تعرض نفسك للخطر والموت بعملك هذا ؟ .

كلام حمزة عم النبي (ص):

فأجابهم حمزة بأبيات شعرية مضمونها: (إني عندما كنت شاباً كنت أرى في الموت نهاية لحياتي، فكيف لي أن أذهب إلى الموت حاسراً أعزلاً ؟ أما الآن فإني وبنعمة الإيمان والإسلام أصبحت لا أخشى من الموت ولا أرى في الموت نهاية لوجودي .

فالذي يعتبر الموت هلاكاً ونهايةً له يستشهدُ بآية : ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ ، أما الذين يعتبرون الموت فوزاً وفلاحاً فإنهم لا يخشون شيئاً حيث يقول (تعالى) :

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾^(٢) .

الإيمان بالقيامة والتضحية في سبيل الله:

والأثر الثالث الذي يتركه الإيمان بالقيامة وبالأجر والثواب في الآخرة على الفرد هو أن مثل هذا الإيمان يجعل الفرد يسير على طريق التضحية والإيثار والالتزام بمكارم الأخلاق ، لأن التضحية والقيام بأعمال أخلاقية وإنسانية كبيرة تتطلب من الإنسان أن يتنازل عن بعض غرائزه وأهوائه النفسية ويقمعها، وهذا لا

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٩٥ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ١٣٣ .

يمكن أن يتم إلا عن طريق الحافز الذاتي والمحرك الباطني في الإنسان .
فالمؤمنون برسالات الأنبياء وباليوم الآخر وبمبدأ الثواب الإلهي عندما تتطلب
الظروف ذلك، فإنهم يضحون بالمال والنفس والمنصب والجاه والأولاد والزوجة
من أجل الأهداف الإسلامية والإنسانية السامية، وهم لا يخافون من المشاكل
والصعوبات ويتحملون أشد المصاعب والمحن برحابة صدر لأنهم مطمئنون بأن
الله سيعطيهم الأجر والثواب يوم القيامة .

الفطرة الإنسانية والأخلاق الكريمة:

وجدير بالإشارة هنا بأن الأخلاق الفاضلة هي من الميول الإنسانية السامية
وهي موجودة في فطرة الإنسان ، والأفراد المتقون المحبّون للفضيلة إذا أرادوا أن
يتمتعوا بالصفات والخصال الإنسانية والكمالات الخلقية فبإمكانهم وبدافع من
الغريزة الفطرية والميول الطبيعية الكامنة فيهم حتى إذا لم يكن عندهم إيمان
واعتقاد بالآخرة وبالتالي لم يتوقعوا أجراً من الله ، بإمكانهم أن يوقظوا في
نفوسهم الشعور بحب الآخرين والتضحية في سبيلهم وقمع أهوائهم النفسية
وغرائزهم اللاإنسانية والسيطرة عليها والالتزام بالقيم الإنسانية والتحلي بالخلق
الكريم واستخدامها في التعامل مع الآخرين .

مثل هؤلاء الأفراد وإن كانوا مشركين لا يؤمنون بالإسلام فإن الإسلام يكنّ
لهم احتراماً كبيراً . كما أن الأنبياء والأوصياء والأئمة عليهم السلام يكرمون ويقدّرون
هؤلاء الأفراد نظراً لما يتحلّون به من الأخلاق الحميدة والصفات الإنسانية .
ولهذا السبب فعندما أُدخل الأسرى من قبيلة «طي» إلى المدينة ، عرّفت ابنة
حاتم الطائي نفسها للرسول صلّى الله عليه وآله وسلم وطلبت منه أن يعفو عنها ويُطلق سراحها
فقال صلّى الله عليه وآله وسلم: «خَلُّوا عنها فإنَّ أباهَا كَانَ يُحِبُّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»^(١) .

(١) مستدرک وسائل الشيعة الجزء الثاني ، صفحة ٢٨٤ .

محبة الناس وأهميتها في الإسلام:

إن الأخلاق الفاضلة هي دليل على السمو الاجتماعي والحياة الإنسانية الرفيعة . وحرّيُّ بأبناء البشر مهما كانت انتماءاتهم العرقية والقومية أو العقائدية أو الدينية أن يخطوا في هذا الطريق ، طريق محبة الناس وأن يتحلّوا بالأخلاق الفاضلة ويعيشوا مع بعضهم البعض بمحبة ووثام وتعاون ليتمتعوا بالسعادة

عن عليّ عليه السلام قال : « لو كُنّا لا نرجو جنةً ولا نخشى ناراً ولا ثواباً ولا عقاباً لكان ينبغي لنا أن نطلب مكارم الأخلاق فإنّها ممّا تدلُّ على سبيل النّجاح » (١).

(١) مستدرک وسائل الشيعة الجزء الثاني ، صفحة ٢٨٣ .

المحاضرة الثالثة

حول الملائكة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ يَتُوفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾^(١).

ثلاثة أيام مهمة ومصيرية في حياة الإنسان:

في حياة البشر هناك ثلاثة أيام على درجة كبيرة من الأهمية من الناحية الدينية، حيث يقع فيها أكبر تطور في حياة كل إنسان، وهذه الأيام الثلاثة المهمة في حياة الإنسان هي يوم الولادة أي اليوم الذي يولد فيه الإنسان، واليوم الذي يموت فيه واليوم الذي يبعث فيه وهو يوم القيامة . في هذه الأيام الثلاثة ينتقل الإنسان من عالم إلى آخر حيث تتغير جميع ظروف وقوانين حياته ، فعند الولادة يغادر الإنسان رحم الأم ويأتي إلى هذه الدنيا وهو يحمل معه جميع الصفات الحسنة والسيئة التي ورثها من آبائه وأجداده وجداته القريبين والبعيدون ، كما يحمل معه جميع الخصال الجيدة وغير الجيدة التي اكتسبها خلال فترة وجوده في رحم أمه .

أما في يوم الممات فإنه يغادر هذه الدنيا إلى عالم البرزخ وهو يحمل معه جميع أعماله التي قام بها في الدنيا، سواء كانت أعمالاً حسنة أو أعمالاً سيئة

(١) سورة السجدة ، الآية : ١١ .

حيث يرى نتائج أعماله تلك على شكل ثواب أو عقاب . أمّا اليوم الثالث من الأيام المصيرية في تاريخ حياة كل إنسان، فهو اليوم الذي يُبعث فيه الإنسان ويحيا مرة أخرى بجسمه وروحه حيث يغادر عالم البرزخ والقبر ليدخل عالم القيامة، وهو عالم يسوده الهلع والخوف حيث يعيش في عالم القيامة فترة انتظار صعبة ومرهقة للغاية حتى يحين وقت الحساب، حيث يحصل على ثواب أعماله إذا كانت حسنة أو على عقاب أعماله إذا كانت سيئة .

حديث للإمام الرضا عليه السلام:

عن ياسر الخادم قال سمعتُ أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول : «إِنَّ أَوْحَشَ مَا يَكُونُ هَذَا الْخَلْقُ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ يَوْمَ وَلَدَ وَيَوْمَ يَخْرُجُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ فَيَرَى الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَمُوتُ فَيَعَايِنُ الْآخِرَةَ وَأَهْلَهَا وَيَوْمَ يَبْعَثُ حَيًّا فَيَرَى أَحْكَامًا لَمْ يَرَهَا فِي دَارِ الدُّنْيَا وَقَدْ سَلَّمَ اللَّهُ عَلَى يَحْيَى عليه السلام فِي هَذِهِ الثَّلَاثَةِ الْمَوَاطِنَ وَأَمَّنَ رَوْعَتَهُ فَقَالَ ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ سُورَةُ مَرْيَمَ آيَةُ ١٥ وَقَدْ سَلَّمَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَى نَفْسِهِ فِي هَذِهِ الثَّلَاثَةِ الْمَوَاطِنَ وَقَالَ ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ سُورَةُ مَرْيَمَ آيَةُ ٣٣» (١) .

أول منزل هو منزل الآخرة:

إن أول موضوع في مبحث المعاد يجب أن يحظى بالاهتمام ويبحث بجميع جوانبه قدر المستطاع هو موضوع الموت ، ذلك أن كل فرد عندما ينتهي أجله وعمره في هذه الدنيا ويموت فإن حياته المؤقتة في هذه الدنيا تنتهي وتبدأ حياته الخالدة الأبدية في عالم الآخرة .

آخر منازل الدنيا :

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : «اذْكُرُوا هَادِمَ اللَّذَاتِ فَقِيلَ وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ : الْمَوْتُ ، فَمَا ذِكْرُهُ عَبْدٌ عَلَى الْحَقِيقَةِ فِي سَعَةٍ إِلَّا ضَاقتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا وَلَا

(١) تفسير البرهان ، صفحة ٦٥٦ .

في شدة إلا اتسعت عليه والموت أول منزل من منازل الآخرة وآخر منزل من منازل الدنيا فطوبى لمن أكرم عند النزول بأولها وطوبى لمن أحسن مشايعته في آخرها» (١) .

عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال : « لكل دار باب وباب دار الآخرة الموت » (٢) .
الإنسان في غفلة عن الموت:

رغم أن الموت قدر محتتم قدره الله (تعالى) لكل إنسان وهو أمر لا مرد عنه ولا رجوع ، فإن معظم الناس يغفلون عن الموت لشدة تعلقهم بالدنيا وحبهم للحياة والآمال الكثيرة التي يحلمون بتحقيقها في هذه الدنيا ، وهم بالتالي ينهمكون في هذه الدنيا وكأن الموت لن يطرق بابهم في يوم من الأيام ويقبض أرواحهم وينهي حياتهم .

اليقين الشبيه بالشك:

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : « لم يخلق الله عز وجل يقيناً لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت » (٣) .

لا شك بأن الغفلة عن الموت تلعب دوراً مؤثراً وفاعلاً جداً في إدارة شؤون الحياة وإعمار هذا العالم ، أي لو كان الإنسان مخلوقاً بطريقة لا يغفل فيها عن الموت أبداً ويعيش في قلق دائم حيث يلاحقه شبح الموت باستمرار عندها سيفقد الإنسان رغبته في الحياة وعشقه لها، حيث أن هذه الرغبة في الحياة هي التي تحث الإنسان على النشاط والعمل والإبداع من أجل البناء والإعمار . ولولا غفلة الإنسان عن الموت لكان هذا الإنسان يعيش في حالة نفسية سيئة كالمريض الذي يعاني من مرض عضال لا علاج له عجز الأطباء عن معالجته وأصبح يائساً من الحياة . ومن الطبيعي أننا لا نتوقع من أفراد كهؤلاء يعانون من

(١) بحار الأنوار ، المجلد ٣ ، صفحة ١٢٨ .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، المجلد ٢٠ ، صفحة ٣٤٥ .

(٣) الخصال للصدوق ، صفحة ١٤ .

مرض كهذا أن يمارسوا حياتهم اليومية بنشاط وسرور ، فهؤلاء يلزمهم القلق والإضطراب ليل نهار وعلى الدوام وتنقضي أعمارهم بالهم والغم والأسى .

هكذا تقتضي حكمة الله ومصلحته:

ولعل ما ذكرناه من قبل عن الإمام الصادق عليه السلام هو خير دليل على هذا الأمر .

فالإمام الصادق يشير في بداية حديثه عن الخلقة الإلهية وكأنه يريد أن يقول بأن الحكمة والمصلحة الإلهية اقتضت بأن يخلق الناس على نحو يبدو الموت المحقق والمؤكد في نظرهم أمراً غير مؤكد ومشكوكاً فيه، وذلك لكي لا يتسرب اليأس إلى قلوبهم ويشغلهم التفكير بالموت عن ممارسة النشاط والعمل ومواصلة مسيرة البناء والإعمار في هذه الدنيا ، ولكن رغم ذلك فإن الإنسان يجب أن لا يعتبر نفسه بعيداً جداً عن الموت ويمني نفسه بالآمال الكثيرة التي لا تتحقق ويغمض بصيرته عن رؤية الحقيقة ورؤية واقعه .

عن علي عليه السلام قال : « من رأى الموت بعين يقينه رآه قريباً ومن رأى الموت بعين أمله رآه بعيداً »^(١) .

ولكي لا يتمادى الإنسان - ونتيجة غفلته عن الموت - في الأمور المادية وينهمك إلى أبعد الحدود في القضايا الدنيوية، ولكي لا يتجه نحو السقوط والانحطاط الخلقي والفساد والرذيلة ، فإن من الضروري إخراجهم من غفلته الطبيعية وإعادةه إلى الواقع بالأساليب التربوية، وبطريقة تجعله يتذكر الموت بين الحين والآخر وبمحض إرادته، وبالتالي يأخذ العبرة من ذلك المصير المحتوم وبهذا يعصم نفسه من الذنوب ويتجنب انتهاك حقوق الآخرين .

والأئمة عليهم السلام ومن خلال برامجهم وإرشاداتهم الأخلاقية أعطوا أهمية قصوى لمسألة الموت، ومن خلال الروايات العديدة أوصوا لشيعتهم بالإكثار من ذكر

(١) فهرست غرر الحكم ، صفحة ٣٧٣ .

الموت، وأكدوا بأن ذكر الموت يترك في الأفراد الواعين المؤمنين آثاراً مفيدة ويهذب أخلاقهم ويجنبهم المعاصي والآثام ويحقق لهم السعادة والفلاح .

ذكر الموت وأثره في إصلاح الباطن:

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : « ذِكرُ الموتِ يُميتُ الشهواتِ في النَّفسِ وَيَقْلَعُ منابتَ الغفلةِ وَيُقَوِّي القلبَ بِمواعِدِ الله وَيُرِقُّ الطَّبَعُ وَيَكْسِرُ أَعْلَامَ الهوى وَيُطْفِئُ نارَ الحرصِ وَيُحَقِّرُ الدُّنيا وهو معنى ما قال النبي ﷺ فَكُرْ ساعةً خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةٍ سَنَةٍ »^(١) .

وعن علي بن أبي طالب عليه السلام قال : « ومن أكثر من ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير »^(٢) .

عند الموت ينكشف غطاء الغيب:

عندما يأتي أجل الإنسان وتأتي ساعة الموت فإنه يرى الملائكة وينكشف عندها غطاء الغيب، فيرى الميِّت عالم البرزخ ويطلع على حاله وأوضاعه بعد الموت .

ويقول ابن عباس : (ما من مؤمن يحضره الموت إلا عرضت عليه الجنة قبل أن يموت فيرى موضعه فيها)^(٣) .

ما يراه الإنسان المؤمن أثناء الإحتضار:

عن أبي بصير قال : قُلْتُ لأبي عبد الله (جعفر الصادق) عليه السلام قوله (عز وجل) : ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾^(٤) .

فقال عليه السلام : « إِنَّهَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ثُمَّ أُرِيَ مَنْزِلَهُ مِنَ الْجَنَّةِ فيقول :

(١) بحار الأنوار ، المجلد ٣ ، صفحة ١٢٨ .

(٢) نهج البلاغة ، الكلمة ٣٤٩ .

(٣) لآلئ الأخبار ، صفحة ٣٧٨ .

(٤) سورة الواقعة ، الآيات ٨٣ إلى ٨٧ .

رُدُونِي إِلَى الدُّنْيَا حَتَّى أُخْبِرَ أَهْلِي بِمَا أَرَى فَيَقَالَ لَهُ : لَيْسَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلٌ^(١) .

يمكن القول إن من جملة الأمور الغيبية التي يشاهدها الشخص المحتضر وتشير إلى ارتباطه بعوالم بعد الموت هي رؤية الملائكة وما يدور بينها من حديث ونظراً لأن القرآن الكريم تطرق إلى ذكر الملائكة في مناسبات وموارد كثيرة واعتبر موضوع الاعتقاد بوجود الملائكة من القضايا الاعتقادية عند المؤمنين، ومع الأخذ بنظر الاعتبار أن ملك الموت أو مساعديه يحضرون ساعة الإحتضار، وأن المحتضر نفسه يشاهدهم ومع العلم بأنه طبقاً لنصوص الآيات القرآنية والأحاديث والروايات، فإن كافة مراحل ما بعد الموت من سؤال القبر وعذاب القبر والنفخ في الصور والحساب وسائر الأمور الأخرى المتعلقة بالآخرة تقوم بها الملائكة ، فإنه من المناسب من خلال بحثنا حول المعاد أن نتطرق إلى بعض صفات وخصائص الملائكة والمهام التي تقوم بها والوظائف المكلفة بها والتي ورد ذكرها في الأحاديث والروايات وذلك قبل أن نخوض في موضوع الموت .

الملائكة حسب ما أخبرنا به الأنبياء:

والهدف من التطرق إلى موضوع الملائكة وصفاتها ومهامها هو أن يتعرف القارئ الكريم عليها بشكل أفضل من الناحية الدينية وذلك من خلال بحثنا لموضوع المعاد .

١ - الملائكة هي من جملة المخلوقات الإلهية وقد أبلغ الله الأنبياء بخلق الملائكة وذلك من خلال الوحي . وقد صرح الأنبياء بدورهم بوجود الملائكة ، وأن المسلمين مكلفون بالاعتقاد بوجود الملائكة باعتباره من ضرورات الدين وذلك بالاستناد إلى الوحي الإلهي وما أخبر به النبي الأكرم ﷺ .

﴿عَٰمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾^(٢) .

(١) الكافي ، المجلد ٣ ، صفحة ١٣٥ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٨٥ .

الملائكة تؤدي واجباتها التي يكلفها بها الله:

٢ - الملائكة هي مخلوقات حية ومُدركة عاقلة عالمة ومطبعة وهي تتمتع بحرية التصرف وتؤدي أي واجب وأية مهمة يكلفها بها الله على أحسن وجه .

أوصاف الملائكة:

وحول خلق الملائكة يقول علي عليه السلام: «وملائكة خلقتهم وأسكنتهم سمواتك فليس فيهم فترة ولا عندهم غفلة ولا فيهم معصية هم أعلم خلقك بك وأخوف خلقك منك وأقرب خلقك إليك وأعلمهم بطاعتك ولا يغشاهم نوم العيون ولا سهو العقول ولا فترة الأبدان» (١) .

٣ - إن الإنسان الذي يجهل حقيقة الملائكة يجهل أيضاً كيفية خلق الملائكة ، فالملائكة لم تكن في أصلاب آبائها ولا في أرحام أمهاتها ، بل هي موجودات أنشأها الله إنشاءً، وتقول بعض الروايات المنقولة عن الأئمة عليهم السلام: أن الملائكة خلقها الله من نور .

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : «إن الله عز وجل خلق الملائكة من نور» (٢) .

الأنبياء ومَلَك الوحي:

٤ - الملائكة هي كائنات عالم الغيب، وإنَّ البشر طالما يعيش في هذه الدنيا وينظر من البعد المادي فإنه لا يستطيع رؤية ومشاهدة الملائكة . الأنبياء وبإذن من الله (تعالى) كانوا يشاهدون مَلَك الوحي في دار الدنيا ويتحدثون معه ويأخذون منه الوحي الإلهي .

عن زُرارة عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : «الرَّسُولُ الذي يأتيه جبرئيل فيكلمه ويراه كما يرى أحدكم صاحبه» .

(١) كتاب السماء والعالم ، صفحة ٢٢٧ .

(٢) كتاب السماء والعالم ، صفحة ٢٣٠ .

الملائكة والمهام الإلهية:

الملائكة مجموعات مختلفة لها درجات ورتب متفاوتة وكل مجموعة مكلفة بمهمة معينة من قبل الله تناسب مع مقامها المعلوم عند الله . فبعض مجموعات الملائكة تتولى مهام الوحي والإلهام الإلهي وكذلك تنفيذ الأمور والقضايا المتعلقة بالثواب والعقاب التشريعي ، والبعض الآخر من الملائكة مكلف بالقضايا التكوينية ومسؤولية إدارة نظام الخليقة . وقد أشار القرآن الكريم في آيات عديدة إلى طبيعة المسؤوليات والمهام الموكولة إلى الملائكة، وسوف نشير في كل بحث من البحوث التي نتطرق إليها في هذه المحاضرة والمحاضرات القادمة إلى بعض هذه الآيات .

إدارة النظام الكوني:

إحدى المهام والوظائف الحيوية والمهمة التي يكلف الله بها مجموعة من الملائكة تتمثل في إدارة شؤون الكون ونظام الوجود بشكل عام، وقد أشار الله (تعالى) في القرآن الكريم إلى مجموعة من هذه الملائكة سماها «مدبر» حيث أقسم بها (سبحانه وتعالى) في القرآن الكريم . وهناك نقطة نود الإشارة إليها في هذا المجال وهي أن تدبير وإدارة شؤون النظام الكوني هو بيد الله وهو المالك الحقيقي لكافة العوالم الوجودية وهو الحاكم المطاع والمتبع والمهيمن الوحيد على عالم الوجود بأسره .

﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (١)

وكلاء الله لتدبير شؤون عالم الوجود:

إذن فالمدبر الحقيقي للنظام الكوني الحكيم هو الله أما الملائكة المدبرون الذين يتولون إدارة عالم الوجود بأمر من رب العالمين فهم في الواقع وكلاء أو رسل الله (تعالى) حيث يقومون بتنفيذ أوامر الله التكوينية في الوقت المناسب، ولهذا السبب فإن الله (تعالى) يصف نفسه أحياناً في القرآن الكريم بأنه مدبر الأمر حيث

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٤ .

يقول (عز وجل): ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾^(١) .

وأحياناً يكلفُ الله ملائكته المقربين الذين هم بمثابة الواسطة أو حلقة الوصل بين المخلوق والخالق بمهمة تدبير شؤون العالم حيث يقول (سبحانه وتعالى): ﴿فَالْمَدْبُرَاتِ أَمْرًا﴾^(٢) .

حملة العرش الإلهي:

يقول الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام في الصحيفة السجادية ، يقول حول الملائكة التي تحمل العرش الإلهي والمكلفة بتدبير شؤون عالم الوجود ، يقول عليه السلام مخاطباً الله (عز وجل): «اللَّهُمَّ وَحْمَلَةُ عَرْشِكَ الَّذِينَ لَا يَفْتَرُونَ مِنْ تَسْبِيحِكَ وَلَا يَسْأَمُونَ مِنْ تَقْدِيرِكَ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ مِنْ عِبَادَتِكَ وَلَا يُوْثِرُونَ التَّقْصِيرَ عَلَى الْجِدِّ فِي أَمْرِكَ وَلَا يَغْفُلُونَ عَنِ الْوَلَةِ إِلَيْكَ . . . وَالْهَابِطِينَ مَعَ قَطْرِ الْمَطَرِ إِذَا نَزَلَ وَالْقُؤَامِ عَلَى خَزَائِنِ الرِّيَّاحِ وَالْمُؤَكِّلِينَ بِالْجِبَالِ فَلَا تَزُولُ وَالَّذِينَ عَرَفْتَهُمْ مَثَاقِيلَ الْمِيَاهِ وَكَيْلَ مَا تَحْوِيهِ لَوَاعِجُ الْأَمْطَارِ وَعَوَاجِلُهَا»^(٣) .

معنى العرش:

الإمام السجاد عليه السلام يذكر العرش في بداية هذا الدعاء ويخاطب الله بالقول : «اللهم وحملة عرشك» .

لقد وردت في الروايات المنقولة عن الأئمة عليهم السلام عدة معانٍ للعرش ، فبعض الروايات تقول: إن العرش هو أكبر جرم سماوي وهو من السعة بحيث يمكن أن يستوعب الكرسي بما يتضمّنه من السموات والأرض وكافة الأجرام والمجرات السماوية كما فسر العرش بمعنى البناء والقصر .

إذن فالعرش الإلهي يعني قصر الوجود ومجموعة الكون بأكملها أو بعبارة

(١) سورة السجدة ، الآية : ٥٧ .

(٢) سورة النازعات ، الآية : ٥ .

(٣) الدعاء الثالث ، الصحيفة السجادية .

أخرى فإن العرش يعني كافة عوالم الوجود التي خلقت بمشيئة الله وإرادته .
إن تدبير وإدارة شؤون كل ما هو موجود في عالم الخلقة هو من اختصاص
الله (تعالى) لأنه هو المالك الحقيقي للخلق بأجمعه وأوامره تنفذ دون نقاش من
قبل جميع الكائنات وهو الذي يسيطر ويهيمن على مجموعة عوالم الوجود .
﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى * لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا
بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾^(١) .

الله يستوي على العرش:

الملائكة المدبرون هم وكلاء ورُسل الله المنتجبون حيث كلفهم الله لتدبير
أمور العالم وقد أعطاهم (سبحانه وتعالى) العلم وأطلعهم على أسرار الخلقة
ليتمكنوا من القيام بمهمتهم الخطيرة على أكمل وجه ، وهؤلاء الملائكة يتولون
تدبير شؤون عالم الوجود أو العرش الإلهي ، وهم تحملوا هذه المسؤولية
الخطيرة والشاقة أمثالاً لأمر الله (سبحانه وتعالى) .

مقام الملائكة:

إذن، فاستناداً إلى آيات القرآن الكريم والروايات والأحاديث الشريفة ، فإن
الملائكة هي موجودات حية ومدركة وعاقلة وعالمة بخفايا الكون وعالم الخلقة
وهي كائنات مطيعة وخاضعة لله وتملك حرية التصرف والعمل فلها الخيار في ما
تقوم به . وقد خلق الله الملائكة على شكل مجموعات مختلفة ومتنوعة لكل
مجموعة حدوداً معلومة ومقاماً معلوماً ومهمة خاصة ومحددة . على أن الملائكة
كلها مطيعة وخاضعة لله تنفذ أوامره عن وعي وإدراك ولن تتمرد أو تتخلف عن
أداء واجباتها وهذا الموضوع أخذ به أتباع القرآن الكريم واعتقدوا به على مرّ
القرون والعصور من خلال ما جاءت به العقيدة الإسلامية .

تأويل لا قيمة له:

بعض الفلاسفة والحكماء يقولون بأن المقصود بالملائكة هو العقول

(١) سورة طه، الآيتان : ٦ و ٥ .

المجرّدة والنفوس الفلكيّة والقوى الكامنة في أعماق الطبيعة، وهم بذلك يفسّرون الآيات والروايات الواردة حول الملائكة بهذا المعنى ووفقاً لتصورهم واعتقادهم . وهذا التأويل لا قيمة له من الناحية العلمية وأيضاً لا قيمة له من الناحية الدينية . أما كون هذا التأويل عديم القيمة من الناحية العلمية فلأن عدداً من الفلاسفة رسموا في أذهانهم في الماضي خارطة تبين كيفية نشوء وخلق الكون وذلك استناداً إلى تقديراتهم وتصوراتهم واعتقاداتهم ، ومن أجل أن يجيبوا على بعض التساؤلات فإنهم اضطروا للحديث عن العقول المجرّدة والنفوس الفلكية وحل المشاكل التي يواجهونها من خلال هذه النظرية ، وكما نعلم فإن الفرضية طالما لم تثبت علمياً فإنها تبقى في إطار الفرضية أو النظرية ولا يمكن اعتبارها موضوعاً حقيقياً وعلمياً .

حول الملائكة:

وأما كون تأويل الفلاسفة وتفسيرهم لموضوع الملائكة فلا قيمة له من الناحية الدينية ، لأن الإسلام ينص على أن الملائكة عاقلة وعالمة وتتمتع بالإرادة وحرية التصرف ولها الخيار في ما تقوم به وهي على علم بما تقوم به من أعمال . ولكن هؤلاء السادة يقولون بأن ملائكة الأرض هي عبارة عن قوى كامنة في طبيعة وصلب الموجودات على هذه الأرض ، كقوة الجاذبية أو القوة الهاضمة في المعدة . ولكن هل أن قوة الجاذبية والقوة الهاضمة والقوى الطبيعية الأخرى هي قوى عاقلة وعالمة ؟ وهل أن هذه القوى تعمل بمحض إرادتها واختيارها ؟ وهل هي مطلعة على طبيعة ما تقوم به من أعمال ؟ الجواب على هذه التساؤلات هو بالنفي ، فالقوى الطبيعية اللاواعية التي تقوم بعملها وهي مجبرة على ذلك ، تختلف عن الملائكة العاقلة العالمة التي تقوم بعملها بمحض إرادتها وحريتها واختيارها - حسبما جاء في القرآن الكريم وأخبر به الأنبياء والأئمة - إنّ الاعتقاد بوجود الملائكة هو كالإعتقاد بالآخرة ، مستمد من الاعتقاد بالوحي الإلهي وكلام الأنبياء والمعصومين . فكما أن العقل البشري لا يدرك عوالم ما بعد الموت والحساب والميزان والشواب

والعقاب الإلهي ولا يستطيع بذاته وبصورة مستقلة أن يثبت هذه الأمور ، كذلك هو الحال بالنسبة لعالم الملائكة والتعرف على صفاتها وخصائصها فهذه الأمور تخرج عن نطاق الفكر والعقل ، والإنسان لا يستطيع أن يثبت أو ينفي هذه الأمور .

الدين والقضايا التي يعجز العقل عن إدراكها:

وبعبارة أخرى فإن بعض الأمور عقلانية أي يدركها الإنسان بعقله ويتأكد من صحتها ، ولكن هناك بعض الأمور مخالفة للعقل أي أن الإنسان عندما يفكر بها يجد أنها غير ممكنة وبالتالي يحكم العقل على بطلانها . وهناك أمور خارجة عن نطاق العقل والإنسان لا يستطيع إثباتها بقوة العقل كما لا يستطيع أن يسمح لنفسه بنفيها وإنكار وجودها كمسألة المعاد والملائكة ، فهذه أمور تتجاوز حدود العقل وأن المؤمنين بالأديان السماوية وبالأنبياء إنما يقبلون بمبدأ المعاد ووجود الملائكة ويعتقدون بهما استناداً إلى الوحي الإلهي وما أخبر به الأنبياء والمعصومون حول هذين الأمرين الغيبين .

مؤشرات تدل على وجود الملائكة:

النقطة التي يجدر بنا أن نشير إليها في هذا المجال هي أن العلماء المعاصرين ونتيجة للتقدم الحاصل على صعيد العلوم الطبيعية قد توصلوا إلى حقيقة بعض أسرار الخليفة، وأن بعض ما توصل إليه هؤلاء العلماء يمكن اعتباره دليلاً على وجود الملائكة وهو ما أكدته الأديان الإلهية والأنبياء ، كما يمكن اعتباره دليلاً على تدبير الملائكة وإدارتها لشؤون عالم الخليفة . وبعبارة أوضح وكما ذكرنا من قبل فإن هناك رغبة فطرية في الإنسان تجعله يسعى نحو الحياة الخالدة الأبدية، وهذه الرغبة الفطرية تؤكد مبدأ الحياة الخالدة في الآخرة ، وأيضاً فإن هناك في نظام الخلقة وفي عالم الوجود أمور دقيقة تؤكد وجود ملائكة التدبير والملائكة الواعية العالممة ، ولكي تتضح هذه القضية نشير فيما يلي إلى بعض هذه الملاحظات في عالم الطبيعة هذا .

الأعضاء الحيوية في الجسم تعرف وظائفها:

«يقول الدكتور الكسيس كارل : إن التنسيق بين أعضاء الجسم يتم بواسطة المحيط الداخلي والجهاز العصبي في الجسم . فكل عضو من أعضاء الجسم ينسق عمله مع الأعضاء الأخرى وهذه الأعضاء تنسق فيما بينها وهذا التنسيق يتم أساساً لتحقيق هدف معين . وإذا تصورنا وكما يقول أصحاب المذهب الحيوي (فيتاليست) والمعتقدون بالفلسفة الآلية أي الميكانيكية (مكانيست) : إنّ أنسجة الجسم تتمتع بوعي وذكاء ذاتي عندها يبدو بأن الظواهر والنشاطات الحياتية في الجسم من أجل الوصول إلى هدف معين هي نشاطات مبررة . إذن فمن المؤكد بأن العوامل والأعضاء الحياتية في الجسم تسعى إلى هدف معين ، كما لو كان كل عامل من هذه العوامل التي تساهم في استمرار الحياة في الجسم ، يعرف احتياجات مجموعة أعضاء الجسم في الحاضر وفي المستقبل ، وبالتالي فإن كل عامل من هذه العوامل يكيّف ويغيّر حالته وفقاً لتلك الاحتياجات . ولعل الزمان والمكان لهما مفهوم آخر بالنسبة لأنسجة الجسم يختلف عن مفهومهما الواقعي ، لأن هذه الأنسجة تفهم وتدرك ما هو بعيد كإدراكها لما هو قريب وتفهم المستقبل تماماً كفهمها للحاضر . فعلى سبيل المثال في نهاية فترة الحمل عند المرأة تصبح الأنسجة الطرية الناعمة للأعضاء الجنسية الخارجية عند المرأة أكثر طراوة ونعومة وتزداد قابليتها على الإلتساع، وهذا التغير في الحالة من شأنه أن يسهّل في الأيام اللاحقة أي عند الولادة خروج الجنين عن طريق هذه الأعضاء التناسلية .

إنتاج الحليب في الثديين:

وفي هذه الحالة تبدأ خلايا الثديين بالنمو والتكاثر حيث يكبر حجم

الثديين ويبدأن عملهما قبل الولادة بإنتاج الحليب لتغذية المولود ، كل هذه الأعمال نظمت دون شك استناداً لحدث مستقبلي وهدف لاحق . وطوال فترة وجود الجنين في رحم الأم فإن الأنسجة تعمل وكأنها على علم بما سيحدث في المستقبل حيث يلاحظ بوضوح التعاون والتنسيق بين أعضاء الجسم في فترتين زمنيتين مختلفتين ومكانين متفاوتتين^(١) .

ويمكن ملاحظة النشاطات الحياتية في الجسم والتي تتبع هدفاً معيناً ، يمكن ملاحظتها بوضوح من خلال قيام خلايا الدم وبالتنسيق مع أعضاء الجسم الأخرى بتعويض كمية الدم التي فقدتها الأم خلال عملية الولادة حيث تفقد الأم دمًا كثيراً . فبعد الولادة تضيق الشرايين وبذلك يزداد نسبياً حجم الدم المتبقي في الجسم كما يزداد ضغط الدم نتيجة تقلص الشرايين ، وهذا الأمر يسهل عملية جريان الدم داخل الجسم بشكل طبيعي . كما أن السوائل الموجودة بين الأنسجة والعضلات تبدأ بالدخول إلى الدورة الدموية وذلك عن طريق الشرايين الدقيقة الشعرية ، وفي الوقت ذاته تشعر الأم بعطش شديد وعندما تشرب الماء فإن الجسم يمتصه فوراً عن طريق جدران الأمعاء ، وبالتالي يدخل إلى الدورة الدموية ويعيد بلازما الدم إلى وضعها وحجمها الطبيعي وفي نفس الوقت فإن كريات الدم التي كانت مخزونة في الأنسجة المختلفة تبدأ بالخروج ، وبالتالي تبدأ العظام نشاطها في إنتاج خلايا دموية جديدة للتعويض عن كمية الدم التي فقدتها الجسم . إذن فإن سلسلة من التفاعلات والنشاطات الفيزيولوجية والفيزيوكيميائية تبدأ في كافة أنحاء الجسم ، وذلك لجعل الجسم يتكيف وينسجم ويتألف مع الوضع الجديد الذي طرأ على

(١) انسان ناشأخته ، صفحة ١٩٠ .

الجسم . إننا نلاحظ هذا التعاون والتنسيق بين أنسجة وأعضاء جسم الإنسان ولكننا لا نجد تفسيراً له»^(١) .

التنسيق بين أنسجة الجسم ظاهرة مذهشة:

الماديون يعتقدون بأن هذا التنسيق والنظام المدهش الذي يسود أعضاء وخلايا الجسم ناجم عن طبيعة الخلايا وصفاتها المميزة . لقد اعتقد هؤلاء بأن خلايا الجسم أصبحت بهذا الشكل وانتقلت خصائص كل مجموعة من الخلايا إلى المجموعة التالية عن طريق الوراثة وذلك على مدى ملايين السنين ، ونتيجة لسلسلة من التفاعلات الطبيعية والوقائع العرضية التي حدثت بطريق الصدفة في هذه الطبيعة اللأمدركة واللاشعورية وهذه التفاعلات الطبيعية حدثت دون هدف محدد .

الخصائص الطبيعية للخلايا:

هناك كثيرون من المؤمنين بالله يأخذون بفكرة الماديين وهم يرون بأن هذا التنسيق وهذا النظام السائد بين الخلايا هو نتيجة للخصائص الطبيعية والصفات التكوينية لهذه الخلايا . ولكن هؤلاء لا يؤمنون بالصدفة بل يقولون بأن الله الخالق الحكيم هو الذي خلق الخلايا وأودع فيها خصائص وصفات معينة حيث أن كل مجموعة من خلايا الجسم تتمتع بخصائص معينة وهذه الخصائص تعتبر ضرورية من أجل بقاء هذه الخلايا حية تواصل نشاطها . كما أن الله جعل في خلايا الجسم خصائص معينة أخرى في كل مجموعة من الخلايا تمكنها من التعايش مع سائر مجموعات الخلايا في الجسم والتنسيق معها . الدكتور «كارل» وهو خبير في علم وظائف أعضاء الجسد وعلم الخِلقَة وأحد علماء الأحياء الفائز بجائزة نوبل وهو من أتباع المدرسة الإلهية يؤمن بالله الحكيم ومطلع على طبيعة الخلايا وصفاتها وخصائصها ، وبعد أن قام بدراسة موضوع ارتباط الخلايا

(١) انسان ناشاخته ، صفحة ١٩١ .

بعضها من الناحيتين العلمية والتخصصية وقام بتطبيق هذا الموضوع بجميع جوانبه مع المعايير والأسس العلمية قال : (إننا نرى هذا الارتباط والتنسيق بين الخلايا ولكننا لا نعرف سبب ذلك) .

الملائكة تحافظ على النظام في عالم الوجود:

الإسلام يعتبر هذا الترابط الدقيق والمدرّوس وهذا النظام الموجود في داخل خلايا الجسم وبين مجموعات الخلايا في الجسم والذي هو جزء بسيط جداً من نظام الوجود ككل ، مستند إلى الملائكة المدبّرة . وهذه الملائكة هي عاقلة وعالمة وتتمتع بحرية الإرادة والتصرف، وقد اصطفى الله هذه المجموعة من الملائكة لتدبير وإدارة شؤون عالم الوجود العظيم وزوّد هذه الملائكة بالعلوم والمعرفة اللازمة وأوكل إليها مهمة تسيير نظام هذا الكون .

وظائف الخلايا في الجسم:

هناك في عالم الخلايا المعقّد أمور دقيقة كثيرة تجلب الانتباه ، منها أن كل نوع من أنواع الخلايا في الجسم يقوم بوظيفة معينة، وأن الله (تعالى) أطلع كل نوع من أنواع الخلايا على وظيفته التي كلفه الله بها وجعل برنامج عمل كل خلية جزءاً من كيان الخلية ذاتها يدخل في طبيعتها الفطرية . النقطة الثانية أن الخلايا بأنواعها وخصائصها المختلفة تنشأ من خلية واحدة تنقسم بعدها هذه الخلية وتسمّى (خلية التناسل) إلى مجموعات متميزة من الخلايا وذلك بصورة تدريجية . النقطة الثالثة هي مسألة التنسيق بين الخلايا عندما تدعو الضرورة إلى ذلك ، وهذه هي أهم ظاهرة حياتية لم يتمكن العلم الحديث بكل ما أحرزه من تقدم في العلوم الطبيعية من معرفة حقيقتها . ولتوضيح هذه النقاط الثلاث فإننا نستعرض فيما يلي بعض ما يقوله العلم الحديث في هذا المجال .

الصفات الخاصة بالخلايا:

«أولاً : إن الخلايا ، كالحوانات تنتمي إلى مجموعات عرقية متنوعة يتم التعرف عليها والتمييز بينها بواسطة خواصّها التكوينية التركيبية

وخصائصها الوظيفية العملية حيث أن خلايا أنسجة وأعضاء الجسم المختلفة مثل خلايا الغدة الدرقية وخلايا الطحال وخلايا الجلد هذه الخلايا تختلف عن بعضها البعض بطبيعة الحال .

الصفات الخاصة بكل نوع من الخلايا:

عندما تزرع الأنواع المختلفة من الخلايا في المختبر فإن خصائص كل نوع من هذه الخلايا تتضح تماماً ، فكل مجموعة من الخلايا تتمتع وتمتاز بصفات وخصائص معينة تبقى موجودة في الخلية حتى إذا انفصلت عن جسم الموجود الحي لسنوات طويلة . ويمكن التعرف على مجموعات الخلايا المختلفة من حيث الإنتماء العنصري أو العرقي من خلال مشاهدة طريقة تحركها وكيفية تجمعها ومعدل نموها وطبيعة المواد التي تفرزها ونوعية الغذاء الذي تحتاج إليه .

على أن القوانين التي تتحكم بكل مجموعة من الخلايا أي بكل عضو من أعضاء الجسم ترتبط بخصائص كل خلية من الخلايا التي يتكون منها كل عضو في الجسم .

إذا تم زرع مجموعة من خلايا الجلد لفترة عدة أشهر في المختبر فإنها تنمو وتتكاثر إلى جانب بعضها البعض مثل قطع البلاط أو الموزاييك أي بنفس الشكل الذي تنمو فيه عندما تكون في الجلد أو البشرة الأصلية الحية . كذلك فإن كريات الدم البيضاء التي يحتفظ بها في خارج الجسم تقوم بعملها في ابتلاع الميكروبات وكريات الدم الحمراء كما لو كانت في داخل الجسم الذي يحمي بالطبع كريات الدم البيضاء من هجوم هذه العناصر الضارة ، (كالميكروبات وغيرها) .

إن إحدى خصائص العناصر الحية هو أنها تعرف وظيفتها بدافع الفطرة ، فالخلايا في خارج الجسم بإمكانها تكوين أنسجتها الخاصة دون أن يكون لها هدف معين .

التوجيه الذاتي أو التكويني في الخلايا:

فمثلاً إذا وضعنا قطرة من الدم داخل كمية من البلازما السائلة فإن مجموعة من كريات الدم الحمراء تهبط إلى الأسفل وذلك بسبب ثقل وزنها وتسيل على شكل نهر صغير، وفي هذه الحالة سرعان ما نشاهد أن طبقة من الألياف (الفيرين) قد غطت جانبي هذا النهر الصغير مكونة أنبوباً رفيعاً تمر من خلاله كريات الدم الحمراء . وبعد ذلك تبدأ الكريات البيضاء بالانتشار على جدران هذا الأنبوب الضيق وتغلفه بواسطة زوائدها ويتكون ما يشبه الشرايين الدقيقة الشعرية . وعلى هذا الأساس فإن كريات الدم تقوم بتكوين جزء من جهاز الدورة الدموية حتى إذا لم يكن هناك قلب ولا دوران للدم ولا أنسجة تحتاج إلى دم^(١) .

إن كل نوع من الخلايا على غرار أنواع الحيوانات له صفات خاصة به وقد أودع الله (سبحانه وتعالى) في داخل الخلية الواحدة ذات التركيب المعقدة كل الأمور الدقيقة وزودها بالإمكانات اللازمة ومكنها من استخدام هذه الإمكانيات بطريقة ذاتية فطرية . وقد أشار القرآن الكريم إلى الحديث الشامل والكامل الذي وجهه موسى بن عمران عليه السلام إلى فرعون حول الخلقة وأن الله (سبحانه وتعالى) خلق جميع الموجودات بحكمة . والآية الكريمة التالية تشمل في مفهومها كافة الموجودات والكائنات الحية من برية وبحرية ومن نباتات وحيوانات وحتى الخلايا الصغيرة التي لا يمكن رؤيتها بالعين المجردة .

﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى * قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ

هَدَى﴾^(٢) .

(١) انسان ناشناخته ، صفحه ١٠٢ .

(٢) سورة طه ، الآيتان : ٤٩ و ٥٠ .

جواب موسى لفرعون:

عندما كُلف «موسى» و «هرون» من قبل الله بالذهاب إلى فرعون ودعوته إلى الإيمان بالله وعندما حضرا مجلس فرعون خاطبهما قائلاً : من هو ربكما ؟ فأجاب موسى عليه السلام : ربنا هو الذي أعطى كل مخلوق ما يستحقه ثم هداه إلى طريق الإستفادة من العطايا والنعم الإلهية .

«ثانياً : كما نعلم فإن جسم الإنسان يتكون في البداية من خلية واحدة تنقسم إلى خليتين خلال فترة نمو الجنين وكل واحدة من هاتين الخليتين تنقسم بدورها إلى خليتين جديدتين ، وتستمر عملية انقسام الخلايا هذه حتى مرحلة النمو النهائية . ورغم أن أعضاء الجنين تزداد تعقيداً كلما استمر هذا الجنين في نموه ، ولكن رغم ذلك فإن الخلية أو البويضة الأصلية تبقى محافظة على بساطة عملها . على أن الخلايا - حتى وإن كانت تعيش بين مجموعة أو كتلة ضخمة من الخلايا التي يتكون منها أحد أنسجة أو أعضاء الجسم - لا تنسى بأنها تكونت ونشأت في بداية الأمر من خلية أصلية واحدة وهي بالتالي تعرف سلفاً الوظائف التي عليها أن تقوم بها فيما بعد ضمن مجموعة أعضاء الجسم»^(١) .

«إن كل عضو من أعضاء الجسم يتكون بطريقة خاصة تبدو غريبة جداً . والحقيقة أن مواد البناء المستخدمة في بناء منزل ما لا معنى لها ولا تستخدم بهذا المفهوم في بناء خلية الجسم ، لأنه ليست هناك قضية بناء أساساً وإن كان الجسم يتكون من الخلايا كما يتكون البيت من قطع الطابوق .

تشبيه الخلية بالبيت :

ومن أجل المقارنة بين الخلية والبيت علينا أن نفترض بأن البيت

(١) انسان ناشناخته ، صفحة ١٠٢ .

يتكون من قطعة طابوق واحدة استطاعت من خلال الإستعانة بماء النهر والأملاح المعدنية الموجودة فيه والغازات الموجودة في الهواء ، أن تصنع وتنتج عدداً كبيراً من قطع الطابوق الأخرى وتصفّها فوق بعضها البعض حتى ترتفع الجدران وذلك دون حاجة إلى خارطة المهندس المعماري ولا إلى البنائين . كما أن هذه الطابوقة الأصلية الواحدة بإمكانها أن تعمل من قطع الطابوق الأخرى زجاجاً للشبابيك والنوافذ وقطعاً فخارية للسقوف وفحماً للمرجل وماءً للمغاسل والمطبخ ، والخلاصة فإن التركيبة العضوية للخلية هي أشبه ما تكون بأساطير خيالية تُحكى للأطفال»^(١) .

اختلاف العناصر التي تكوّن الخلية وعدد الخلايا من عضو إلى

آخر:

إن موضوع انقسام الخلايا وإن الجسم بأكمله يتكون في الأساس من خلية واحدة ، هو موضوع مهم جداً . ولكن هناك موضوع آخر مهم أيضاً وهو أن المواد والعناصر التي تتكون منها خلايا كل عضو من أعضاء الجسم وكذلك عدد الخلايا اللازمة لتكوين كل عضو من هذه الأعضاء وأيضاً العناصر التي تدخل في تركيب الخلية ، هذه كلّها تختلف من عضو إلى آخر في الجسم . فعلى سبيل المثال نجد أن الكبد وطبلة الأذن كلاهما يتكون من عدد من الخلايا ولكن العناصر التي تدخل في تركيب خلايا الكبد تختلف عن العناصر التي تدخل في تركيب خلايا طبلة الأذن ، كما أن عدد الخلايا التي يتكون منها الكبد هو أكثر بكثير من عدد خلايا طبلة الأذن . وأيضاً نستطيع أن نقارن بين مخ الإنسان والغشاء الشفاف الذي يغطي حدقة العين فكلاهما يتكون من عدد من الخلايا ولكن طبيعة وتركيب خلايا المخ تختلف عن طبيعة المواد التي تدخل في تركيب خلايا غشاء العين ، كما أن عدد خلايا المخ يختلف عن عدد خلايا غشاء العين . فآية قدرة عاقلة ومدرّكة تتولى تقسيم الخلايا وتقوم بتنظيم المواد والعناصر التي تدخل

(١) انسان ناشناخته ، صفحة ١٠٣ .

في تركيب كل مجموعة من مجموعات خلايا أعضاء الجسم بشكل دقيق ومدرّوس، وتقوم بصناعة وإنتاج الخلايا اللازمة التي يحتاج إليها كل عضو من أعضاء الجسم بشكل دقيق لا أكثر ولا أقل ووفقاً لمقاييس ومحاسبات دقيقة .

التعاون بين أعضاء الجسم:

«ثالثاً : إن التنسيق والتعاون موجود ليس فقط بين أعضاء الجسم المختلفة بل يبدو أن الأجزاء المختلفة في العضو الواحد تجتمع حول بعضها البعض لتحقيق هدف معين . ولنأخذ العين على سبيل المثال ، حيث أن زوائد وامتدادات المخ تمتد على شكل أعصاب البصر، وأعصاب الشبكية تمتد تحت الجلد وبالتالي فإن ذلك الجزء من الجلد الذي يشكل الطبقة الأمامية من العين يصبح شفافاً وهو ما يسمّى بالقرنية والعدسة، والسبب في هذا التغيير في طبيعة الجلد هو المواد الخاصة التي يفرزها داخل العين ويطلق عليها اسم الحويصلات البصرية (Vesicule Optique) . ولكننا لا نعرف كيف تفرز هذه الحويصلات البصرية هذه المادة الخاصة داخل الدم بحيث تصبح لهذه المادة قابلية على جعل الجلد شفافاً وكيف تتمكن قشرة من الخلايا العصبية الحساسة من حثّ الجلد وجعله يقوم بصنع عدسة حيّة يعبر النور أو الضوء من خلالها فتعكس صور الأشياء الخراجية عليها ؟ إننا نرى هذا التنسيق والترابط العضوي ولكننا لا نجد تفسيراً له»^(١) .

التوجيه الذاتي أو التكويني في الخلايا:

يقول العلم الحديث: إن خلايا جسم الإنسان هي كخلايا أجسام جميع الحيوانات لها تكوين خاص بها . فكل نوع من أنواع خلايا الجسم تعرف وظيفتها بموجب التوجيه التكويني الإلهي أي بطريق الفطرة ، ولكن عندما تستقر

(١) انسان ناشناخته ، صفحة ١٩١ .

الخلية الأصلية أو الأساسية في رحم الأم فما هي القوة الواعية المدركة التي تشرف على عملية انقسام هذه الخلية وتكاثرها ؟ وما هي تلك القوة العالمية والحاكمة التي تقوم بعملية التنسيق بين الأنواع المختلفة من مجموعات الخلايا وإيجاد الارتباط فيما بينها عند الضرورة، وتحثها على التعاون فيما بينها وبالتالي تضمن استمرار حياة الإنسان ؟ العلم ليس لديه جواب مقنع على هذا التساؤل ولكن الأديان السماوية لديها الجواب الحاسم على هذا التساؤل : فالأنبياء أصحاب الرسالات الإلهية يقولون بأن الملائكة العالمية والواعية العاقلة هي التي تتولى تدبير شؤون جميع عوالم الوجود في هذا الكون وبينها عالم الخلايا المعقد .

التوازن الطبيعي بين مواليد الذكور والإناث في العالم:

المسألة المهمة الأخرى التي تتطلب أقصى درجات الإهتمام والعناية من قبل الإنسان بخصوص خلق الإنسان والحيوان هي مسألة التوازن القائم في هذا العالم بين المواليد من الذكور والإناث في الإنسان وكذلك في الحيوانات . فأين يقع هذا المركز الذي يحافظ عن وعي وإدراك على هذا التوازن ويشرف على معدلات المواليد من الإنسان والحيوانات على سطح هذه الأرض ؟ وأية قوة أو قدرة هذه التي استطاعت . - وعلى مدى القرون والعصور - أن تحافظ على هذا التوازن بين عدد النساء وعدد الرجال بالنسبة للإنسان وبين عدد الذكور وعدد الإناث بالنسبة للحيوانات في العالم ؟ .

الخلية الجنسية عند الولد وعند البنت:

«نحن لا نعرف حتى الآن كيف تحصل أجزاء النواة المركزية للخلايا الجنسية والجينات الوراثية في أجسامنا ومشاعرنا على حصتها من العوامل والصفات والخصائص الوراثية التي تنتقل من الآباء والأجداد إلى الأبناء والأحفاد ؟ كما لا نعرف كيف تنتقل هذه الصفات الوراثية ؟ وإلى أي مدى ترتبط طبيعة الفرد الجسمانية بالعناصر التي

تتكون منها البويضة التي يتكون منها الجنين في البداية ؟ . إن جنس الجنين (أي ما إذا كان ذكراً أو أنثى) يتحدد بمجرد التقاء الخلية الذكرية مع الخلية الأنثوية ، حيث أن البويضة التي ستصبح في المستقبل ذكراً أو ولداً تحتوي على كروموزوم^(١) واحد أقل من عدد الكروموزومات التي تحتويها البويضة التي ستصبح في المستقبل أنثى (أو أنثى) ويسبب هذا الأمر فإن جميع الخلايا في جسم الرجل تختلف عن جميع خلايا جسم المرأة^(٢) .

والآن هل باستطاعتنا القول أن انقسام البويضة التي يتكون منها الجنين إلى مجموعتين الأولى تنتج إناثاً والثانية تنتج ذكوراً حيث المجموعة الثانية تحتوي على كروموزوم واحد أقل مما تحتويه المجموعة الأولى ، هل باستطاعتنا القول بأن هذا الأمر يحدث بطريق الصدفة ومن منطلق اللاوعي واللاشعور ؟ وهل أن هذه الصدفة اللاواعية استطاعت على مدى القرون والعصور أن تقوم بهذا العمل الحكيم المتقن وأن تحافظ بالتالي على التوازن القائم في هذا العالم بين عدد الرجال وعدد النساء ؟ .

منشأ التوازن بين المواليد من الذكور والإناث:

هل يمكننا القول بأن المحافظة على هذا التوازن هو من الخصائص الذاتية الكامنة في الخلايا ذاتها، وأن البويضات التناسلية استطاعت وتحت تأثير الخصائص والصفات الطبيعية والفطرية المودعة فيها أن تقيم علاقة وتنسيقاً فيما بينها، وأن تعمل بالتالي وبالاتفاق فيما بينها على إيجاد توازن بين مواليد البنات والأولاد بالنسبة للإنسان ، وبين الذكور والإناث من سائر أنواع الحيوانات في هذا العالم وعلى مدى القرون والعصور ؟ .

(١) الكروموزوم أو الكروموسوم هو جسيم شريطي كروماتيني يظهر في نواة الخلية عند الانقسام وتعتبر هذه الجسيمات هي الناقل للصفات والخصائص الوراثية بين الأفراد . المترجم .

(٢) انسان ناشناخته ، صفحة ٢٤٢ .

هل استطاع العلم أن يجيب على هذا السؤال : من هي تلك القوة أو القدرة الحكيمة المدبرة التي تشرف على امتداد هذا العالم ، على كافة المواليد من الإنسان والحيوان وتقوم عن وعي وإدراك بتقسيم البويضات التناسلية إلى مجموعتين الأولى تتولى تكوين الإناث، والثانية تتولى تكوين الذكور وبهذا يحصل هناك توازن وتعادل بين عدد الرجال والنساء في كافة أرجاء هذا العالم ؟ ..

الملائكة وسطاء بين الخالق والمخلوق:

المؤمنون بالإسلام - واستناداً إلى ما جاء في القرآن الكريم - يقولون بأن القوة المجهولة التي تقوم بهذه المهمة - مهمة تحقيق التوازن بين النساء والرجال والذكور والإناث في هذا العالم - هي الملائكة العاقلة العالمة التي هي واسطة بين المخلوق والخالق . فهذه الملائكة تتولى - وبأمر من الله تعالى - مهمة تقسيم الأمور في عالم الوجود بأسره، وقد أشار (سبحانه وتعالى) في القرآن الكريم إلى الملائكة وأقسم بها .

﴿فَالْمَقْسِمَاتِ أَمْرًا﴾^(١) .

قصور العقل البشري:

ونستنتج من البحث السابق بأن الاعتقاد بوجود الملائكة هو كالاعتقاد بالآخرة يستند إلى الوحي الإلهي وما أخبر به الأنبياء، ولادخل للعقل البشري في إثبات أو نفي وجود الملائكة . فكما أن الرغبة الفطرية في الإنسان في الحياة الأبدية الخالدة يثبت موضوع القيامة والحياة الأبدية في عالم الآخرة ، فإن بعض أسرار الخلقة التي تم اكتشافها نتيجة التطور الذي حصل في مجال العلوم الطبيعية ، تؤكد وجود الملائكة وتعزز وتثبت حقيقة أن وراء هذا العالم المرئي موجودات غير مرئية تتولى تدبير وإدارة شؤون العالم ونظام الخليقة بعلم وإرادة ووعي ، والإسلام يسمي هذه الموجودات غير المرئية (الملائكة) . ومن جملة

(١) سورة الذاريات ، الآية : ٤ .

الأمر والأعمال الموكولة إلى الملائكة ، عملية قبض أرواح الناس ونقلها من عالم الدنيا الفانية إلى عالم الآخرة وهو عالم الخلود والبقاء بعد الموت . وقد صرح الإسلام بذلك وذكر اسم الملائكة المكلفة بقبض الأرواح ، وهناك العديد من الآيات القرآنية والروايات والأحاديث المنقولة عن النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام في هذا المجال حيث سنشير إلى بعض منها .

المالك الحقيقي للموت والحياة:

الموت والحياة هما ظاهرتان تكوينيتان مهمتان في نظام الخليقة والمالك الحقيقي والحاكم الأول لهاتين الظاهرتين هو الله (عز وجل) . فهو الذي يمنح الحياة للعناصر الميتة في الطبيعة ويحيي الأجسام والمواد الميتة ، وهو الذي يميت الموجودات والكائنات الحية . وفي هذا يقول القرآن الكريم : ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١) .

ملك الموت والمهمة الإلهية:

إن ملك الموت وأعوانه ليسوا بأصحاب القرار في عملية قبض الروح بل إنهم همزة وصل بين الله وبين البشر ، وهذه المهمة كلفهم الله بها ولهذا السبب فإن الله يعتبر نفسه أحياناً ومن خلال ما هو مصرح به في القرآن الكريم ، يعتبر نفسه بأنه هو الذي يقبض أرواح البشر ، وفي آيات أخرى تعتبر عملية قبض الأرواح من مهمة ملك الموت وفي آيات أخرى ينسب الله (تعالى) عملية قبض الروح إلى مجموعة من الملائكة .

﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾^(٢) .

﴿قُلْ يَتَوَفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾^(٣) .

(١) سورة الحديد ، الآية : ٢ .

(٢) سورة الزمر ، الآية : ٤٢ .

(٣) سورة السجدة ، الآية : ١١ .

الموت والعودة إلى الله:

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾^(١) .

﴿الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٢) .

الإمام علي (عليه السلام) يرد على أحد الزنادقة :

الآية الأولى تعتبر الله بأنه هو الذي يقبض الأرواح والآية الثانية تقول أن ملك الموت هو الذي يقبض الأرواح كما أن عدداً من الآيات القرآنية تنسب هذه المهمة إلى مجموعة الملائكة . وقد اعتبر أحد الزنادقة هذه الآيات بأنها متناقضة وذلك لكي يطعن بالقرآن الكريم ، وهنا ردّ عليه الإمام علي عليه السلام بعد أن ذكر الآيات التي استدلل بها هذا الزنديق فقال عليه السلام :

«فَهُوَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَجَلٌ وَأَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَتَوَلَّىٰ ذَلِكَ بِنَفْسِهِ وَفِعْلُ رُسُلِهِ وَمَلَائِكَتِهِ فِعْلُهُ لِأَنَّهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ فَأَصْطَفَىٰ جَلَّ ذِكْرُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَسَفَرَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ وَهُمْ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ - سورة الحج ، آية ٧٥ - فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الطَّاعَةِ تَوَلَّتْ قَبْضَ رُوحِهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْمَعْصِيَةِ تَوَلَّىٰ قَبْضَ رُوحِهِ مَلَائِكَةُ النِّقْمَةِ ، وَلِمَلِكِ الْمَوْتِ أَعْوَانٌ مِنْ مَلَائِكَةِ الرَّحْمَةِ وَالنِّقْمَةِ يُصْدِرُونَ عَنْ أَمْرِهِ وَفِعْلُهُمْ فِعْلُهُ وَكُلُّ مَا يَأْتُونَهُ مَنْسُوبٌ إِلَيْهِ وَإِذَا كَانَ فِعْلُهُمْ فِعْلَ مَلِكِ الْمَوْتِ وَفِعْلُ مَلِكِ الْمَوْتِ فِعْلُ اللَّهِ لِأَنَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ عَلَىٰ يَدٍ مَنْ يَشَاءُ وَيُعْطِي وَيَمْنَعُ وَيُثِيبُ وَيُعَاقِبُ عَلَىٰ يَدٍ مَنْ يَشَاءُ وَإِنْ فِعْلُ أَمْنَائِهِ فِعْلُهُ»^(٣) .

(١) سورة الأنعام ، الآية : ٦١ .

(٢) سورة النحل ، الآية : ٣٢ .

(٣) بحار الأنوار ، المجلد ٣ ، صفحة ١٣٠ .

عالمين منفصلين ومختلفين:

إن عالم قبل الموت - أي الدنيا التي نعيش فيها في الوقت الحاضر - وعالم بعد الموت - أي العالم الذي نذهب إليه بعد موتنا - هما عالمان منفصلان ومختلفان . فطالما نحن في عالم الدنيا ، فإننا لا نعرف شيئاً عن عالم ما بعد الموت وعندما تنتقل إلى عالم ما بعد الموت فإننا ننقطع عن الدنيا .
والأمر العجيب هنا هو أن الانتقال من هذا العالم إلى العالم الآخر يتم بسرعة وخلال فترة قصيرة ، حيث يغادر الشخص المحتضر وخلال لحظات دار الدنيا وينتقل إلى عالم مجهول هو عالم بعد الموت .

عالم النوم وعالم اليقظة:

ومن أجل تقريب الموضوع إلى الذهن وتوضيح القضية ، يمكن تشبيه عالم قبل الموت بحالة النوم أو عالم النوم وعالم ما بعد الموت بحالة اليقظة أو عالم اليقظة .

فعالمي النوم واليقظة هما عالمين مختلفين ، فالشخص النائم ينهمك برؤية أحلامه وهو لا يعلم شيئاً عن عالم اليقظة وعوالم اليقظين ولا يرى الناس اليقظين ولا يعلم ما يجري حوله ، ولكن عندما ينادونه أو عندما يستيقظ بصورة طبيعية - وبمجرد أن يفتح عينيه خلال لحظة واحدة - فإنه ينتقل من عالم النوم وعالم الأحلام إلى عالم اليقظة وينضم إلى عالم الحياة .

ونفس الشيء يحدث للشخص المحتضر أي في حالة الموت ، فهو برمشة عين يخرج من نطاق الدنيا وينتقل إلى عالم الخلود عالم بعد الموت وهذا التشبيه ورد في كتب الحديث على لسان النبي والأئمة عليهم السلام .

قال علي عليه السلام : «الناس نيامٌ إذا ماتوا انتبهوا»^(١) .

(١) لآلئ الأخبار ، صفحة ٣٨٦ .

أول علامات اليقظة:

أول علامات اليقظة التي تتحقق في لحظة واحدة وتُفهم الشخص وتعلمه بأنه قد انقطع عن عالم النوم والرؤيا والأحلام وانتقل إلى عالم الحياة واليقظة ، نقول إن أولى علامات اليقظة هي تفتح العينين ورؤية الأشخاص والناس والأشياء المختلفة ومشاهدة المناظر الجميلة المحيية وغير المحيية . وكما تقول الروايات المنقولة عن الأئمة عليهم السلام بالنسبة للشخص المحتضر فإن انتقاله من عالم الدنيا إلى عالم بعد الموت يتم خلال لحظة أو أقل من لحظة واحدة، حيث يرى مشاهد عالم الغيب وآثار وعلامات الرحمة الإلهية أو العذاب الإلهي .

معنى الرغبة في لقاء الله:

عن عبد الصّمد بن بشير عن بعض أصحابه عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : «قُلْتُ أَصْلَحَكَ اللَّهُ مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ وَمَنْ أَبْغَضَ لِقَاءَ اللَّهِ أَبْغَضَ اللَّهُ لِقَاءَهُ؟ قَالَ نَعَمْ . قُلْتُ فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَكْرَهُ الْمَوْتَ فَقَالَ لَيْسَ ذَلِكَ حَيْثُ تَذْهَبُ إِنَّمَا ذَلِكَ عِنْدَ الْمَعَايِنَةِ إِذَا رَأَى مَا يُحِبُّ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَتَقَدَّمَ وَاللَّهُ تَعَالَى يُحِبُّ لِقَاءَهُ وَهُوَ يُحِبُّ لِقَاءَ اللَّهِ حِينَئِذٍ وَإِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَيْهِ مِنْ لِقَاءِ اللَّهِ وَاللَّهُ يُبْغِضُ لِقَاءَهُ» (١) .

الدنيا هي مكان لتربية النفس والذات:

وفقاً لتعاليم المدرسة الإسلامية فإن الدنيا الفانية هي بالنسبة للإنسان مكان لتربية النفس وبناء الذات وأداء الواجبات الإسلامية والإنسانية الملقاة على عاتق الفرد . أمّا عالم الآخرة فهو للإنسان دار حساب حيث الثواب والعقاب الإلهي وهذا ما جاء في كلمة للإمام علي عليه السلام : «وَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابَ وَغَدًا حِسَابٌ وَلَا عَمَلٌ» (٢) .

(١) الكافي ، المجلد ٣ ، صفحة ١٣٤ .

(٢) نهج البلاغة ، الخطبة ٤٢ .

إن الفترة الزمنية التي تفصل اليوم عن الغد والدنيا عن الآخرة ودار الواجبات والمسؤوليات عن دار الحساب والجزاء لا تتعدى اللحظة الواحدة . وخلال هذه اللحظة يكشف نقاب الغيب عن بصر الشخص المحتضر فيرى العالم الّلامشهود وتستقر الروح في مكانها في دار الآخرة . وكل من يصل إلى هذه اللحظة تكون حياته في هذه الدنيا قد انتهت ولم يعد أمامه فرصة للعمل وتنتهي كذلك واجباته المكلف بها دينياً وإنسانياً ويحلّ موعد حسابه وتبدأ فترة ثوابه وعقابه .

آخر لحظة من حياة الدنيا:

عن أبي بصير عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال : كُنَّا عِنْدَهُ وَعِنْدَهُ حَمْرَانِ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ مَوْلَى لَهُ فَقَالَ جُعِلَتْ فِدَاكَ هَذَا عِكْرِمَةٌ فِي الْمَوْتِ وَكَانَ يَرَى رَأْيَ الْخَوَارِجِ وَكَانَ مُنْقِطِعاً إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ فَقَالَ لَنَا أَبُو جَعْفَرٍ : « أَنْظِرُونِي حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْكُمْ » فَقُلْنَا : نَعَمْ ، فَمَا لَبِثَ أَنْ رَجَعَ فَقَالَ : أَمَا إِنِّي لَوْ أَدْرَكْتُ عِكْرِمَةَ قَبْلَ أَنْ تَقَعَ النَّفْسُ مَوْقِعَهَا لَعَلَّمْتُهُ كَلِمَاتٍ يَتَنَفَّعُ بِهَا وَلَكِنِّي أَدْرَكْتُهُ وَقَدْ وَقَعَتِ النَّفْسُ مَوْقِعَهَا قُلْتُ جُعِلَتْ فِدَاكَ وَمَا ذَاكَ الْكَلَامُ ؟ قَالَ : « هُوَ وَاللَّهِ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ فَلَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ شَهَادَةً أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَالْوَلَايَةُ » ^(١) .

فالإمام الباقر عليه السلام يقول : « لو أنني وصلتُ إلى عِكْرِمَةَ قَبْلَ أَنْ تَصِلَ رُوحُهُ إِلَى مَكَانِهَا وَمَوْقِعِهَا الرُّوحَانِي فِي عَالَمٍ بَعْدَ الْمَوْتِ لَعَلَّمْتُهُ كَلِمَاتٍ يَسْتَفِيدُ مِنْهَا . وَهَنَا سَأَلَهُ أَبُو بَصِيرٍ : وَمَا هُوَ الْكَلَامُ الَّذِي أَرَدْتُ أَنْ تَعَلِّمَهُ لَهُ . فَقَالَ الْبَاقِرُ عليه السلام : « وَاللَّهِ أَرَدْتُ أَنْ أَعَلِّمَهُ الَّذِي تَوَافُونَ بِهِ أَنْتُمْ » . أَيُّ أَنَّ الْإِمَامَ أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَهُ وَيَلْفِتَ انتباهه إِلَى الْمَقَامِ الشَّامِخِ لَوَلَايَةِ عَلِيِّ عليه السلام وَيُطْلِعَهُ عَلَى الْخَطَا الَّذِي ارْتَكَبَهُ الْخَوَارِجُ بِحَقِّ عَلِيِّ عليه السلام لَعَلَّهُ يَرْجِعُ عَنْ تَأْيِيدِهِ لِمَوْقِفِ الْخَوَارِجِ وَيَنْزِعَهُ وَيُطَهِّرَ ضَمِيرَهُ مِنْ سُوءِ الظَّنِّ بِالْإِمَامِ عَلِيِّ عليه السلام وَيَغَادِرَ هَذِهِ الدُّنْيَا بِقَلْبٍ سَلِيمٍ وَنَظِيفٍ .

(١) الكافي ، المجلد ٣ ، صفحة ١٢٣ .

الشخص المحتضر ورؤيته الملائكة:

ومن الأشياء الأخرى التي يراها المحتضر في أولى لحظات انتقاله من هذه الدنيا والتي تعتبر مؤشراً على انتهاء حياته في هذه الدنيا وبَدْءِ حياة الآخرة ، هي رؤيته للملائكة المكلفة من قبل الله (سبحانه وتعالى) بقبض روحه ، فالإنسان طالما هو موجود في الدنيا وينظر إلى المخلوقات بعين دنيوية فإنه لا يعرف شيئاً عن الملائكة، ولا يرى ملك الموت وأعوانه ولا يشعر بذهاب الملائكة وإيابها ولا يعلم شيئاً عن كيفية قبض الأرواح من قبل هذه الملائكة .

قبض روح الجنين:

وفي هذا المجال يقول الإمام علي عليه السلام: «هَلْ تُحَسُّ بِهِ إِذَا دَخَلَ مَنْزَلاً أَمْ هَلْ تَرَاهُ إِذَا تَوَفَّى أَحَدًا؟ بَلْ كَيْفَ يَتَوَفَّى الْجَنِينَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَيْلُجُ عَلَيْهِ مِنْ بَعْضِ جَوَارِحِهَا أَمْ الرُّوحُ أَجَابَتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهَا أَمْ هُوَ سَاكِنٌ مَعَهُ فِي أَحْشَائِهَا»^(١) .

المحتضر والضغط النفسية:

الشخص المحتضر الذي ينازع الموت في اللحظة التي يرى فيها ملك الموت ويشاهد فيها عالم بعد الموت اللامألوف ، في تلك اللحظة يدرك بأن حياته الدنيوية قد انتهت وأنه أصبح على أعتاب عالم الآخرة ، وفي هذه اللحظة بالذات يسيطر عليه القلق والاضطراب حيث يتعرض لضغوط نفسية شديدة جداً .

وحسب ما جاء في الروايات المنقولة عن أولياء الدين والأئمة عليهم السلام فإن هذه اللحظات هي لحظات صعبة جداً على الإنسان .

عن علي بن الحسين عليه السلام قال: «أَشَدُّ سَاعَاتِ ابْنِ آدَمَ ثَلَاثُ سَاعَاتٍ : السَّاعَةُ الَّتِي يَعَايِنُ فِيهَا مَلَكُ الْمَوْتِ وَالسَّاعَةُ الَّتِي يَقُومُ فِيهَا مِنْ قَبْرِهِ وَالسَّاعَةُ الَّتِي

(١) نهج البلاغة ، خطبة ١١٢ .

يَقِفُ فيها بين يدي الله تبارك وتعالى فإمّا إلى الجنة وإمّا إلى النار^(١) .

قبول توبة المذنبين:

قبول توبة المذنبين والتجاوز عن ذنوبهم هي من الألفاف والنعم الإلهية العظيمة التي يمنُّ بها على عباده ، فجميع أنبياء الله دعوا أهل الذنوب والمعاصي إلى الاستغفار مبشرين إياهم بالعفو الإلهي ، الأمر الذي أحيى الأمل في قلوب هؤلاء المذنبين حتى لا يصابوا باليأس ويتصوروا أنفسهم محرومين من الرحمة الإلهية . فنحن نعلم بأن الذي يرتكب الذنوب يكون باطنه أسود وضميره ملوثاً - هذا من ناحية - ومن ناحية أخرى يرتكب الذنوب والمعاصي إنما ينفذ ما يجول في خاطره من أفكار قذرة وبالتالي نجده يرتكب الذنوب . إذن فالتوبة هي إصلاح للفكر والعمل .

إصلاح الفكر والعمل:

والذي يريد أن يتوب عليه أولاً أن ينظف وينزّه قلبه ويندم لأنه تمرّد على الأوامر الإلهية وارتكب الذنوب فيما مضى من حياته ، وأن يطلب العذر من الله ويقرر بأن لا يفكر ثانية بارتكاب الذنوب في المستقبل ، ولا يلوث باطنه حتى بمجرد التفكير في ارتكاب الذنوب . وفي المرحلة الثانية عليه أن يمتنع عن ارتكاب الذنوب بشكل عملي وفعلي ، وأن يتجنب حضور المجالس والأماكن التي قد تجره إلى ارتكاب الذنوب ، وأن لا يعاشر ولا يختلط بالأفراد الذين لا يتورعون عن ارتكاب الذنوب ، ولا يطلق العنان لأهوائه النفسية وغرائزه الحيوانية ولا يستخدم أعضاء بدنه وجوارحه في معصية الله .

طهارة الضمير تحفظ الإنسان من الذنوب:

النقطة التي نود أن نشير إليها هنا هي أن الأعمال الظاهرية والبدنية التي نقوم بها هي نتيجة أوامر باطنية وروحية تصدر من داخلنا . والفرد الذي يتمكن

(١) الخصال للشيخ الصدوق ، صفحة ١١٩ .

من خلال الجهاد مع النفس من السيطرة على أهوائه النفسية وبالتالي يزيل من ذهنه فكرة ارتكاب الذنوب ويطهر ضميره فإن أعضائه وجوارحه تبقى بمنأى عن معصية الله، لأن الجسم وأعضاء الجسم تفعل بما تؤمر به، فعندما لا تتلقى أعضاء الجسم أوامر بارتكاب الذنب من مركز القيادة في الجسم، فإنها لا تقترب من الذنوب ولا تنساق نحو الانحراف والرديلة، ولكن الشرط الأساسي لاكتساب هذه الحصانة وهذه المناعة ضد الذنوب هو أن لا يكون الفرد نفسه سبباً في تضعيف إرادته ولا يقترب من الذنوب ولا يفتح عينيه على المعاصي، فكما أن النفس تؤثر على ممارسات أعضاء الجسم سواء كانت ممارسات حسنة أو سيئة فإن الأعمال التي يقوم بها الإنسان تؤثر بدورها على إرادة وتصميم النفس الإنسانية سواء كان هذا التصميم مشروعاً أو غير مشروع. وهناك بيت من الشعر الفارسي يقول ما معناه :

«يا ويلتى من العين ومن القلب فكل ما تراه العين يتذكره القلب ويهواه» .

النَّدَم على الذنوب تحقق السعادة للإنسان:

إذن فالشخص الذي يتوب توبة حقيقية ومن أعماق وجوده يشعر بالخجل ويندم على ماضيه المظلم ويقدم الاعتذار لله ويلزم نفسه في المستقبل على طاعة الله، فإذا بقى وفياً لما عاهد الله عليه فإنه سيعيش ما تبقى من عمره بسلامة وسعادة، وإذا انتابته هذه الحالة الروحانية وهو على فراش الموت ويوفق إلى مثل هذه التوبة الحقيقية قبل عدة أيام أو عدة ساعات أو عدة دقائق أو حتى قبل لحظات من موته واجتيازه دار الدنيا ورؤيته لملك الموت، فإن ذنوبه السابقة ستغفر وسيواجهه الله بقلب سليم ومشرق .

التوبة الحقيقية تكون قبل الموت:

عن النبي ﷺ قال : «من تاب قبل موته بسنة قبل الله توبته ثم قال : إنَّ سَنَةً لكثيرٌ ، من تاب قبل موته بِشهرٍ قبلَ الله توبته ثم قال : إنَّ الشَّهرَ لكثيرٌ ،

مَنْ تَابَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِجُمُعَةٍ قَبْلَ اللَّهِ تَوْبَتُهُ ثُمَّ قَالَ : إِنَّ جُمُعَةً لكَثِيرٌ ، مَنْ تَابَ قَبْلَ
مَوْتِهِ بِيَوْمٍ قَبْلَ اللَّهِ تَوْبَتُهُ ثُمَّ قَالَ : إِنَّ يَوْمًا لكَثِيرٌ، مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ يَعَاقِبَ مَلَكُ
الْمَوْتِ قَبْلَ اللَّهِ تَوْبَتُهُ» (١) .

(١) مشكاة الأنوار ، صفحة ١١٠ .

المحاضرة الرابعة

الروح الإلهية والحياة الخالدة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١).

أوضاع البشر بعد الموت:

عندما نفكر بالموت ونجسّد في أذهاننا نهاية حياتنا في هذه الدنيا فإننا ندخل في تفكير عميق ، نريد أن نعرف ماذا يفعل بنا الموت ؟ وكيف سيكون وضعنا بعد الموت ؟ وإذا بدأنا في البحث والتحقيق فإننا سنواجه عدة نظريات في هذا المجال ، إحداها نظرية الفلاسفة الماديين الذين ينكرون وجود عالم ما وراء الطبيعة أو عوالم ما بعد الموت . وهناك أيضاً نظرية مجموعة من الفلاسفة الإلهيين الذين يؤمنون ببقاء الروح ويعتقدون بالحياة بعد الموت . وهناك مجموعة أخرى من الفلاسفة الإلهيين الذين لا يؤيدون فكرة بقاء الروح لأنهم لا يقتنعون بالأدلة والبراهين التي يسوقها أصحاب نظرية بقاء الروح . وأخيراً تواجهنا مدرسة الأنبياء بنظرتها العالمية الشاملة .

فالأنبياء أبلغوا الناس - وعن طريق الوحي الإلهي وبشكل قاطع - بأن

(١) سورة الإسراء ، الآية : ٨٥ .

الروح تنتقل بعد الموت إلى عالم آخر وتواصل بقاءها إلى ما شاء الله .
والآن نستعرض باختصار كل واحدة من النظريات المطروحة في هذا المجال .

١- نظرية الفلاسفة الماديين:

الفلاسفة الماديون يعتقدون بأن الكينونة أو الوجود في هذا العالم يقتصر على المادة والماديات ، فلا يوجد موجود غير مادي لا في العالم المادي هذا ولا في ما وراء هذا العالم المادي ، وهؤلاء يعتقدون بأن الإنسان في هذا العالم مثله كمثل سائر المخلوقات الأخرى التي تعيش فوق الكرة الأرضية لا يعدو كونه ظاهرة مادية مائة في المائة، وأن حياة الإنسان وبقائه على هذه الأرض هو نتيجة لسلسلة من التفاعلات الطبيعية التي تحدث في إطار العناصر المادية الموجودة في الطبيعة، وعلى هذا الأساس فإن هذا الإنسان يموت كما تموت القطط والكلاب، وينتهي وجوده بكل أبعاده ويتفكك ويبلغ جسده وأعضاؤه وأنسجته الداخلية شيئاً فشيئاً ويصبح مجرد حفنة من التراب تدخل مرة أخرى إلى دورة الطبيعة ولا يبقى منه شيء يسمى الروح .

٢- نظرية الفلاسفة الروحيين:

الفلاسفة الإلهيون يعتقدون بأن عالم الوجود لا يقتصر على عالم المادة والموجودات والمخلوقات المادية، فهم يؤمنون بوجود خالق لهذا العالم وهو الذي خلق المادة وكافة عوالم الوجود، وهم يتزعمون هذا الخالق من أي نقص ويبعدون عنه الطابع المادي . والفلاسفة الإلهيون ينقسمون إلى مجموعتين من حيث نظرتهم إلى الروح .

نظرية الروحيين:

المجموعة الأولى تسمى بالروحيين الذين يعتقدون - استناداً إلى الأدلة والبراهين العلمية والفلسفية واستناداً إلى علم النفس التجريبي - بأن الإنسان له روح خالدة تنتقل إلى عالم آخر، حيث تواصل حياتها الأبدية وذلك عندما يموت الإنسان ويغادر هذه الدنيا . ويرى هؤلاء الروحيون بأن الدلائل الموجودة لإثبات

بقاء النفس الإنسانية وخلود الروح البشرية هي أدلة كافية . وحسب رأي هؤلاء فإن البشر توصل حديثاً إلى هذا السرّ المجهول وأنه سيتوصل إلى المزيد من الأدلة والبراهين في هذا المجال .

كلام لـ «كرسي موريسن»:

«يقول كرسى موريسن : إن ظهور الإنسان العاقل المتفكر بين كل هذه الحيوانات هو أمر أكثر أهمية وغموضاً مما نتصور ، وإن ظهور مثل هذا الإنسان يعود لتطورات مادية ولا دخل لخالق في هذا المجال، وإذا تصورنا غير ذلك لكان الإنسان مجرد آلة ميكانيكية تديرها وتشغلها يد أخرى . والآن لنرى من الذي يدير هذه الآلة أو الماكينة؟ ومن هي اليد التي تشغلها؟ العلم الحديث لم يتمكن حتى الآن من معرفة طبيعة تلك القوة التي تدير هذه الآلة ، ولكن من المؤكد بأن الذي يحرك ويشغل هذه الماكينة أو الآلة لا يتكون من المادة ولا هو بشيء مادي .

إن ما حققناه من تقدم حتى الآن لا يتعدى حدود تصورنا بأن الله قد جعل في داخلنا شيئاً من معرفته ، إذن يمكننا الإدعاء بأن الله خلق الإنسان على شاكلته وهيئته ، والإنسان في عالم الخلقة لا يزال في مرحلة الصبا وهو بدأ لتوه يدرك وجود الروح ويطلع تدريجياً على هذه الميزة السماوية ويحيط علماً بمسألة خلود الروح»^(١) .

نظرة «لاندمان» :

«ويقول لاندمان : إن عقل العالم موجود في داخل كل إنسان وهو المحفز الحقيقي لكل ما يقوم به الإنسان من أعمال . إن روحنا ليست ملكاً لنا بل هي ملك لعقل العالم . إن ابتعادنا وانفصالنا عن عقل العالم هو مؤقت وإن العودة إليه أمر مؤكد وقطعي بالنسبة لكل شخص» .

(١) راه آفرينش انسان ، صفحة ١٤٩ .

شرارة لا تنطفئ:

«أما (مالبرانش) فقد أعلن عن نظريته التالية بعد سنوات من الدراسة والبحث : (إن روحنا هي كالشرارة التي انطلقت من كومة النار الأبدية ، ولهذا السبب فإن هذه الشرارة لن تنطفئ حتى تعود إلى أصلها ، حيث كل موجود مصيره العودة إليها أي إلى تلك النار الأبدية) نظرية استمرار بقاء الروح لها مؤيدون كثيرون وقد توصل كبار المفكرين إلى هذا المبدأ الذي يقول بأن الروح والجسم لا يموتان بل يواصلان بقاءهما الأبدى الخالد»^(١) .

الجماعة التي لا تعتقد ببقاء وخلود الروح:

المجموعة الثانية من الفلاسفة والعلماء الذين يقرّون بوجود الله الخالق ، هم من الذين لا يعتقدون ببقاء الروح بعد موت الجسم ولا يؤيدون النظرية السابقة ، ولكن ليس من منطلق نفهم وإنكارهم لعالم ما وراء المادة، بل إنهم يقولون بأن الأدلة التي يذكرها أصحاب النظرية الروحية في هذا الصدد هي أدلة غير مقنعة، بل إن بعض هؤلاء الفلاسفة الإلهيين يقولون: إنه من الممكن ومن خلال التقدم العلمي الذي سوف يتحقق في المستقبل إثبات بقاء الروح بعد الموت، وإن العلم لا يتيح لأحد أن ينفي موضوع بقاء الروح .

«الدكتور (كارل) العالم الإلهي المعروف قال في كتابه الذي ألفه قبل حوالي نصف قرن : حتى الآن لا يوجد أي دليل علمي على البقاء بعد الموت، ولكن لا أحد يستطيع الإدعاء بأن العلم سوف لا يتوصل إلى هذه الحقيقة في المستقبل . فكما أن دراسة الأعراض المرضية يجعلنا نتعرف بصورة أفضل على فزيولوجية أو وظائف الجهاز العصبي في الجسم، كذلك فإن دراسة الحالات أو التغيرات

(١) انسان شناسي فلسفي ، ترجمة دكتور صدر نبوي ، صفحة ١٠٨ .

المتابسيشيكية^(١) تساعد دون شك على التعرف على الخصائص النفسية والروحية للإنسان^(٢) .

سمو المشاعر وبقاء الروح:

«رغم أن المنطق يتقبل فكرة فناء الجسم بشكل كامل أكثر من تقبله لفكرة بقاء النفس ، ولكن مع ذلك فمن الأفضل أن نقبل بنظرية الخلود لأن تفسير فناء المشاعر والنفس البشرية ليس بأسهل من تبرير بقائها . وإذا كان لا بد لشخصية الفرد أن تفنى وتزول بفناء وزوال جسمه إذن ما معنى هذا السمو في المشاعر الذي تقوم به الطبيعة في نفس الوقت الذي تحرص فيه على بقاء واستمرار النسل البشري ؟ فالحياة الفردية لا تهدف فقط إلى الإبقاء على النسل وضمان استمراره، لأن عملية الرقي والسمو في المشاعر والشخصية الإنسانية تستمر وتتواصل حتى بعد أن يفقد كل من الرجل والمرأة القدرة على الإنجاب . وإذا لم يكن الأمر كذلك فإن تكامل الفرد والعنصر البشري سوف لا يعني شيئاً سوى استهزاء بالطبيعة . إن الجهود الكبيرة التي بذلتها المادة الحية على مدى قرون كثيرة من أجل أن تتجلى وتتجسد المشاعر والروح الإنسانية هذه الجهود تصبح عديمة الجدوى ولا معنى لها إذا كانت روح الفرد ومشاعره تزول وتفنى بزوال وفناء جسمه»^(٣) .

٣- الإنسان موجود ذو بعدين:

الإنسان من وجهة نظر الأنبياء والمذاهب الإلهية هو موجود ذو بعدين

(١) المتابسيشيك Metapsychic هي عبارة عن الحالات الروحية أو النفسية الغامضة التي لا يمكن تفسيرها ومعرفة حقيقتها .

(٢) راه ورسم زندگي ، صفحة ١٤٣ .

(٣) راه ورسم زندگي ، صفحة ١٤٤ .

أحدهما مادي جسماني والآخر معنوي روحاني ، والإنسان من بعده المادي الجسماني هو كالحيوان ، يعيش كما تعيش الحيوانات ويلد ويتناسل ويمرّ بمرحلتَي الشباب والشيخوخة ، ويشعر باللذات والآلام ومن ثم يموت ويتلاشى على هذه الأرض . أما من البعد المعنوي الروحاني فإن الإنسان فيه من روح الله التي هي معيار الإنسانية ومركز العقل والاختيار . وهذه الروح التي في الإنسان تعيش حياةً أبدية تنفصل عن جسم الإنسان بعد موته وتنقل إلى عالم آخر لتواصل حياتها الخالدة في ظل ظروف لا نزال نجهلها .

موضوعين مترابطين:

عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال : «الإنسانُ خُلِقَ مِنْ شَأْنِ الدُّنْيَا وَشَأْنِ الْآخِرَةِ فَإِذَا جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُمَا صَارَتْ حَيَاتُهُ فِي الْأَرْضِ لِأَنَّهُ نَزَلَ مِنْ شَأْنِ السَّمَاءِ إِلَى الدُّنْيَا فَإِذَا فَرَّقَ اللَّهُ بَيْنَهُمَا صَارَتْ تِلْكَ الْفُرْقَةُ الْمَوْتَ تَرُدُّ شَأْنَ الْآخِرَى إِلَى السَّمَاءِ وَذَلِكَ أَنَّهُ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْأَرْوَاحِ وَالْجَسَدِ فَرُدَّتِ الرُّوحُ وَالنُّورُ إِلَى الْقُدُسِ الْأَوَّلِيِّ وَتَرَكَ الْجَسَدَ لِأَنَّهُ مِنْ شَأْنِ الدُّنْيَا فَيَصِيرُ رَفَاتًا وَيَبْلَى وَيَرْجِعُ كُلُّ إِلَى جَوْهَرِهِ الْأَوَّلِ وَتَحَرَّكَتِ الرُّوحُ بِالنَّفْسِ فَمَا كَانَ مِنْ نَفْسٍ الْمُؤْمِنِ فَهُوَ نُورٌ مُؤَيَّدٌ بِالْعَقْلِ وَمَا كَانَ مِنْ نَفْسٍ الْكَافِرِ فَهُوَ نَارٌ مُؤَيَّدٌ بِالنُّكْرِ فَهَذِهِ صُورَةُ نَارٍ وَهَذِهِ صُورَةُ نُورٍ وَالْمَوْتُ رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَنِقْمَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ» (١) .

الروح تلك الحقيقة المجهولة:

قبل أربعة عشر قرناً تحدث القرآن الكريم عن الروح فاعتبرها من الأمور المتعلقة بالله وأعلن القرآن الكريم بصراحة بأن البشر لا يعلم إلا القليل عن هذا السرّ الخفي وهذه الحقيقة المجهولة .

(١) بحار الأنوار ، المجلد ٣ ، صفحة ١٢٤ .

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(١) .

عالم اليوم وروح الإنسان:

في عالم اليوم المتطور فإن وضع العلماء لم يتغير بالمقارنة مع عصر الرسول الأكرم ﷺ وذلك من حيث معرفة الروح وحقيقتها . فلا علماء النفس استطاعوا التوصل إلى معرفة حقيقة ما يسمونه بالنفس ولا الروحانيون تمكنوا من فهم حقيقة الروح . وهذا الموضوع تشير إليه كتب علم النفس بصراحة ووضوح .

المسألة المعقدة التي لم يعثر على حل لها:

«يقول» «أوستاس تشيسر» - وهو طبيب وعالم نفس بريطاني - : البعض يقول ان مجموعة الأعمال الآلية التي يقوم بها دماغنا هي التي تخلق النزعة الذاتية الـ (أنا) في الإنسان والبعض يقول: إن الروح هذه هي عبارة عن الدماغ زائداً شرارة غامضة تخرج من جسمنا لحظة الموت . وكما تعلمون فإن كبار الفلاسفة فكروا كثيراً حول الروح وطبيعتها ومكان وجودها في الجسم وما إذا كانت الروح زائلة فانية أو خالدة أبدية ولكن لم يُعثر حتى الآن على حل لهذه المسألة المعقدة ، ولا يزال العلماء يبذلون الجهود لحلّ هذا اللغز والكشف عن حقيقة الروح .

وخلال السنوات الأخيرة قرر الكثير من المفكرين دراسة موضوع الروح من جانب آخر ، أي أنهم وضعوا مسألة الروح وهي مسألة معقدة جداً وغامضة في نفس الوقت وضعوها جانباً وبدأوا فقط بدراسة الذهن أو النفس أي دراسة مجموعة الأحاسيس والمشاعر والعقائد والأفكار»^(٢) .

(١) سورة الإسراء ، الآية : ٨٥ .

(٢) رشد وزندگي ، صفحة ١٣٤ .

الوحي الإلهي وكلام الأنبياء:

ومهما كانت حقيقة الروح وبغض النظر عما يقوله الفلاسفة الماديون والإلهيون في إثبات وجودها أو نفيها ومهما كانت الأدلة التي يأتون بها لإثبات نظرياتهم بشأنها ، فإن كل ذلك لا يؤثر على ما جاءت به مدرسة الأنبياء وعلى ما يؤمن به أتباع الرسائل السماوية المخلصين ، لأن الأنبياء وعلى مدى قرون متمادية واستناداً إلى الوحي الإلهي أعلنوا للناس بأن البشر لا ينتهي بالموت، بل ينتقل من عالم إلى آخر وتبقى روح الإنسان خالدة في عالم الغيب الذي لا نعرف عنه شيئاً .

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : «الروح لا يوصف بثقل ولا خفة وهي جسم رقيق أليس قالباً كثيفاً ، قيل أفتلاشى الروح بعد خروجه عن قلبه أم هو باق ؟ قال بل هو باق إلى يوم يُنفخ في الصور» (١) .

الروح أو معيار الإنسانية:

في القرآن الكريم وردت كلمة «الروح» وكلمة «النفس» بمعانٍ ومفاهيم عديدة وفي مناسبات عديدة . فقد وردت هاتان الكلمتان في القرآن الكريم بمعنى الروح أي تلك النفخة الربانية التي تُنفخ في جسم الإنسان، والروح بهذا المفهوم تعتبر معياراً للإنسانية وهي تبقى حتى بعد أن يموت الجسم لتواصل مسيرة الحياة . ولتوضيح هذه النقطة من المناسب هنا أن نشير إلى بعض معاني الروح والنفس حسبما جاء في القرآن الكريم .

﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾ (٢) .

الروح هنا بمعنى الملك .

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا﴾ (٣) .

(١) تفسير الصافي ، صفحة ٢٩٣ .

(٢) سورة النبأ ، الآية : ٣٨ .

(٣) سورة الشورى ، الآية : ٥٢ .

الرَّوْحَ هُنَا بِمَعْنَى الْقُرْآنِ .

﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾^(١) .

الرَّوْحَ هُنَا بِمَعْنَى رُوحِ الْإِنْسَانِ .

﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾^(٢) .

فِي هَذِهِ الْآيَةِ الَّتِي يَخَاطَبُ فِيهَا السَّيِّدُ الْمَسِيحُ الْمَلَكُ رَبَّهُ ، النَّفْسَ جَاءَتْ بِمَعْنَى الذَّاتِ .

﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي أَنْ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾^(٣) .

النَّفْسُ هُنَا بِمَعْنَى هَوَى النَّفْسِ وَالْغَرَائِزِ .

﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾^(٤) .

فَفِي لَحْظَةٍ خَرُوجَ رُوحِ الْمُؤْمِنِ مِنْ جَسَمِهِ ، يَأْتِي الْمُنَادِي :

(يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ بِالْإِيمَانِ ارْجِعِي وَعُودِي إِلَىٰ رَبِّكِ لِأَنَّكِ رَاضِيَةٌ مِنْهُ وَهُوَ أَيْضاً رَاضٍ عَنْكِ) ، وَهَذَا النَّفْسُ بِمَعْنَى رُوحِ الْإِنْسَانِ ، وَقَدْ أَشَارَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ فِي مَنَاسِبَاتٍ عَدِيدَةٍ إِلَىٰ قَبْضِ رُوحِ الْمُحْتَضِرِ مُسْتَعْدِماً لِذَلِكَ كَلِمَةً «تُوفِيهِ» .

«تُوفِيهِ الشَّيْءَ بِذَلِكَ وَافِياً وَاسْتِيفَاؤُهُ تَنَاوُلُهُ وَافِياً»^(٥) .

تَسْلَمُ رُوحُ الْمُحْتَضِرِ:

وَيَبْدُو مِنْ خِلَالِ اسْتِعْمَالِ كَلِمَةِ «تُوفِي» أَنَّ الْمَلَائِكَةَ الْمُكَلَّفِينَ بِالْمَوْتِ

(١) سُورَةُ السَّجْدَةِ ، الْآيَةُ : ٩ .

(٢) سُورَةُ الْمَائِدَةِ ، الْآيَةُ : ١١٦ .

(٣) سُورَةُ يُوسُفَ ، الْآيَةُ : ٥٣ .

(٤) سُورَةُ الْفَجْرِ ، الْآيَتَانِ : ٢٧ وَ ٢٨ .

(٥) الْمُفْرَدَاتُ فِي غَرِيبِ الْقُرْآنِ - لِلرَّائِغِ الْأَصْفَهَانِيِّ - (مَادَّةُ وَفَى) .

وقبض أرواح البشر إنما يتسلمون من المحتضر شيئاً كاملاً وبدون أي نقص . وبالطبع فإن الشيء المستلم لا يمكن أن يكون جسد الشخص المتوفى لأن الملائكة لا تستلم الجسد الذي يبقى عند ذوي المتوفى لكي يدفنوه، حيث يتلاشى تحت التراب . كما جاء في بعض الآيات والروايات المنقولة عن الأئمة عليهم السلام أن الملائكة يتحدثون مع الشيء الذي يتسلمونه ويسألونه عن أوضاعه وأحواله وهو يجيب على أسئلة الملائكة .

إذن فالشيء المستلم يجب أن يكون موجوداً حياً يتمتع بقوة الإدراك والفهم لكي يمكن مخاطبته .

الحديث بين الملائكة والمتوفى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾^(١) .

إن الشيء الذي تستلمه الملائكة كاملاً غير منقوص من المحتضر هو روحه . الروح التي هي أمانة أودعها الله في أجسام البشر ، حيث أن إنسانية كل فرد ترتبط بروحه ، الروح التي تقوم على أساس قيمة الإنسان وشخصيته ، هذه الروح هي ملك لله وعندما نفخ الله من روحه في الإنسان أمر الملائكة أن يسجدوا للإنسان ويعربوا عن تكريمهم له .

روح الله وسجود الملائكة:

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾^(٢) .

الروح التي اصطفاه الله وفضلها على جميع الأرواح:

عن الباقر عليه السلام أنه سُئِلَ عن قول الله عز وجل ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ

(١) سورة النساء ، الآية : ٩٧ .

(٢) سورة الحجر ، الآية : ٢٩ .

روحي ﴿ فَقَالَ رَبُّهُ ﴾ : «رُوحُ اخْتَارَهُ اللَّهُ واصطفاه وَخَلَقَهُ وأضافه إلى نفسه وفضَّله على جميع الأرواح فَنَفَخَ مِنْهُ فِي آدَمَ» (١) .

فهذه الروح تعيش حياة خالدة ، الجسم يموت ولكن هذه الروح تبقى ولا تموت وعندما يصبح الجسم على وشك الموت والدمار فإن الروح تغادره وتنتقل إلى عالم آخر .

وهناك بيت من الشعر الفارسي في هذا المجال يقول ما معناه : (الروح عزمت على الرحيل فقلت لها لا ترحلي فقالت ماذا أفعل فالبيت يتهاوى) .

رغم أن البشر لم يكتشف سر الحياة ولم يعرف حقيقتها ولكنه يعرف هذه الحقيقة المؤكدة والمشهودة وهي أن جميع الكائنات والمخلوقات الحية في هذا العالم من نبات وحيوان تتمتع بخصائص وصفات لا تتمتع بها الموجودات الميتة في هذا العالم .

صفات الكائنات الحية:

فالكائنات الحية تأكل الطعام وأجسامها تهضم وتمتص المواد الغذائية وبالتالي فهي تنمو وتكبر وتتناسل، كما أن الكائن الحي يعرف غذاءه بفضل الهداية التكوينية أو الفطرة التي أودعها الله فيه، وبالتالي فهو يعرف كيفية الوصول إلى الغذاء وطريقة الحصول عليه وتناوله . والكائن الحي يميز في هذه الحياة بين ما ينفعه وما يضره ويتمتع بقوة يستخدمها في نشاطاته في هذه الحياة ويتصدى للعقبات التي تواجهه وينقذ حياته من المخاطر التي تهددها . كما أن الموجود الحي عنده القدرة على التكيف أي أنه يكيف نفسه مع البيئة التي يعيش فيها ومع الظروف المعيشية والحياتية التي يعيشها وبهذه الطريقة يحافظ على حياته وبقائه .

القوة الكامنة في الحياة:

«يقول كرسى موريسن : ان الإنسان لم يستطع حتى الآن أن يفهم ما

(١) تفسير الصافي ، صفحة ٢٩٣ .

هي الحياة وماذا تعني . فالحياة لا وزن لها ولا هي بجسم له أبعاد وليس لها أي شكل هندسي . الحياة تتمتع بقوة وقدرة كبيرة لأن جذور الشجرة التي تنمو وتكبر باستمرار ، هذه الجذور بإمكانها أن تفتت الصخور الصلبة . فالحياة هي التي تجعل شجرة ضخمة تنمو على مدى قرون طويلة نحو الأعلى متحدية قوة الجاذبية الأرضية وهذه الشجرة الضخمة تمتص في كل يوم كمية كبيرة من الماء من الأرض لتصنع منه الأوراق والثمر والفاكهة . ويجدر بنا أن نشير في هذا المجال إلى أن أقدم المخلوقات على هذه الأرض هي شجرة ضخمة يبلغ عمرها خمسة آلاف سنة وهذا العمر الطويل لا يشكل سوى لحظة من عمر الأرض»^(١) .

فالمظاهر والنشاطات الحياتية التي تشاهد في النبات والحيوان والناجمة عن الروح النباتية والحيوانية هذه المظاهر الحياتية موجودة في الإنسان أيضاً ، فالإنسان الذي هو من الكائنات الحية في هذا العالم يتمتع بهاتين الميزتين كالنبات والحيوان ، ولكن الحياة النباتية والحيوانية ليست خالدة ، وعندما تموت الشجرة وتجف أو عندما يموت الحيوان فإن روحهما (النباتية والحيوانية) تزول وتفنى أيضاً وتنتهي فترة نشاطهما .

الإعتقاد الخاطيء عند أصحاب النظرية المادية:

إن الخطأ الكبير الذي وقع فيه الماديون هو أنهم تجاهلوا البعد المعنوي والروحي في الإنسان وأخذوا بنظر الإعتبار فقط البعد الحيواني في الإنسان وتصوروا بأن حياة الإنسان كحياة الحيوانات لها بُعد واحد وتنتهي بالموت .

«واجهت نظرية معرفة الإنسان في بداية ظهورها تأييداً قوياً من جانب الطبيعيين وأصحاب نظرية النقاء العنصري . فهؤلاء كانوا يريدون

(١) رازآفرينش انسان ، صفحة ٤٨ .

معرفة الإنسان من الناحية الجسمية أو الجسدية فقط وبالتالي فرض منطقهم المتعصب والمتشدد فيما يخص الجوانب الفكرية الأخرى المرتبطة بالإنسان . وحدث أن تم في منتصف القرن التاسع عشر العثور على هياكل عظمية بشرية تعود إلى العصور القديمة مما جعل علماء الطبيعة يتمسكون أكثر فأكثر بنظريتهم حول الإنسان .

إدعاء القرابة بين الإنسان والقرد :

إن العثور على بقايا الإنسان القديم جعل العلماء ولاسيما علماء الطبيعة يعطون أهمية خاصة لتاريخ الإنسان الطبيعي ، وبالتالي مكنهم من الربط بين بعض المظاهر الإنسانية من خلال تلك البقايا الإنسانية القديمة التي تم العثور عليها ، وبالتالي فقد استطاع العلماء على ضوء هذه البقايا البشرية أن يضعوا أساس التاريخ الطبيعي للإنسان ، وفي خضم هذه النشاطات طرح علماء التاريخ الطبيعي للإنسان نظرية القرابة بين الإنسان والقرد . وكما نعلم فإن الإنسان لا يمكن معرفته من الزاوية الطبيعية والجسمية فقط ، ومن أجل هذا فلا بد من وجود نظرة علمية للغاية للإنسان ، لأن الإنسان كائن لا محدود ولا نهائي ولا يمكن معرفة حقيقته حتى لو استخدمت كافة المعلومات التي يملكها البشر .

ومن جملة العلوم التي ساعدت علماء الطبيعة على معرفة الإنسان ، يمكن أن نشير إلى علم معرفة الإنسان من الناحية الطبية ، حيث أن هذا العلم يعتبر الإنسان مجرد لحم وعظام وأعصاب وأوردة وعروق وشرايين وارتباط كل هذه عضوياً بأنظمة الجسم الآلية المختلفة .

الروح الخاصة بالإنسان:

الإنسان يمتلك إلى جانب الروح الحيوانية روحاً خاصة به عبر عنها القرآن بروح الله ، وكما قلنا سابقاً فإن حقيقة هذه الروح مجهولة بالنسبة لجميع الناس سواء كانوا علماء أو أشخاصاً عاديين ، ولا أحد يعرف شيئاً عن حقيقة هذا الأمر

الإلهي . ولكن بعض المسلمين ومن منطلق حب الإستطلاع سألوا الأئمة عليهم السلام وفي مناسبات خاصة ، عن بعض الأمور والخصائص المرتبطة بهذه الروح التي يختص بها الإنسان وحصلوا على أجوبة تساعد - إلى حد ما - على فهم بعض الأمور والقضايا المتعلقة بالروح .

الروح تنسب إلى الله:

فعن محمد بن مسلم قال سألت أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن قوله (عز وجل): ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ كيف هذا النفخ ؟ فقال : «إِنَّ الرُّوحَ متحركٌ كالريح وإنما سمي روحاً لأنه اشتق اسمه من الريح وإنما أخرجه على لفظة الريح لأن الأرواح مُجانسة الريح وإنما أضافه إلى نفسه كأنه اصطفاؤه على سائر الأرواح كما قال لبيت من البيوت بيتي ورسول من الرُّسل خليلي وأشباه ذلك وكل ذلك مخلوق ، مصنوع ، محدث ، مربوب ، مدبر»^(١) .

ففي هذه الرواية هناك نقطتان جديرتان بالاهتمام والملاحظة ، النقطة الأولى أن الإمام الصادق عليه السلام قال : الروح متحركة كالريح ونظراً لأنه لم يكن من الممكن قبل أربعة عشر قرناً إفهام الناس وإطلاعهم على حقيقة الروح وطبيعتها، فكان لا بد من تشبيهها بأموج الريح لأن الناس في ذلك الزمن لم يكونوا يفهموا معنى الأمواج الأمرئية التي يمكن أن توصف بها روح الإنسان .

الأمواج الأمرئية:

أما اليوم وفي ظل التطور والتقدم العلمي حيث أصبح النور معروفاً وانتشر استعمال الأجهزة والأدوات التي تعمل بواسطة الطاقة الكهربائية، فإن تصور الأمواج صار أمراً عادياً عند الناس الذين باتوا يعرفون بأن الأمواج الكهرومغناطيسية هي التي تمكننا من سماع أصوات الأشخاص الذين تفصلهم عنا مسافات طويلة وبعيدة وذلك عبر الراديو أو الهاتف، كما أن هذه الأمواج

(١) الكافي ، المجلد ١ ، صفحة ١٣٣ .

الكهربائية (الكهرومغناطيسية) نفسها هي التي تنقل إلينا صور الأشخاص البعيدين عنا وذلك عبر جهاز التلفزيون .

ويقول بعض العلماء : إنَّ الروح التي تبقى بعد موت الإنسان ولا تفتنى بعد أن يتحول الجسم إلى تراب ، هذه الروح قد تكون شبيهة بأمواج الضوء حيث أن هذه الأمواج الضوئية تبقى حتى بعد زوال مصدرها أي المصدر الذي انطلقت وانبعثت منه في البداية .

الشَّبهُ بين الروح والضوء أو النور:

«يقول الدكتور كارل : قد لا نستطيع أن نفهم كيف أن الروح التي لا يمكن فصلها عن الجسم ، كيف يمكنها أن تعيش بدون هذا الجسم وخارج نطاقه ؟ لعل الكشف عن هذا السرِّ الكبير وهذا اللغز العظيم يحتاج إلى قرون بل آلاف السنين وحتى يحين ذلك الوقت وينكشف هذا اللغز ، قد يمكننا تشبيه نضوح الروح عبر الدماغ بانتشار الضوء عبر السلك الموجود في داخل المصباح ولكن الفوتونات الضوئية تمر عبر زجاجة المصباح لتنتشر في الفضاء وتبدأ مسيراً لا نهاية له ، وعندما نطفئ المصباح فإن الأشعة الضوئية المنتشرة في الفضاء لا تزول . وقد تمكن الفلكيون في مدينة كاليفورنيا من تصوير أشعة ضوئية صادرة عن نجوم من المحتمل أن تكون قد تلاشت قبل حوالي أربعمئة مليون سنة ضوئية، وعلى هذا الأساس يمكن أن نتصور بأن الطاقة المعنوية المنبعثة من الدماغ البشري تبقى بعد موتنا في عالم يتجاوز حدود الزمان والمكان لتواصل انطلاقها ومسيرها كضوء المصباح»^(١) .

(١) راه ورسم زندگي ، صفحة ١٤٥ .

حديث الإمام الصادق (عليه السلام) مع أحد الزنادقة :

ونشير هنا إلى أنه قبل ثلاثة عشر قرناً جرى نقاش بين الإمام الصادق عليه السلام ورجل زنديق حول مقارنة الروح بضوء المصباح ، فسأل الزنديق الإمام قائلاً : أخبرني عن السراج إذا انطفأ أين يذهب نوره . فقال الصادق عليه السلام : «يذهب فلا يعود» .

فالإمام في رده على الزنديق لم يقل بأن الضوء يفنى ويزول بل قال : يذهب ولكنه لن يعود مرة أخرى . الزنديق أراد أن يستغل جواب الإمام لينفي مبدأ المعاد فقال الزنديق : وما يضر إذا قلنا بأن الإنسان كالمصباح عندما يموت لا تعود روحه إلى بدنه كضوء المصباح الذي لا يعود ؟ فرد عليه الإمام قائلاً : «هذه مقارنة غير صحيحة ، لأن المصباح يحتوي على مادة قابلة للاحتراق يجب أن تحترق وتزول لكي ينبعث النور أو الضوء منها ، أما الروح فإنها موجود مستقلة بذاته في الجسم ، وهي تغادر هذا الجسم عندما يموت وإن الله يبعث هذا الجسم حياً مرة أخرى يوم القيامة لتنضم إليه روحه»^(١) .

معنى روح الله:

النقطة الثانية المستقاة من الرواية التي ذكرها «محمد بن مسلم» هي معنى تبعية وانتماء هذه الروح لله ، المؤمنون برسالات الأنبياء يعتقدون بهذه الحقيقة وهي أن كافة عوالم الوجود وكل ما فيها وما تحويه هذه العوالم وبينها أرواح جميع الكائنات الحية التي تعيش فوق الكرة الأرضية ، هي مخلوقة من قبل الله الواحد الأحد ، ولكن الروح التي نفخها الله في الإنسان تتمتع بمزايا وتحظى بجوانب تفوق مهمة جداً تفتقد إليها الأرواح الأخرى . ولهذا السبب فإن الله اختار الروح البشرية هذه ونسبها إلى نفسه من دون سائر الأرواح الأخرى التي خلقها وذلك على غرار الكعبة التي نسبها الله إلى نفسه واعتبرها بيته حيث قال :

(١) الاحتجاج للطبرسي ، القسم الثاني ، صفحة ٩٦ .

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيُحْيَىٰ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا خَلَّلْنَا لَهُ الْوَحْيَ إِنَّهُ يُشْكِرُ﴾ (١) وعلى غرار اتخاذ إبراهيم عليه السلام خليلاً له حيث قال (تعالى) : ﴿وَإِتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ (٢).

الروح مصدر كرامة للإنسان:

فهذه الروح هي مصدر كرامة وجلال الإنسان ومعياراً لإنسانية البشر وهي التي تسخر هذا العالم العظيم للإنسان وتذله له وتجعله خاضعاً للإنسان وتفتح أمامه سبل التعالي والسمو والتكامل اللامحدود ، وهذه الروح هي التي جعلت الإنسان يتمتع بنعمة الاختيار والحرية في العمل والتصرف وجعلته لائقاً ومؤهلاً لتقبل الأوامر الإلهية والتكاليف والواجبات الدينية ، هذه الروح جعلت الإنسان يتفوق ليس فقط على سائر الكائنات الحية في هذا العالم بل جعلته يتقدم ويتفوق حتى على الملائكة التي سجدت للإنسان .

تفوق روح الإنسان:

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : «فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَنْفُخَ فِيهِ الرُّوحَ خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى رُوحَ آدَمَ لَيْسَتْ كَالْأَرْوَاحِ وَهِيَ رُوحٌ فَضَّلَهَا اللَّهُ عَلَى جَمِيعِ أَرْوَاحِ الْخَلْقِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَغَيْرِهَا . فَلَمَّا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى رُوحَ آدَمَ أَمَرَ بِغَمْسِهَا فِي جَمِيعِ الْأَنْوَارِ ثُمَّ أَمَرَهَا أَنْ تَدْخُلَ فِي جَسَدِ آدَمَ» (٣) .

الإنسان مؤهل للوصول إلى الكمال المطلق:

هذه الروح هي المؤهلة للوصول إلى الكمال المطلق والسمو والتقدم المعنوي للامحدود . فإذا استرشد الإنسان بعقله الذي هو نفحة أو شعاع من الروح الإنسانية وسار بجِدٍّ وعزيمة وتصميم في طريق الإنسانية وهو الطريق الذي يجمع بين القيم المادية والمعنوية فإنه يصبح أفضل من الملائكة ويتمتع بأعلى

(١) سورة الحج ، الآية : ٢٦ .

(٢) سورة النساء ، الآية : ١٢٥ .

(٣) تفسير البرهان ، حاشية الآية (فإذا سويته ونفختُ فيه من روحي) ، صفحة ٥٤٩ .

درجات السموم والتكامل التي تليق به . وأما إذا استغلَّ حرите وتخلَّى عن العقل والإنسانية وأصبح أسيراً لشهواته وغرائزه فإنه يصبح أسوأ وأضلَّ من الحيوان ويسقط إلى أسفل السافلين .

الإنسان مخلوق ذو بعدين:

فالحیوانات شاءت إرادة الله أن تخلق ببعدٍ واحد أي البعد الجسدي والمادي فقط، ولذلك فإن الحالات التي تعتریها كالقوة والضعف والكمال والنقص والشعور باللذة والألم وغيرها من الحالات هي حالات ذات بُعد أو جانب واحد . أما الإنسان فإن له بعدين أحدهما حیواني والآخر إنساني وعلى هذا الأساس فإن الحالات التي تطرأ على الإنسان والأعراض التي تظهر عليه أيضاً لها جانبين ، فالقوة والضعف عند الإنسان قد تكون ذات طابع جسمي أو روحي وأيضاً هناك اللذة والألم الحيواني وهناك اللذة والألم المعنوي أو الروحاني ، والإنسان السعيد هو الذي يوازن طوال فترة حياته بين الجسم والروح ويعيش طبقاً لقانون وبرنامج الخلقة ويهتم بالناحية الحيوانية الجسمية، وكذلك بالناحية الإنسانية الروحية في نفس الوقت ولا يضحى بإحدهما من أجل الأخرى .

حالات الروح والبدن:

عن علي عليه السلام قال : «إِنَّ لِلْجِسْمِ سِتَّةَ أَحْوَالٍ الصِّحَّةُ وَالْمَرَضُ وَالْمَوْتُ وَالْحَيَاةُ وَالنَّوْمُ وَالْيَقَظَةُ وَكَذَلِكَ الرُّوحُ فَحَيَاتُهَا عِلْمُهَا وَمَوْتُهَا جَهْلُهَا وَمَرَضُهَا شَكُّهَا وَصِحَّتُهَا يَقِينُهَا وَنَوْمُهَا غَفْلَتُهَا وَيَقَظَتُهَا حِفْظُهَا» (١) .

فالروح هي التي لها حياة أبدية وتعيش بصورة مستقلة وهي لا تموت بموت البدن . الروح موجودة عند جميع البشر سواء كانوا موحدین أو مشركين صالحين أو فاسقين متقين وغير متقين، وهي تنفصل على أجسامهم وتخرج منها

(١) السماء والعالم ، صفحة ٣٩٨ .

عندما يموتون وتنتقل إلى عالم آخر . فالأشخاص الصالحين المتقين يعطيهم الله ثوابهم أما الأشخاص الفاسقين غير المتقين فيعذبون بعذاب الله .

خطاب النبي ﷺ إلى قتلى معركة بدر:

لقد تمكن المسلمون في معركة بدر من قتل عدد من زعماء قريش حيث ألقوا بجثثهم داخل بئر كانت هناك . ويقول «أنس بن مالك» : لقد سمع أصحاب الرسول ﷺ سمعوه في منتصف إحدى الليالي يخاطب وبصوت مرتفع «عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ» و «شَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ» و «أُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ» و «أَبَا جَهْلُ بْنُ هِشَامٍ» وعدداً آخر من القتلى الذين ألقيت جثثهم أيضاً داخل البئر المذكورة، يخاطبهم النبي ﷺ بالقول : «هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ حَقًّا فَإِنِّي وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا» فقال المسلمون يا رسول الله أتنادي قوماً قد جِيفُوا ؟ فقال ﷺ : «ما أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ وَلَكِنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُجِيبُونِي» (١) .

الأنبياء وبقاء الروح:

لقد تحدث جميع الأنبياء عن بقاء الروح وبشروا بالحياة الخالدة للإنسان . المؤمنون برسالات الأنبياء والأديان السماوية - سواء في الماضي أو في وقتنا الحاضر - يؤمنون بالحياة بعد الموت وبمبدأ الثواب والعقاب الإلهي ، وأما الذين تخلّوا عن الدين فإنهم يعيشون حالة صراع داخلي وهم لا يستطيعون أن ينفوا - وبشكل قاطع - مبدأ الحياة بعد الموت .

الموت هو بداية الحياة:

«صحيح أن الغالبية في أيامنا هذه قد تخلّت عن الإيمان والالتزام الديني ولكن الكثير من هؤلاء لا زالوا يفكرون بلغز الموت ويسألون أنفسهم بقلق : هل حقاً أن هدفهم في هذه الحياة هو السمو الروحي والمعنوي ؟ وهل أن الكنوز المعنوية التي تركها العظماء والصالحون

(١) سيرة ابن هشام ، المجلدين ١ و ٢ ، صفحة ٦٣٩ .

ممن ساروا على طريق الحق هذه الكنوز محكوم عليها بالفناء؟ فمن وجهة نظر الدين: إن الموت ليس هو نهاية الحياة بل بداية لها، فبدل أن تتلاشى وتَفنى الروح مع الجسم أو البدن فإنها تواصل تعاليها وسموها، وتتصل بالله دون أن تفقد شخصيتها. فعلى مدى ألفي عام مات الملايين من الرجال والنساء وهم يعتقدون بأنهم سيلتحقون بعد الموت بأعزائهم وبالصالحين وبالملائكة وبالله.

مدرسة الأنبياء والسعادة الأبدية :

حتى المسيحية فإنها بشرت الإنسان ليس فقط بالحياة الخالدة، بل إنها بشرت ووعدت الأشخاص المؤهلين والذين عندهم الكفاءة والاستعداد بالحاق بالله ونيل السعادة الأبدية. إذن فالدين أكثر قدرة من العلم على معالجة القلق الذي تعانيه البشرية بسبب قضية الموت. وإن الجواب الذي يقدمه ويعطيه الدين على مسألة الموت هو أكثر إقناعاً من الجواب الذي يعطيه العلم في هذا المجال، فالدين يعطي الإنسان ذلك الجواب الذي يبحث عنه في أعماقه ويرغب به من صميم قلبه»^(١).

الحياة في عالم الطبيعة تعتبر من الظواهر الغامضة الشديدة التعقيد بحيث أن العلماء المعاصرون رغم كل ما توصلوا إليه من علم ومعرفة ومعلومات كثيرة فإنهم لم يتمكنوا حتى الآن من اكتشاف سر الحياة والعثور على حل لهذا اللغز المحير، فهم لا يعرفون كيف ينشأ الكائن الحي وكيف أن المادة الميتة تلبس ثوب الحياة في أحضان الطبيعة، ففي السابق كانت وكالات الأنبياء تذكر بين الحين والآخر بأن العالم الفلاني منكم في مختبره في صنع موجود حي وأن نتيجة هذه التجارب ستعلن في القريب العاجل، ولكن بعد فترة تهدأ الضجة

(١) راه ورسم زندگي، صفحة ١٤٢.

الإعلامية ويواجه هذا العالم الفشل في محاولته تلك ويعلن عجزه وعدم قدرته على صنع موجود حي من مواد ميتة .

المقارنة بين العقل الإلكتروني والكائن الحي:

«إن أكثر الآلات تعقيداً والتي قام الإنسان بصنعها مثل الدماغ الإلكتروني أو ما يسمّى الآن بالكمبيوتر ليس سوى لعبة بسيطة إذا ما قورن بأبسط الكائنات الحية التي تعيش على هذه الأرض . والأمر المحير في هذا المجال هو أن هذا التعقيد يشاهد داخل موجود صغير جداً بحجم الذرة أو الجزيئة وأن هذه الجزيئات مترابطة ومتناسقة فيما بينها بطريقة لا يفهمها أي عالم من علماء الكيمياء .
فما الذي جعل مثل هذه المواد المعقدة التركيب منتظمة ومتناسقة بهذا الشكل ؟ .

إن أهمية هذا التنظيم والتناسق بين الجزيئات أو الذرات هو كأهمية التكوين الداخلي لكل واحدة من هذه الذرات أو الجزيئات أو الخلايا التي تكوّن جسم الكائن الحي . فهذه الخلايا أو الجزيئات ومن أجل أن تكوّن وتشكّل الموجود الحي يجب أن تترابط وتلتحم فيما بينها بأشكال لا تخلو من التعقيد، وبالتالي فإن على هذه الخلايا أن تُنشئ نظاماً أو جهازاً فعّالاً يقوم بترميم وإعادة بناء نفسه بنفسه»^(١) .

الحياة من وجهة نظر الماديين:

يرى الماديون بأن الحياة بالنسبة للكائنات الحية ليست سوى تلك العلاقة الزمنية والمكانية بين أجزاء المادة وأسلوب التنظيم والترابط والتنسيق القائم فيما بينها . على أن أتباع النظرية المادية لا يعترفون بأهمية الحياة والاستقلال

(١) شناخت حیات ، صفحة ٢٦ .

والأصالة في الخلقة ولا يعتبرون هذه الظاهرة المعقدة والمدهشة مستمدة من قبل الخالق العليم الحكيم بل يعتقدون بأن الكائنات الحية في هذا العالم من نبات وحيوان والمخلوقة بشكل دقيق ومدرّوس وفي إطار من الحكمة والدراية ، هذه الكائنات الحية إنما وجدت بفعل حركة المادة وبطريق الصدفة التي لا تعي ولا تدرك شيئاً .

تشبيه من الدكتور «اراني» :

«بشأن تحوّل المادة الميتة إلى كائن ذي روح حي وتعريف الروح يقول الدكتور (تقي اراني) : إذا نشأت هناك علاقة زمنية ومكانية خاصة بين أجزاء المادة فإن هذه المادة تصبح ذات روح . والروح عبارة عن العلاقة بين أجزاء الكائن الحي . ومتى ما تغير هذا الارتباط الخاص بشكل كبير واختلّت هذه العلاقة الخاصة^(١) بشدّة فإن المادّة تفقد الروح»^(٢).

وفي هذا المجال يشبه الدكتور (اراني) الكائنات الحية التي تتمتع بالصفات والمزايا الحياتية بالساعة التي هي آلة جامدة لا روح فيها ويقول : إن عقارب الساعة تقطع الفواصل الزمنية الثابتة والفواصل أو المسافات المتساوية ويدقّ جرسها خلال فترات زمنية ثابتة كل ساعة مثلاً، وهي بذلك تؤدي عملها المحدد . وإذا ما جرى العبث في الأجهزة الخاصة الموجودة في داخل الساعة فإن الارتباط بين أجزاء الساعة يختل رغم أن هذه الأجزاء لا زالت موجودة كما هي من الناحية المادية ، ولكن نرى بأن الساعة تتوقف عن العمل ، بعدها يتحدث الدكتور «اراني» عن نظرية الروحانيين ومؤيدي نظرية وجود عالم ما وراء المادة ويوحى بخطأ هذه النظرية، ويعتبر نظرية الماديين الذين يؤمنون بالمادية الجدلية هي الصحيحة ويقول في هذا المجال :

(١) العلاقة الخاصة الموجودة بين العناصر والأجزاء أو الخلايا التي يتكوّن منها الكائن الحي .
(المترجم) .

(٢) سيكولوجي ، صفحة ٣١ .

إنكار أصالة الروح كوجود مستقل بحد ذاته:

«لقد كان البشر مخطئاً في الماضي بخصوص نظرتهم إلى الروح حيث كان يعتبرها موجوداً ما وراثياً أو غيبياً خاصاً . أمّا اليوم فإن النظرية المادية الجدلية تبحث عن الروح من خلال المادة ، وهي من جهة تعتبر الروح ناتجة عن المادة، أي أن المادة هي التي تنتج وتخلق الروح . ومن جهة أخرى فإن هذه النظرية - وخِلافاً لما تذهب إليه النظرية الماورائية أو الغيبية - لا تؤمن بأن الروح لها وجود وكيان خاص بها ومستقل بحد ذاته»^(١) .

تصور باطل وكلام مخالف للحقيقة:

لقد عرض الدكتور (اراني) وجهة نظره بشكل يتصور معها القارىء غير المطلع على حقائق الأمور بأن الناس في السابق هم وحدهم الذين كانوا يؤمنون بالروح الخالدة، وكانوا يعتبرونها موجوداً ما وراثياً وغيبياً خاصاً، وكأن هذه النظرية لم يعد لها وجود في عصرنا الحاضر ولم يعد هناك من يؤيدها . هذه هي النقطة الأولى . أمّا النقطة الثانية فهي أن نظرية المادية الجدلية التي تبحث عن الروح عبر المادة ومن خلالها ، هذه النظرية هي خلافاً لما تذهب إليه العقيدة المتافيزيقية أو الماورائية أو الغيبية لا تؤمن بأن للروح وجوداً خاصاً بها مستقلاً بحد ذاته وكأن أحداً لم يقل مثل هذا الكلام قبل أن يقوله أصحاب النظرية المادية الجدلية ولم يؤمن أحد قبلهم بالجانب المادي في الروح . وسنبين فيما يلي بأن كلتا النظريتين خاطئتان ويأطلتان وخلافاً للواقع .

أولاً : بعض العلماء في القرون الماضية ونتيجة لعدم تطور العلم وعدم وجود وسائل البحث والتحقيق ، كانوا يطرحون قضايا وأموراً غير صحيحة وخاطئة تحت غطاء النظرية العلمية، وذلك حول حقيقة العالم والكائنات الموجودة

(١) بيسيكولوجي، صفحة ٣٢ .

في هذا العالم . وأحياناً كانت تلك النظريات الخاطئة تلقى القبول في الأوساط العلمية في تلك العهود . ومثل هذه النظريات كانت تكتب في الكتب وتدرّس في المدارس والجامعات على مدى عشرات السنين، بل ومئات السنين حيث كان الطلبة يجدون ويجهدون لتعلمها .

القرون الماضية والنظريات غير الواقعية:

وإحدى هذه النظريات التي كانت متداولة في الأزمنة السابقة تلك النظرية غير الواقعية التي تقول بأن الكرة الأرضية هي مركز العالم ، وأن المجموعة الكونية هي عبارة عن كرات متداخلة تحيط بالكرة الأرضية، وأن السطح المحدّب لكل واحدة من هذه الكرات يتصل ويلامس السطح المقعر للكرة الأخرى ، ولكي يقربوا نظريتهم من الأذهان فقد شبّه أصحاب هذه النظرية المجموعة الكونية بالبصلة التي يتكون داخلها من عدة طبقات، وهم يقولون بأن الأرض هي بمثابة أصغر الطبقات داخل البصلة والكُرات أو الأجرام السماوية الأخرى هي بمثابة الطبقات الأكبر حجماً داخل هذه البصلة . فكما أن في البصلة الواحدة كل حلقة تحيط بالحلقة الأصغر منها ، كذلك هو الحال بالنسبة للكون فكل كرة محاطة بالكرة الأكبر حجماً منها ، ولكن علم النجوم والفلك الحديث فنّد هذه النظرية حيث لم يعد هناك حالياً وجود لهذه النظرية ولا لمن يؤيدها .

العناصر الأربعة:

كما أن بعض العلماء في الأزمنة السابقة كانوا يعتقدون بأن العناصر الرئيسية والأساسية التي تخلق منها الكائنات والمخلوقات هي العناصر الأربعة البسيطة الماء والتراب والهواء والنار . أمّا اليوم فإنه نتيجة لتطور العلوم الطبيعية واختراع أجهزة ووسائل المختبرات وأجهزة التحليل العلمية ، فقد تم اكتشاف أكثر من مائة عنصر في الطبيعة ، كما ثبت من خلال البحوث العلمية بأن العناصر الأربعة التي تصورها القدماء بأنها عناصر بسيطة ، هي في الواقع ليست عناصر بسيطة بل هي من العناصر التي يتكون منها هذا العالم . وفي عصرنا

الحاضر لا نجد أي ذكر لنظرية العناصر الأربعة ولا لمن يدعو إليها ويؤيدها .
وكان يوجد في السابق الكثير من هذه الفرضيات غير الواقعية والتي أثبت العلم
الحديث بطلانها حيث دخلت شيئاً فشيئاً في عالم النسيان .
ولو كانت مسألة الروح كفرضية الكون المتداخل والفرضية القائلة بأن
الأرض مركز الكون حيث أثبت العلم في وقتنا الحاضر بطلانهما ، ولو كانت
مسألة الروح كنظرية العناصر الأربعة التي رفضها العلم الحديث حيث لم يعد
هناك من بين العلماء في هذا العصر من يؤيد هاتين النظريتين ، لكان من
الأنسب للدكتور «تقي اراني» أن يذكر في كتابه ما يلي : «لقد كان تصور
الإنسان في السابق خاطئاً فيما يخص مسألة الروح حيث كان البشر في السابق
يعتبر الروح موجوداً ما ورائياً وغيبياً خاصاً، ولكن نظرية المادية الجدلية تبحث
اليوم عن الروح عبر المادة ومن خلالها» .

الكلام اللامعقول للدكتور اراني:

فعندما كان الدكتور اراني يكتب هذه العبارات حول الروح كان هناك مئات
الملايين من المؤمنين برسالات الأنبياء والأديان السماوية في كافة أرجاء هذا
العالم يؤمنون ويعتقدون بأصالة الروح وبقائها أي يؤمنون بأن الروح هي وجود
مستقل بحد ذاته ، وفي الوقت نفسه كان يوجد في تلك الفترة آلاف من
الفلاسفة والعلماء من الشرق والغرب يؤيدون نظرية بقاء الروح ويعتبرونها
صحيحة ومقبولة من الناحية العلمية والفلسفية ومن ناحية علم النفس التجريبي .
والأمر الملفت للانتباه أن التطور العلمي - ولا سيما في مجال علم النفس - قد
كشف الأسرار الغامضة التي كانت تحيط بوجود الإنسان الواحد تلو الآخر .
وبعض هذه الأسرار التي تم اكتشافها تعزز نظرية استقلال الروح وأصالتها
وتجعل العلماء يهتمون أكثر فأكثر بحقيقة وجود الحياة بعد الموت . وكما أشرنا
إلى ذلك من قبل فإن السيد «كرسي موريسن» يقول : «إن الإنسان في عالم
الخلقة لا يزال يمر بمرحلة الصبا وقد بدأ لتوه يُدرك وجود الروح ويفهم موضوع
خلود الروح وأبديتها» .

الفيلسوف العالمي «برتراند رسل» يتردد في نفي وجود الروح:

«برتراند رسل» هو من الفلاسفة الماديين المنكرين لوجود الروح الخالدة . وقد بين «رسل» في بعض كتبه فكره السلبي هذا بعبارات مختلفة ولكن يظهر من خلال كتاباته بأنه في أعماقه لا يصرّ على نفي وإنكار الروح، وهو يتحدث عن هذا الموضوع بشيء من الشك والترديد . على أن «رسل» مثل «كرسي موريسن» ينظر إلى التطور الذي أحرزه العلم في مجال معرفة الروح نظرة إيجابية ، ويعترف بأنه من الممكن أن تتعزز وتقوى نظرية وجود الروح الخالدة في المستقبل بحيث لا يعود هناك مجال لإنكارها .

«بقاء الروح : حول موضوع الروح يجب أن أقول بدون أي شك بأن العلاقة بين الجسم والروح مهما كانت وبأي شكل كانت هذه العلاقة هي بنظري أعمق بكثير مما يتصوره الناس عادةً ولم يكن عندي دليل لكي أقبل بموجبه فكرة بأن الروح تبقى بعد تفسخ دماغ الإنسان»^(١) .

أنا شخصياً أعتقد بأن الأدلة والبراهين التي يقدمها الميتافيزيقيون^(٢) لإثبات مبدأ الحياة بعد الموت هذه الأدلة والبراهين أضعف بكثير من تلك التي يقدمها معارضوهم . ولكني أوافق على أن هذه الأدلة التي يقدمها الميتافيزيقيون يمكن أن تقوى وتزداد قوتها الإقناعية لحظة بعد أخرى ، وفي هذه الحالة فإن عدم الاعتقاد بالحياة بعد الموت سيكون مغايراً ومناقضاً للمنطق والاستدلال العلمي»^(٣) .

الإلتزام بالأدب في الحديث:

وكما تلاحظون فإن السيد «رسل» الفيلسوف المادي العالمي الشهير

(١) جهان كه می شناسم ، صفحة ٢٥ .

(٢) الذين يؤمنون بالفلسفة العقلية وبالعالم ما وراء المادة أو الطبيعة (. . . . المترجم) .

(٣) چرا مسیحی نیستم (لماذا لست مسيحياً) ، صفحة ٦٣ .

نحدث عن الروح ولكنه لم يتطرق في حديثه ولم يتجاوز حدود الأدب ولم يتهم الروحيين المؤمنين ببقاء الروح وخلودها بارتكاب الخطأ . فقد رأى «رسل» أن الأدلة التي يقدمها المؤمنون بوجود الروح هي أضعف من تلك التي يقدمها منكرو الروح ولكنه يعترف في الوقت ذاته بأن من الممكن أن تصبح أدلة الروحيين أكثر قوة في المستقبل بحيث لا يعود هناك مجال لإنكارها .

الدكتور اراني وانحيازَه الفئوي:

أما السيد الدكتور اراني فإنه لم يحترم المكانة العلمية للعلماء الذين عاصروه وهم الذين كانوا يؤيدون بقاء الروح، كما أنه لم يراع حدود الأدب لمئات الملايين من البشر الذين كانوا يؤمنون ببقاء الروح خلال تلك الفترة ، حيث صرح بأن القبول بنظرية بقاء الروح كان خطأ ارتكبه السابقون، ويبدو أن الانحياز الفئوي والتزمّت والتعصب الحزبي هو الذي جعل الدكتور (اراني) يُقدم على هذا العمل غير اللائق والبعيد عن الأصول والمبادئ العلمية .

ثانياً : كما ذكرنا سابقاً فإن السيد الدكتور «اراني» يقول حول ولوج الروح في المادّة وحول تعريف الروح : إذا ما أصبحت هناك علاقة زمانية ومكانية بين أجزاء المادّة فإن هذه المادّة تصبح ذات روح ، والروح بهذا المفهوم هي تلك العلاقة القائمة بين أجزاء أو خلايا الشيء الذي فيه روح (الجسم الحي) . ويعتبر الدكتور (اراني) نظرية الروحيين (وهي النظرية التي تقول ببقاء الروح وخلودها) بأنها كانت من الأخطاء التي ارتكبتها البشرية في الماضي ويقول : «أما اليوم فإن أتباع العقيدة المادّية الجدلية يبحثون عن الروح عبر المادّة وخلالها» . وعلى هذا فإن الدكتور اراني يعتبر من جهة المادّة بأنها منشأ الروح ومن جهة أخرى فإنه - وخلافاً لما يذهب إليه الميتافيزيقيون (وهم أتباع نظرية ما وراء المادّة أو الطبيعة) - لا يؤمن بأصالة الروح ولا يرى بأن للروح وجوداً وكياناً خاصاً بها .

تحقير الروحانيين وتكريم الماديين:

وقد اعتبر الدكتور اراني في القسم الأول من حديثه نظرية أصالة واستقلال الروح من وضع العهود السابقة، تلك العهود التي عاش فيها الناس فترة الجهل والامية وإنها كانت خطأ ارتكبتها البشرية وتجاهل بذلك آلاف العلماء والمحققين الذين عاصروه والذين كانوا من مؤيدي بقاء الروح ولم يذكر بالاسم حتى واحداً من هؤلاء العلماء والمحققين الروحانيين ، بل على العكس من ذلك نجده (الدكتور اراني) يضع هالة كبيرة حول نظرية المادية الجدلية (التي لا تؤمن بوجود الروح وبقائها) ويحاول أن يرفع من شأن ومكانة مؤيدي هذه النظرية، ويعزز من مكانتهم في أنظار قراء كتاباته ويعرفهم لهؤلاء القراء على أنهم أناس مبدعون ومثقفون ، وكل ذلك لكي يشوه سمعة المعتقدين ببقاء الروح وخلودها ويحقّرهم ويقلل من شأنهم في أنظار قراء كتاباته من جهة ولكي يقمع ويفند نظرية الميتافيزيقيين الروحانيين من جهة أخرى .

الدكتور اراني يقول : « . . . أما اليوم فإن المادية الجدلية تبحث عن الروح من خلال المادة » . وكأنه يريد أن ينسب هذه النظرية إلى العصر الحاضر ويوحى بأن المادية الجدلية هي التي اكتشفت هذه النظرية وتوصلت إليها .

سؤال موجه للدكتور اراني:

وعلينا أن نسأل السيد الدكتور : هل أن النظرية المادية التي تنفي وتنكر وجود النظرية الميتافيزيقية أي النظرية التي تؤمن بعالم ما وراء الطبيعة ، هل أن هذه النظرية وضعت في عصرنا الحاضر ؟ وهل أن هذه النظرية وضعها أصحاب المبدأ المادي الجدلي وقدموها للعالم ؟ هل أن هؤلاء هم الذين وضعوا فرضية أن كل ذي روح يوجد وينشأ نتيجة للعلاقة الزمنية والمكانية الخاصة الموجودة بين أجزاء المادة التي يتكون منها ؟ وهل أن هؤلاء هم الذين قدموا للعالم ولأول مرة نظرية أن الروح هي عبارة عن العلاقة القائمة بين الأجزاء المادية في المخلوق الحي ؟ ولكي يتبين لنا بأن النظرية المادية والتفكير المادي حول الحياة

والروح هي نظرية قديمة لا تخص عصرنا الحاضر، وهذه النظرية ليست هي النظرية المادية الجدلية المنطقية أو ما يطلق عليها (بالمذهب الجدلي) ، فإن من الضروري إعطاء بعض التوضيحات في هذا المجال .

نظرية قديمة حول نشوء الروح:

لقد كانت هناك في زمن العلامة المجلسي (رضوان الله عليه) قبل أربعة قرون من الزمن أفكار ومعتقدات وضعها وتوصل إليها أناس عاشوا قبل العلامة المجلسي بعدة قرون، وكان هؤلاء الناس يتصورون - وفقاً للنظرية التي كانت متداولة ومقبولة في عصرهم - بأن العالم مخلوق من أربعة عناصر هي الماء والتراب والهواء والنار ، وعلى هذا الأساس فقد تقدم العلامة المجلسي بنظريات عديدة حول تعريف الإنسان وبيان حقيقة هذا الكائن الحي المدرك العاقل الذي يتمتع بجميع المزايا والصفات الإنسانية ، وقد ذكر العلامة المجلسي هذه النظريات في أحد كتبه ، وأول هذه النظريات هي تلك التي تصور الدكتور اراني أنها وُضعت في عصرنا الحاضر حيث نسبها إلى المدرسة المادية الجدلية .

التوازن في العناصر الأربعة:

القول الأول : أن العناصر الأربعة إذا امتزجت وانكسرت صورة^(١) كل واحد منها بصورة^(٢) آخر حصلت كيفية معتدلة هي المزاج ، ومراتب هذا المزاج غير متناهية فبعضها هي الإنسانية وبعضها هي الفرسية^(٣) . فالإنسان عبارة عن أجسام موصوفة بكيفيات مخصوصة^(٤) معتدلة متولدة^(٥) عن امتزاجات أجزاء العناصر بمقدار مخصوص وهذا قول جمهور الأطباء ومنكري بقاء النفس^(٦) .

(١) في النص الفارسي كتبت هذه الكلمة (سورة) - المترجم .

(٢) في النص الفارسي كتبت هذه الكلمة (بسورة) - المترجم .

(٣) من الفرس - المترجم .

(٤) خاصة - المترجم .

(٥) ناجمه او ناتجه - المترجم .

(٦) السماء والعالم ، صفحة ٣٩٠ .

يقول (فريد وجدي) في كتاب دائرة المعارف المجلد ٤ حاشية كلمة «روح» صفحة ٣٣٨ :

نظرية أبو الحسين البصري:

عن أبي الحسين البصري من المعتزلة : أن الإنسانية عبارة عن امتزاجات أجزاء العناصر بمقدار مخصوص وعلى نسبة معلومة تخصّ هذا الصنف .

التفكير الخاطيء للدكتور اراني:

إذن تلاحظون بأن النظرية التي أوردها السيد الدكتور اراني في كتابه وهي نظرية حول روح الإنسان التي هي معيار للإنسانية ونسبها إلى المدرسة المادية الجدلية ، هذه النظرية كانت قد وضعتها مجموعة من الأطباء من منكري وجود الروح من المعتزلة وغيرهم حتى قبل أن يولد مؤسسو المدرسة المادية الجدلية بعدة قرون ، ومن حسن الحظ فإن هذه النظرية قد خُفّت بريقها في ظل التقدم الذي حصل على صعيد العلوم النظرية وعلم النفس التجريبي . ومع تطور العلم فإن نظرية الماديين ومنكري وجود الروح أخذت تزداد ضعفاً وتزلزلاً يوماً بعد يوم . وتستنتج من هذا البحث بأن جميع الأنبياء على الإطلاق أعلنوا من خلال الوحي الإلهي هذه الحقيقة للبشر ، حقيقة أن الإنسان له روح خالدة التي هي أساس العقل والإنسانية ، ومعيار للتكليف الإلهي والأوامر التي أمر الله الإنسان بها والنواهي التي نهى الإنسان عنها ، والتي لا تموت بموت الجسم ولا تنتهي ، بل تنتقل إلى عالم البقاء والخلود . فأتباع الديانات السماوية المخلصون كانوا منذ أقدم العصور ولا زالوا يؤمنون ببقاء الروح ، أما أتباع المذاهب المادية فهم - ومن خلال النظريات المختلفة التي يطرحونها - ينكرون أساساً عالم ما وراء الطبيعة ، فهؤلاء يقولون بأن الوجود يعني المادة وبالتالي فهم ينكرون - علناً - الروح غير المادية .

تطور العلم ونظرية الروحانيين:

ولكن التطور العلمي في القرن الحالي وترسخ نظرية الروحانيين ، جعل

فيلسوفاً عالم مثل «برتراند رسل» يتردد في إنكار الروح ولا يجروء على نفي مسألة الروح بشكل صريح ، وبالتالي يعلن عن رأيه في الأدلة التي يذكرها الروحيون لإثبات وجود الروح بالقول « . . . ولكني أوافق على أن هذه الأدلة والبراهين يمكن أن تزداد قوة في كل لحظة وفي مثل هذه الحالة فإن الاعتقاد بالحياة بعد الموت يتعارض ويتناقض مع المنطق العلمي » .

الفلاسفة الإلهيين ونظرية الروح :

أما الفلاسفة الإلهيون فينقسمون إلى مجموعتين : المجموعة الأولى تؤيد بشكل قاطع وحازم فكرة الروح الخالدة ، وهم يعتقدون بأن هذه النظرية ترسخ شيئاً فشيئاً ويزداد أنصارها في عصرنا الحاضر في ظل التطور والتقدم الحاصل على صعيد العلم والمعرفة في العالم . المجموعة الثانية من الفلاسفة يقولون بأن الأدلة الموجودة حول بقاء الروح هي أدلة غير مقنعة ، وبالتالي فإنهم لا يؤيدون نظرية الفلاسفة الروحيين ، ولكنهم في نفس الوقت متفائلون بمستقبل هذه النظرية ، ويعتقدون بأن نظرية خلود الروح وبقائها ستقوى وتتعزيز في المستقبل وذلك على ضوء التطور الذي سيحصل على الصعيد العلمي . ومن أجل إثبات حقيقة الروح غير المادية والحياة ما بعد الموت هناك إلى جانب الأدلة والبراهين العلمية والفلسفية أدلة وبراهين أخرى في عالمنا هذا ، وهي موجودة بشكل مفصل في الكتب والمؤلفات الغربية وأيضاً إلى حد ما في الكتب والمؤلفات الشرقية ، من قبيل التنويم المغناطيسي وتحضير الأرواح والاتصال بالأشخاص المتوفين عن طريق تنويم الأفراد بطريقة غير طبيعية وأساليب أخرى من هذا النوع .

الروحيون والأدلة التجريبية:

هذه الأدلة يمكن أن نسميها بالأدلة الحسية أو التجريبية وهذه الأدلة أكثر قدرة على إقناع الناس وجعلهم يثقون ويطمئنون ، ذلك أن الناس يريدون درك وفهم جميع القضايا عن طريق حواسهم أو عن طريق التجربة العملية . والذين يرغبون في معرفة هذه الأساليب والإطلاع عليها يمكنهم مراجعة الكتب التي

تعنى بهذه الأمور . ومن الأمور الأخرى التي يمكن أن تكون دليلاً على بقاء الروح والحياة بعد الموت هي بعض ما يراه الإنسان في المنام من أحلام صادقة . فالشخص قد يتصل - وهو في حالة نوم طبيعي - بروح شخص آخر متوفى ويتبادل معه الحديث حيث تكشف الروح من خلال حديثها مع الشخص النائم عن بعض الحقائق والأمور المجهولة ، وعندما يفيق ويستيقظ الشخص من نومه ويتحقق في الأمر يجد أن ما قاله الشخص المتوفى في المنام هو الواقع بعينه وأن المتوفى قد أخبر بأمر كان مجهولاً وغير معروف حتى الآن .

الرؤيا والإرتباط أو الإتصال بالأرواح :

ولكي تتوضح مسألة الرؤيا الصادقة وقضية الإتصال بأرواح الموتى - وهو ما نهدف إليه من بحثنا هذا - لا بد لنا أن نشير باختصار إلى آراء ومعتقدات الناس في الماضي والحاضر حول الأحلام والرؤيا بشكل عام .

« منذ أقدم العصور كان الإنسان يفسر ظاهرة الرؤيا بأسلوبين ، فبعض الناس كانوا يعتقدون بأن جميع الأحلام التي يراها الإنسان أو بعضها تقوم على أساس إعجازي مرتبط بالله ، وكانوا يعتقدون استناداً إلى تقليد اسطوري بأن الرؤيا تتضمن تنبؤات وأسراراً غامضة لا يستطيع أي شخص أن يفهمها ويدرك مغزاها . وبعد ذلك ظهرت مجموعة من العلماء الذين كانوا يعتقدون ويؤمنون بأصالة العقل حيث أوجد هؤلاء العلماء (في القرنين السادس عشر والسابع عشر للميلاد) تغييراً وتطوراً كبيرين على صعيد الفكر البشري . فقد رفض هؤلاء الفكرة القائلة بأن الأحلام لها طبيعة أسطورية وأعلنوا بأن الرؤيا أو الأحلام لها جذور في أعماق الإنسان وفي داخل جسمه ، وهذه الجماعة كانت تنكر الطابع الروحي للرؤيا وتقول : إن الرؤيا هي عبارة عن سلسلة من النشاطات والأعمال العضوية التي تتم داخل أنسجة الجسم أثناء النوم .

الرؤيا والمنطق المادي :

وبهذا فإن العلماء في الوقت الذي رفضوا فيه الفرضيات المستمدة من النظرية المثالية (التي تقول بأن الحقيقة المطلقة كامنة في عالم يتعدى عالم الظواهر)^(١) التي اعتمدها العلماء والفلاسفة الذين سبقوهم ، فإنهم ارتكبوا خطأ عظيماً وحالوا دون انطباق الرؤيا مع الحياة الحقيقية وذلك من خلال قبولهم بمنطق مادي جاف .

« وعلى العكس من النظريتين السابقتين فإن «فرويد»^(٢) يرى بأن الرؤيا هي ظاهرة ذات طابع روحي ونفسي أي أنه وضع مسألة الرؤيا على قاعدة مادية دون أن يعطيها جانباً اسطورياً محاولاً من خلال ذلك معرفة طبيعة النوم وماهيته . ويقول «فرويد» : إن مسألة الرؤيا بالنسبة للمحلّلين النفسيين هي بمثابة الطريق الرئيسية التي تسمح للمحلّل النفسي وتتيح له دراسة الوجدان الباطني »^(٣).

الرؤيا والتحليل النفسي :

الرؤيا بالنسبة للمحلّل النفسي الماهر هي بمثابة الجسر الذي يمكنه من الوصول إلى أعماق صاحب الرؤيا والإطلاع على أسرار الباطنية ومعرفة معاناته وعقده الداخلية، وبالتالي إزالة القلق والإضطراب الذي يعانيه صاحب الرؤيا وجعله يشعر براحة البال والهدوء النفسي، وذلك من خلال معالجة هذه العقد الداخلية التي يعاني منها. ويرى «فرويد» بأن الرؤيا هي عبارة عن العلاقة بين الضمير الباطني والضمير الظاهري أو بين حياته السرية وحياته العلنية.

(١) قاموس المورد ، منير البعلبكي ، صفحة ٤٤٦ (المترجم).

(٢) (سيغموند فرويد)، طبيب أمراض عصبية نمساوي مؤسس طريقة التحليل النفسي نقلاً عن قاموس المورد (المترجم).

(٣) انديشه هاي فرويد (أفكار فرويد) صفحة ٣٦.

الرؤيا والرغبات غير المحققة :

إن كافة الرغبات والميول المكبوتة والغرائز التي لم يتمكن الفرد من إشباعها وإرضائها، والآمال التي لم يتمكن من تحقيقها وكذلك الأحقاد الداخلية الدفينة والشعور بحب الانتقام، وجميع حالات الفشل والحرمان والآمال والنكسات التي يواجهها ويتعرض لها الفرد خلال حياته والتي تختزن كلها في ضميره الباطني ولم يجد الفرد سبيلاً لإرضائها ، فإن الفرصة تتاح له في عالم النوم لكي يحقق هذه الرغبات والميول والغرائز بالشكل الذي يريده .

« وبصورة عامة فإن ما نراه في عالم الرؤيا هو الميول والأحاسيس التي نشعر بها في اليقظة ولكنها لم تتحقق لسبب ما أو إننا قمعناها وكبتناها بالقوة، ولم نحاول إرضاءها وإشباعها . فالرجل الذي يحلم بالمرأة الفلانية في اليقظة ولا يستطيع الوصول إليها فإنها تتغلب عليه في عالم الرؤيا ، وكذا الفقير الجائع يرى نفسه في عالم الرؤيا بأنه ذو مال وجاه . وهكذا بالنسبة للشخص الدميم الخلقة يرى نفسه في عالم الرؤيا بأنه في غاية الجمال ، كما يتحول الشيخ الهرم العاطل العاجز يتحول في عالم الرؤيا إلى شاب قوي، والشخص اليائس البائس يرى في المنام بأنه قد حقق جميع آماله وحصل على كافة متطلباته . وخلاصة الكلام فإن الميول والرغبات الفردية التي لا تتحقق أثناء اليقظة أو الأحاسيس والمشاعر التي تبقى مكبوتة ومخفية لأسباب ما نراها تظهر بشكل علني ويتم إشباعها وإرضاءها في عالم الرؤيا »^(١).

الرؤيا ونظرية فرويد :

ويرى «فرويد» بأن الرؤيا أو الأحلام لا ترتبط أبداً بالمستقبل المجهول

(١) كتاب فرويد ، صفحة ٢٣ .

وهي لا تخبر عن الغد القادم ، بل هي ترتبط بالأيام التي عاشها الفرد في الماضي والسعادة والشقاء الذي مرَّ به هذا الفرد خلال تلك الأيام . فالرؤيا تكشف أحياناً عن الجرائم والخبايات التي ارتكبت في الخفاء ولا يعرف عنها شيئاً، وأحياناً تذكر بمشاهد ومواقف محببة وجميلة سبق وأن مرت علينا في حياتنا وكما أن الأحلام تعوضنا أحياناً عن الفشل والحرمان الذي عانيناه في الماضي وتحقق لنا آمالنا التي فشلنا في تحقيقها . هذه النظريات الثلاث التي أشرنا إليها حول الرؤيا هي نظريات صحيحة إلى حدٍّ ما، وكل واحدة منها تفسّر نوعاً من أنواع الرؤيا التي يراها الإنسان في المنام ، ولكن أيّاً من هذه النظريات ليست كاملة وشاملة وبالتالي لا تستطيع أيّاً من هذه النظريات أن تفسّر ظاهرة الرؤيا بجميع جوانبها .

الرؤيا والضمير الباطني :

وقد جاء في بعض الروايات الإسلامية أن الرؤيا ثلاثة أنواع : النوع الأول : الرؤيا الخيالية وهي تعكس ما يجول في خاطر صاحب الرؤيا من أفكار وتصورات تأخذ مكانها في الضمير الباطني أو العلني للفرد، وهذا النوع من الرؤيا أو الأحلام هو الذي بحثه « فرويد » وقام بدراسته في إطار تحقيقاته في مجال علم النفس ، حيث يستطيع المحلل النفسي من خلال تحليل هذه الرؤيا أن يتعرف على ما يجول في خاطر الفرد وما يتضمنه ضميره الباطني . ويعتقد بعض الغربيين بأن « فرويد » هو الذي اكتشف هذا الأسلوب وهو أول من توصل إلى هذه الحقيقة واستطاع أن يتعرف من خلال النوم على أفكار ومعتقدات الأفراد .

ابن سيرين والتحليل النفسي :

ولكن هؤلاء لا يدرون بأن هذا الموضوع يعرفه المسلمون منذ القدم، وكما بيّنا في كتاب (الطفل) - الجزء الأول - فإن «ابن سيرين» تمكن قبل اثني عشر قرناً ومن خلال تفسير الأحلام من الوصول إلى الضمير الباطني للأشخاص بل

واستطاع في بعض الحالات أن يكشف عن جرائم رهينة حيث قبض على مرتكبيها وتمت محاكمتهم أمام المحاكم .

النوع الثاني من الرؤيا : هي مجرد أضغاث أحلام كما يعبر عنها القرآن الكريم أي أنها عبارة عن تصورات وخيالات وأفكار مشتتة ومضطربة قد يتعرض لها الفرد أثناء اليقظة أيضاً وعندما يصاب الشخص بالأرق أثناء الليل .

الرؤيا والمستقبل المجهول :

النوع الثالث من الرؤيا : هي تلك التي تتضمن بشارة غيبية أي أنها تبشر بتحقيق أمر ما في المستقبل وهذه الرؤيا لها طابع إلهامي غيبي . وهذا النوع من الرؤيا إما أنه يخبرنا عن المستقبل المجهول أو أنه يكشف النقاب عن الحقائق غير المعروفة ، وفي كلتا الحالتين فإن مثل هذه الرؤيا لا يمكن تبيان وتفسير طبيعتها بالمنطق المادي واستناداً إلى التحليل النفساني .

عن النبي ﷺ قال : « الرؤيا ثلاثة ، بشرى من الله وتحزين من الشيطان والذي يحدث به الإنسان نفسه فيراه في منامه » (١) .

الكشف عن حقيقة مخفية :

الأحلام الملهمة أي التي تنبئ بأمر سيحدث في المستقبل حيث يتصل الشخص صاحب الرؤيا بأرواح أشخاص متوفين ويطلع منهم على أسرار غير معروفة أو على أمور تتعلق بالمستقبل المجهول ، مثل هذه الأحلام أو الرؤيا كثيرة بين جميع الشعوب في العالم ، وكل واحد منها يحكي حقيقة مرتبطة بعالم ما وراء المادة .

(١) بحار الأنوار المجلد ١٤ ، صفحة ٤٤١ .

رؤيا تكشف عن سر :

وبهذه المناسبة نذكر واحداً من هذه الأحلام : فقد ذكر أحد القضاة في مدينة همدان أنه تعرف على شخص مرموق في هذه المدينة ، وهذا الشخص المرموق اقترض مبلغاً من المال من أحد الأشخاص وأعطاه إيصالاً بخط يده تعهد فيه بتسديد مبلغ القرض في التاريخ الفلاني . وفي التاريخ المحدد حضر المدين المبلغ الذي اقترضه وجاء عند الدائن ليسلمه المبلغ ويسترجع منه الإيصال، ولكن الدائن قال له : إني لا أدري أين وضعت إيصالك وإذا كنت موافقاً فإني أعطيك إيصالاً آخر بدل إيصالك القديم . ووافق المدين واستلم الإيصال من الدائن . يقول هذا القاضي بأني كنت على علم بهذه القضية وبعد فترة توفي صديقي ، وبعدها عشر الشخص الذي أعطى القرض (الدائن) على الإيصال الذي سبق أن أعطاه له المدين (المتوفى) ، فأخذ الإيصال وذهب إلى زوجة المتوفى وطالبها بالمبلغ المذكور في الإيصال . وبما أن الزوجة كانت على علم بالأمر قالت للدائن : إن زوجي عندما كان على قيد الحياة قد دفع لك ما بذمته واستلم منك إيصالاً بذلك . فقال لها الدائن إذن أعطيني إيصالي ولكن الزوجة لم تعثر على الإيصال ، وبالتالي فقد أقام الدائن الدعوى أمام المحكمة ضد المدين (المتوفى) وطلب من قاضي المحكمة وهو صديق المتوفى النظر في القضية ، والقاضي كان يعلم بأن صديقه قد سدّد دينه ولكنه وافق على النظر في القضية استناداً إلى القوانين القضائية، وأبلغ زوجة صديقه المتوفى بأن عليها أن تعثر على إيصال المدعي وتسلمه إلى المحكمة . وبحشت الزوجة كثيراً عن الإيصال ولكن دون جدوى وكان القاضي على وشك أن يصدر حكمه لصالح المدعي ، وفي هذا الوقت رأت الزوجة زوجها في المنام وسألته : هل سدّدت قرض فلان ؟ فقال لها : نعم سدّدت الدين واستلمت إيصالاً من الدائن . فسألته زوجته : إذن أين الإيصال ؟ لقد فتشت جميع أرجاء البيت ولم أعثر عليه . فقال لها الزوج : الإيصال ليس في البيت لقد أعطيته لفلان المحامي الذي وضع الإيصال داخل كتاب الدعاء ، إذهبي إليه وخذي الإيصال منه .

وفي صباح اليوم التالي ذهبت الزوجة إلى بيت المحامي الذي أخرج الإيصال من الكتاب كما أخبر بذلك زوجها ، وسلّمه للزوجة التي سلّمته بدورها للمحكمة ، وأغلق بذلك ملف القضية .

هذه الرؤيا وأمثالها هي من الظواهر التي لا يمكن تفسيرها وبيان ماهيتها إلا على أساس بقاء الروح ، ولكن «فرويد» وسائر المؤيدين للمذهب المادي لا يتحدثون عن هذا النوع من الرؤيا التي كثيراً ما تشاهد في كافة مناطق العالم ، لأن هؤلاء مؤمنون ومرتبطون بالمادية والمذهب المادي ولا يريدون التحدث عن موضوع يتعارض مع المبدأ المادي . ويتضح من خلال ما أشرنا إليه في هذا الفصل بأن الأنبياء والأديان السماوية ليسوا هم وحدهم الذين تحدثوا عن حقيقة بقاء الروح والحياة بعد الموت ، بل أن عدداً كبيراً من الفلاسفة والعلماء في الماضي والحاضر كانوا ولا زالوا يؤيدون أيضاً نظرية بقاء الروح ، وقد جاؤوا بدلائل لإثبات هذه النظرية . إذن فإن أي مؤيد للنظرية المادية وأي عالم أو باحث لا يسمح لنفسه بإنكار موضوع الحياة بعد الموت بشكل قاطع ، بل إن أقصى ما يستطيع فعله هو أن يقول كما قال «رسل» : « حسب رأيي فإن الأدلة التي يذكرها منكرو الروح هي أقوى من الأدلة التي يذكرها الروحيون ومؤيدو بقاء الروح » . وعلى أية حال فإن مثل هذا الكلام لا يجعل ضمير الشخص المادي يتمتع بالهدوء والسكينة ولا يمحو من ذهنه إمكانية مواجهته المسؤولية بعد الموت ، ولهذا السبب فإن الأئمة عليهم السلام استفادوا من هذه الحالة الروحية في بعض الأحيان وتحدثوا عن المسؤولية التي تقع على عاتق الإنسان بعد الموت وذلك للفت انتباه بعض الأفراد الماديين المعاندين وإعادتهم إلى رشدهم .

الإمام الصادق وابن أبي العوجاء :

(ابن أبي العوجاء) كان أحد الماديين المعروفين في زمن الإمام الصادق عليه السلام وكان يعيش في المدينة ، وكثيراً ما كان يتشرف بلقاء الإمام الصادق عليه السلام ويطرح عليه بعض الأسئلة ويستفيد من الأجوبة التي كان يعطيها

الإمام . وكان (ابن أبي العوجاء) في بعض السنين يذهب إلى مكة في موسم الحج لكي يشاهد ما يفعله الناس ولكي يواصل في نفس الوقت بحثه مع الإمام الصادق عليه السلام ، ولكنه بقي مادياً حتى آخر حياته ولم يؤمن بالله خالق هذا الكون كما لم يؤمن بتعاليم الإسلام . وفي آخر سنة من حياته ذهب إلى مكة أثناء موسم الحج وكانت هي المرة الأولى التي يلتقي فيها بالإمام وهو في طريقه إلى الحج حيث أدّى واجب الإحترام وخاطبه بعبارة « يا سيدي ومولاي » .

فقال له العالم^(١) : « ما جاء بك إلى هذا الموضع ؟ » فقال عادة الجسد وسنة البلد ولتنظر ما الناس فيه من الجنون والخلق ورمي الحجارة فقال له العالم : « أنت بعد على عتوك وضلالك يا عبد الكريم » . فذهب يتكلم فقال له^(٢) : « لا جدال في الحج » ونفض رداءه من يده وقال^(٣) : « إن يكن الأمر كما تقول وليس كما تقول نجونا ونجوت وإن يكن الأمر كما تقول وهو كما تقول نجونا وهلكت » . فأقبل عبد الكريم على من معه فقال وجدت في قلبي خرازة^(٤) فردوني فردوه فمات^(٥) .

(١) يقصد الإمام الصادق (ع) (المترجم) .

(٢) فقال له الإمام الصادق (ع) . . . (المترجم) .

(٣) يقصد الإمام (ع) . . . (المترجم) .

(٤) خرازة : أي : ألم واضطراب .

(٥) بحار الأنوار المجلد ١ ، صفحة ٧٧ .

المحاضرة الخامسة

الموت وبدء حياة الآخرة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ (١).

الموت هو من آيات الله الحكيمة في نظام الخلقة . على أن الموت كالحياة هو حقيقة مجهولة وغير معروفة وأن الإنسان رغم كل ما حققه من نجاحات في العلوم المختلفة حيث تمكن من سبر أغوار الطبيعة واقتحام ظلماتها، فإنه لم يتوصل بعد إلى حقيقة الموت والحياة ولم يتمكن حتى الآن من اكتشاف سرّ هاتين الظاهرتين المحيرتين للعقول، ولهذا فإنّ العلماء الذين حاولوا تفهيم الناس وتعريفهم بظاهرتي الموت والحياة اكتفوا بتوضيح صفات وخصائص هاتين الظاهرتين ولم يستطيعوا التكلم عن حقيقة وماهية الموت والحياة .

التقدير الإلهي أمر لا يمكن رده وتجنبه :

إن الإنسان لا يستطيع بقوة العلم أن يردّ أو يؤخرّ الأجل أو الموت والذي هو تقدير إلهي لا مردّ له ولا مناص منه ولا يمكن تجنبه، حيث أن كل إنسان في هذا العالم لا بدّ أن يواجه هذا المصير المحتوم إن عاجلاً أو آجلاً ويغادر هذه الدنيا ويفسح المجال لمن يأتون من بعده . ويقول الشاعر في هذا المجال وفي وصف الدنيا وأحوالها ما معناه :

(١) سورة ق ، الآية : ١٩ .

(إن هذه الدنيا هي كبستان جميل له بابان هما كناية عن الحياة والموت . فمن الباب الأول يدخل الإنسان إلى الدنيا أي يولد ويأتي إلى الدنيا حيث يعيش لفترة من الزمن ثم يأتي أجله ويموت ويخرج من الباب الآخر . وإذا نظرنا إلى هذا البستان فإننا نرى أشخاصاً يولدون ويدخلون إليه وآخرين يموتون أي يخرجون منه) .

« إلى أين نذهب ؟ إلى الموت . حتى لو استطعنا أن نغير من فسيولوجية الجسم بفضل الاكتشافات العلمية الحديثة وتمكناً من العودة إلى مرحلة الشباب والعيش في هذه الدنيا مئات أخرى من السنين فإننا لن نتغلب على الموت لأن طبيعة البدن تتطلب الموت الذي هو ضروري للجسم نظراً لتركيبته وطبيعته الخاصة . وبمجرد أن يبدأ الجنين حياته في داخل الرحم فإنه يبدأ مرحلة الشيخوخة . على أن تحرك الجنين وهو في رحم أمه ، وكذلك الطفل الرضيع والطفل الصغير باتجاه الشيخوخة يكون أسرع بكثير مما هو عليه عند الأشخاص البالغين ولا سيما الطاعنين في السن . ولا شك بأن الشخص كلما كان أكبر سناً كلما كان تحركه باتجاه الموت أبطأ . ولكن هذا التحرك لن يتوقف أبداً ، ولا يغير من اتجاهه . ومهما يتحقق من تطور وتقدم علمي في المستقبل فإن كل إنسان محكوم عليه بالموت ومغادرة هذه الدنيا عاجلاً أو آجلاً » (١) .

جهود البشر للتعرف على طبيعة الموت :

لقد بذل الإنسان منذ البداية جهوداً جبارة لمعرفة طبيعة الموت حيث كان الإنسان يرغب باستمرار في معرفة ما يؤدي بالإنسان إلى الموت وإغلاق ملفه في هذه الدنيا ووضع نهاية لحياته فيها . وقد بحث العلماء والمفكرون وعلى مدى

(١) راه ورسم زندگي ، صفحة ١٤١ .

قرون وعصور طويلة ، بحثوا ظاهرة الموت بجميع جوانبها ووضعوا نظريات عديدة في هذا المجال بعد أن قاموا بدراسة دقيقة وذكية لبعض الجوانب والأمور المرتبطة بظاهرة الموت . والبعض من هذه النظريات كان مقبولاً والبعض الآخر منها كان مرفوضاً، كما أن بعض هذه النظريات كان ولا زال محطّ خلاف بين العلماء والباحثين . ونظراً لأن هذا الفصل خُصص لدراسة مسألة الموت فإنّ من الضروري أن نتطرق فيما يلي إلى بعض الأمور المرتبطة بمسألة الموت لكي يطلع عليها القارئ الكريم .

هل أن الموت يعني الفناء والعدم :

١ - من القضايا الجديرة بالاهتمام والمطروحة في كتب القدماء والمعاصرين والتي حظيت باهتمام العلماء باستمرار ، هي : هل أن الموت هو حقيقة كائنة وواقعة وظاهرة أصيلة مخلوقة بذاتها أو أنه أمر عَدَمي يعني فقدان الحياة وفنائها ؟ وقد تطرقنا إلى هذا البحث لأن الثنوين^(١) أو الثنائيين يؤمنون بوجود الخير والمحاسن إلى جانب الشر والمساوىء في هذا العالم، وإن الشر هو مثل الخير لا بد له من خالق . ونظراً لأن خالق الخير هو منزّه عن الشرّ وخلق الأمور السيئة ، فلا بد من القول إذن بأن العالم له مصدرين أو منشأين : مصدر الخير، ومصدر الشر . فمصدر الخير هو خالق المحاسن والخيرات في العالم ومصدر الشر هو خالق المساوىء والشرور في العالم .

الرد على الثنوين :

مجموعة من الفلاسفة الإلهيين الذين يؤمنون بوجود خالق واحد لهذا الكون وهذه العوالم وهو الله (سبحانه وتعالى) يردون على الثنوين بالقول : إن السيئات والشرور هي في الأساس أمور عدمية (أي أن الشر بحد ذاته ليس

(١) الثنوين هم جماعة يؤمنون بمبدأين . ويقول الحكماء الإسلاميون بأن الثنوية هو مذهب يؤمن بوجود مبدأين كالإعتقاد بإلهين أو صانعين أو خالقين لهذا العالم أو الإعتقاد بمبدأ الخير ومبدأ الشر . (المترجم نقلاً عن فرهنك عميد).

موجوداً وإنما ينتج عن عدم وجود الخير^(١)، والعدم ليس مخلوقاً لكي يحتاج إلى خالق . وعلى سبيل المثال يقول هؤلاء الفلاسفة بأن العلم يعتبر من الخير والجهل يعتبر من الشر، ولكن الجهل هو العدم والعدم لا وجود له لكي يحتاج لمن يمنحه الوجود . وكذلك هو الحال بالنسبة للحيوانات المؤذية والمفترسة التي يعتبرها الناس مخلوقات شريرة وسيئة، حيث يقول هؤلاء الفلاسفة الإلهيين في هذا المجال بأن هذه الحيوانات ليست هي ذاتها شر وسوء أي أنها ليست شر من حيث وجودها وخلقتها ، بل لأنها تتسبب في موت الآخرين والموت يعني فقدان العيش وفناء الحياة وهو أمر عديمي والعدم ليس مخلوقاً لكي يحتاج إلى خالق . ولكي يتضح هذا الموضوع بشكل جيد ويطلع القراء الكرام على نظرية بعض الفلاسفة والعلماء الإلهيين (الذين يؤمنون بعالم ما وراء الطبيعة والمادة وبقاء الروح) فإننا ننقل فيما يلي جانباً من كلام هؤلاء الفلاسفة والعلماء رداً على نظرية الثنويين (الذين يؤمنون بوجود مصدرين في هذا العالم : مصدر للخير ومصدر للشر) .

شبهة معتنقي مبدأ الثنوية :

« الثنوية : إن الأساس الذي تقوم عليه فكرة الثنوية والتي يدعو إليها معتنقي مبدأ الثنوية هي أنه في هذا العالم يوجد نوعان من الوجود ، وجود الخير ووجود الشر فمن الضروري أن يكون هناك مصدرين أو منشأين لكي يكون لكل من الخير والشر خالق خاص . والحقيقة أن الثنويين أرادوا أن ينزّهوا ويبرّثوا خالق الخير من الشر ولكنهم مع الأسف اتهموه بالضعف والعجز وجعلوا له منافساً^(٢) . الشر هو عديمي^(٣) : إن مجرد تحليل بسيط يظهر لنا بأن طبيعة الشر

(١) المترجم .

(٢) عدل إلهي (العدل الإلهي) ، الصفحة ٦٨ .

(٣) أشرنا إلى معنى العدمي فيما سبق من هذا البحث (المترجم) .

وماهيته هو العدم ، أي أن الشرور والسيئات بجميع أنواعها هي من نوع العدم وهذا موضوع ليس بجديد بل له جذور في القدم . وأصل هذه الفكرة يعود إلى عهد اليونانيين القدماء حيث أن كتب الفلسفة تنسب هذه الفكرة إلى اليونانيين القدماء ولاسيما أفلاطون . ولكن بطبيعة الحال فإن الفلاسفة المتأخرين أي الذين جاؤوا بعد أفلاطون أعطوا مزيداً من التوضيح والشرح حول موضوع عدمية الشر، وفسروا هذا الموضوع بصورة أفضل . ولأننا نعتبر موضوع عدمية الشر موضوعاً صحيحاً تماماً وأساسياً في نفس الوقت فإننا نتناوله فيما يلي ضمن الإطار الذي يتناسب مع هذا الكتاب ^(١).

إن الوجود والعدم لا يشكلان مجموعتين منفصلتين ومستقلتين . فالعدم هو تافه لا شيء ولا يمكنه أن يحتل موقعاً خاصاً به في مقابل الوجود والكينونة ، ولكن حيثما يكون هناك وجود يتحقق أيضاً وجود العدم . إن العدم ليس له عالم خاص بذاته بل إن العدم يتحقق من خلال عالم الوجود . الخير والشر أيضاً كالوجود والعدم ، بل إن الخير أساساً هو الوجود بعينه والشر هو العدم بعينه . وحيثما جرى الحديث عن الشر فمن المؤكد أن هناك حالة عدم أو فقدان ، والسوء إما أنه هو بذاته من نوع العدم أو ينتج عنه العدم والفناء . أي أن السوء أو الشر هو بحد ذاته وبطبيعته جيد وحسن ولكن نظراً لأن هذا السوء أو الشر يتطلب الفناء وعدم الكينونة فهو شيء . على أن الشر هو سيء فقط لكونه يتطلب ويستلزم العدم وليس لسبب آخر .

ما هو بذاته عدم وما يتطلب ويستلزم العدم :

« إننا نعتبر الجهل والفقر والموت أموراً سيئة ، وهذه الأمور الثلاثة المذكورة هي في ذاتها وبطبيعتها عدم ، كذلك فإننا نعتبر الحيوانات

(١) عدل إلهي (العدل الإلهي) ، صفحة ٦٩ .

المؤذية والمفترسة والميكروبات والآفات وغيرها نعتبرها من الأمور السيئة ، فهذه الحيوانات المؤذية والميكروبات تتطلب وتستلزم العدم ، أي ينتج عنها العدم .

« فالجهل » هو عبارة عن فقدان العلم والمعرفة . والعلم هو حقيقة واقعية وكمال حقيقي ولكن الجهل ليس حقيقة واقعية . و« الفقر » أيضاً عبارة عن عدم امتلاك أو اقتناء شيء أو عدم التمكن المادي وليس التمكن والإمتلاك .

و« الموت » أيضاً هو فقدان شيء وليس اكتساب شيء والحصول عليه ، ولذلك فإن الجسم الذي يفقد صفة الحياة ويتحول بالتالي إلى جماد هذا الجسم يسير نحو الهبوط والتدني لا نحو الصعود والترقي . أما الحيوانات المؤذية والمفترسة والميكروبات والسيول والزلازل والأمراض والآفات النباتية فهي سيئة لأنها تؤدي إلى الموت أو تجعل الإنسان معوقاً وتؤدي إلى فقدان عضو من أعضائه أو أية طاقة أو قوة فاعلة نشطة، أو أنها تحول دون نمو المواهب ونضوج القابليات والطاقات ووصولها إلى مرحلة الكمال ، فلو لم تسبب الحيوانات والحشرات المؤذية والمفترسة الموت والأمراض لما كان وجودها سيئاً . لقد أصبحت هذه الحيوانات سيئة لأنها تسبب الخسائر المادية وتزهق الأرواح ، وكذلك هو الحال بالنسبة للسيول والزلازل، فلولا الخسائر التي تسببها هذه الكوارث الطبيعية في الأرواح والممتلكات لما كانت سيئة، فالسوء في هذه الحالة يكمن في الخسائر البشرية والمادية التي تسببها السيول والزلازل وغيرها من الظواهر الطبيعية . وإذا اعتبرنا أن الحيوان المفترس هو حيوان سيء فليس لأن هذا الحيوان بطبيعته وبذاته حيوان سيء وضار، بل لأنه يؤدي إلى موت الأفراد ويقضي على حياتهم . والحقيقة أن ما هو

سيء بذاته هو فقدان الحياة أو الموت»^(١).

السيئات هي من نوع العدم :

« والآن وبعد أن عرفنا بأن السيئات جميعها هي من نوع العدم ، فإن الرد على الثنويين أصبح واضحاً ، فالشبهة التي يثيرها الثنويون هي أنه بما أن هناك في هذا العالم موجودين فلا بدّ إذن من افتراض وجود منشأين وخالقين لهذا العالم . ورداً على هؤلاء نقول : لا يوجد في العالم سوى موجود واحد وهو الخير ، أما الشرّ بأنواعه فهو من نوع العدم ، والعدم ليس مخلوقاً . والعدم ينتج عن عدم الخلق وليس عن الخلق ، وبالتالي لا يمكن القول بأن للعالم خالقين أحدهما خالق الوجود والآخر خالق العدم »^(٢).

لقد جاء في المقال المذكور أعلاه ما يلي : « إننا نعتبر الجهل والفقر والموت أموراً سيئة ورديئة ، وهذه الأمور كلها هي في ذاتها وفي طبيعتها عدم » . القارئ لهذا المقال يستند إلى العبارة السابقة ويعتبر الجهل والموت بأنهما يماثلان بعضهما البعض ، وبالتالي يتصور بأن الجهل هو شرّ وسوء كما أن الموت هو أيضاً شرّ وسوء . وكما أن الجهل هو عدم بحد ذاته وبطبيعته فإن الموت أيضاً عدم بحد ذاته . وكما أن الجهل أمر عديمي والعدم ليس مخلوقاً لكي يحتاج إلى خالق ، فإن الموت أيضاً أمر عديمي ، والعدم ليس مخلوقاً لكي يحتاج إلى خالق .

فهل هذه المقارنة صحيحة ؟ وهل يمكن اعتبار الجهل والموت من النواحي التي ذكرها المقال بأنهما يماثلان لبعضهما البعض ؟ .

من الواضح أن الجواب هو بالنفي فالجهل لا يمكن أن يقارن بالموت .

الموت أمر وجودي مخلوق :

بالطبع فإن الجهل هو شرّ في مقابل العلم ، ولكن الموت في مقابل الحياة

(١) عدل إلهي (العدل الإلهي) . صفحة ٧١ .

(٢) عدل إلهي (العدل الإلهي) . صفحة ٧٣ .

ليس شراً ، وليس هذا فحسب بل إن الموت يكون جيداً وخيراً وبالتالي ضرورياً .

أما الجهل فهو من جهة ضد العلم ومن جهة أخرى فهو عدم بحد ذاته . أما الموت إذا قورن بالحياة فإنه فقط ضد الحياة ولكنه ليس أمراً عديمياً بل إنه أمر إيجابي وله طبيعة آلية خاصة به . والجهل أمر عديمي ، ليس مخلوقاً لكي يحتاج إلى خالق ، وليس له وجود لكي يحتاج لمن يعطيه الوجود . أما الموت فإنه أمر وجودي ومخلوق من قبل خالق الكون الذي متعه بنعمة الوجود . ولكي نميز بين الموت والجهل ونفصل بينهما ونذكر أولاً : بأن الموت هو من أمور الخير في هذا العالم وليس من الشر . وثانياً : أن الموت هو أمر وجودي لا عديمي . وثالثاً : أن الموت مخلوق من قبل الله الخالق ، رأينا من الضروري هنا أن نقدم شيئاً من التوضيح حول كل واحدٍ من هذه الأمور الثلاثة المذكورة .

أولاً : ليس من شك بأن الموت هو من جملة النعم الإلهية الكبرى التي منَّ بها الله (سبحانه وتعالى) على جميع المخلوقات الحية في هذا العالم ابتداءً من الخلايا المجهرية، وانتهاءً بالموجودات الحية التي تعيش في البر والبحر وجعلها تتحمل العيش على هذه الأرض .

حكمة الموت أو السنة الإلهية الحكيمة :

وسنة الموت هي من السنن الإلهية الحكيمة التي يتحقق عن طريقها التوازن الحيوي في عالم الطبيعة وتصبح الحياة والمعيشة في هذه الدنيا ممتعة وهائلة وجميلة . ويقول العلماء : بأن جسم الإنسان يقوم عدة مرات خلال فترة حياته بعملية تجديد لخلاياه حيث تموت الخلايا الهرمة لتحل محلها خلايا شابة نشطة ليتمكن الجسم من مواصلة حياته بنشاط وسعادة .

« علم الأحياء يعتبر جسم الإنسان كولايات متحدة في كل ولاية تعيش فصائل مختلفة من الخلايا التي تتعاون فيما بينها لإدارة شؤون

الأرض التي تعيش فيها (وهو جسم الإنسان بالطبع)^(١) وبهذا تنشأ وتستمر حياة البشر نتيجة التعاون بين المدن والمحافظات التي تتكون منها مملكة الجسم الإنساني ، حيث تموت في كل لحظة مجموعة من الخلايا في مملكة الجسم وتتكون أو تخلق الملايين الأخرى من الخلايا الجديدة لتحل محل الخلايا الميتة . وكما أن الفرد يشكل النواة المركزية للمجتمع في داخل القرية والمدينة والمحافظة وبالتالي في الدولة بأسرها كذلك هو الحال بالنسبة للخلية بما تحتويها من (نواة وبلازما) فهي تشكل النواة المركزية الأصلية لمملكة جسم الإنسان »^(٢).

«وفي كل ثانية تموت حوالي ثلاثة ملايين من كريات الدم الحمراء في جسم الإنسان أي بمعنى آخر تتكون في كل ثانية ثلاثة ملايين من هذه الكريات لأن جسمنا يستهلك ما يخزنه من هذه الكريات لكي يبقى مجموعها العام ثابتاً في الجسم . جميع الكريات في جسمنا تُستبدل خلال ثلاثة أشهر وإن الدورة الحياتية لجزئيات بلازما الدم (أي الفترة بين تكون هذه الجزئيات وموتها) تستغرق أقل من هذه الفترة أي أقل من ثلاثة أشهر»^(٣).

إعادة تكوين أعضاء المجتمع البشري :

إن المجتمع البشري يقوم أيضاً على أساس التجديد وإعادة البناء والتكوين وذلك وفقاً لقضاء الله وإرادته الحكيمة، حيث جعل الله (سبحانه وتعالى) الموت مصيراً حتمياً للبشر يضع حداً لحياة الأفراد الهرمين والطاعنين في السن والذين فقدوا القدرة على التحرك والنشاط، ويفسح بذلك المجال أمام الشباب ليدخلوا

(١) المترجم .

(٢) صدوينجاه سال جوان بهانيد ، صفحة ٤٨ .

(شباب في سن الخمسين بعد المائة) . . . المترجم .

(٣) شناخت حیات ، صفحة ٢٢٣ .

ميدان العمل والسعي وبالتالي تصبح الحياة مليئة بالنشاط والحيوية . فلو لم يكن هناك الموت الذي يضع حداً ونهاية لحياة الأفراد الهرمين لأصيب المجتمع بالشلل بسبب الانفجار السكاني والزيادة الهائلة في عدد السكان، ولأصبحت الحياة لا تطاق بالنسبة لجيل الشباب والطبقة الفعالة والنشطة والمنتجة في المجتمع .

الطلب الذي يتعارض مع مصلحة المجتمع :

عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال : « إِنَّ قوماً فيما مضى قالوا لنبيٍّ لَهُمْ : ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يَرْفَعْ عَنَّا الْمَوْتَ فدعا لَهُمْ فَرَفَعَ اللهُ عَنْهُمْ الْمَوْتَ فَكَثُرُوا حَتَّى ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْمَنَازِلُ وَكَثُرَ النَّسْلُ وَيُصْبِحُ الرَّجُلُ يُطْعِمُ أَبَاهُ وَجَدَّهُ وَأُمَّهُ وَجَدَّ جَدَّهُ وَيُؤْضِيهِمْ وَيَتَعَاهَدُهُمْ فَشَغَلُوا عَنْ طَلَبِ الْمَعَاشِ فَقَالُوا : سَلْ لَنَا رَبَّكَ أَنْ يَرُدَّنَا إِلَى حَالِنَا الَّتِي كُنَّا عَلَيْهَا فَسَأَلَ نَبِيُّهُمْ رَبَّهُ فَرَدَّهُمْ إِلَى مَا لَهُمْ » (١) .

نعمة الموت إلى جانب نعمة الحياة :

إن الإمكانيات المعيشية في هذا العالم هي محدودة كما أن الكائنات الحية في عالم الطبيعة هذا معرضة للشيخوخة وعلى هذا الأساس فإن وجود الموت إلى جانب الحياة ليس شراً وليس أمراً سيئاً، بل إنه نعمة كبرى من نعم الله . فلو كانت الحياة في الظروف الطبيعية السائدة على هذه الأرض ليست مقترنة بالموت لحلت بالبشرية مصائب كبرى، ولساد في هذه الأرض فساد عظيم لا يمكن تلافيه والتخلص منه ، ولأصبح جيل الشباب الفعال المنتج وكذلك جيل الشيوخ الهرمين المنهكين غير القادرين على العمل كلاهما يعانيان من المصاعب والعذاب .

ثانياً : الجهل هو أمر عديم ومعناه عدم وجود العلم والمعرفة وعدم الوعي ، ولكن الموت هو كالحياة أمر وجودي وتنجم عنه آثار مختلفة كأنفصال

(١) الكافي . المجلد ٣ ، صفحة ٢٦٠ .

الروح عن الجسم وتوقف النشاطات والقوى المادية للجسم .

الآثار المترتبة على اليقظة وعلى النوم :

الموت والحياة هما كالنوم واليقظة من الأمور الوجودية ، والآثار التي تنجم عن اليقظة هي في معظمها إيجابية مثل التفكير واتخاذ القرارات والمشاهدة والسمع والتحدث والإشارة إلى شيء ما، والأكل والشرب وسائر الأعمال والنشاطات التي يقوم بها الفرد عندما يكون مستيقظاً . أما الآثار الوجودية للنوم فهي في معظمها سلبية ، مثل عدم القدرة على التفكير وعدم القدرة على اتخاذ القرارات وعدم القدرة على الرؤية والسمع والتكلم، وعدم القدرة على الإشارة إلى شيء ما وعدم القدرة على الأكل والشرب وسائر الأمور الأخرى المماثلة . على أن القرآن الكريم والأئمة عليهم السلام لم يضعوا الموت في مصاف الجهل الذي هو أمر عديم ولكن في الكثير من الحالات جاء ذكر الموت بصور مختلفة ككلمة مرادفة للنوم باعتبارهما أمران وجوديان .

مقارنة بين الموت والنوم :

قيل لمحمد بن علي عليه السلام : مَا الْمَوْتُ ؟ قَالَ : « هُوَ النَّوْمُ الَّذِي يَأْتِيكُمْ كُلُّ لَيْلَةٍ إِلَّا أَنَّهُ طَوِيلٌ مُدَّتُهُ لَا يُتَبَّهُ مِنْهُ إِلَّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ » ^(١).

وقد وردت كلمة « توفي » في القرآن الكريم بصور مختلفة . فتارة ينسب القرآن الكريم « الموت » إلى الله (سبحانه وتعالى)، وتارة أخرى ينسبه إلى ملك الموت، وبعض الآيات تذكر بأن الملائكة هي المكلفة بالموت وقبض الأرواح وكما ذكرنا في السابق فإن معنى كلمة « يُتَوَفَّى » هو استلام الشيء بالكمال والتمام .

﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ ^(١).

(١) سورة الزمر ، الآية : ٤٢ .

التشابه بين الموت والنوم :

على أن هذه الكلمة نفسها (يتوفى) مستخدمة في القرآن الكريم في مجال النوم .

﴿ هُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ ﴾^(١).

ويتضح من خلال هاتين الآيتين بأن الموت والنوم كلمتان متشابهتان وكلاهما أمر وجودي ، وفي كلتا الحالتين أي في الموت وفي النوم يؤخذ من الإنسان شيء يعتبر معياراً لشخصية الإنسان مع فارق واحد هو أن المأخوذ في حالة النوم يُردّ ويتم إعادته باستثناء بعض الحالات النادرة ، أمّا المأخوذ في حالة الموت فلا يمكن أن يُردّ ولا يُعاد إلا يوم القيامة . إن الشبه بين النوم والموت كبير إلى درجة أن الرسول الأكرم عليه السلام عندما كان يستيقظ من نومه كان يحمد الله ويشني عليه ويقول : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ »^(٢) .

الموت هو التقدير الإلهي :

﴿ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾^(٣).

ويظهر من خلال هذه الآية بأن الله هو الذي قدر الموت ونسبه إلى نفسه واستناداً إلى ذلك يمكن القول بأن الموت هو أمر وجودي إذ لو كان الموت عَدَمِيّاً لما استخدم الله كلمة « تقدير » ولما نسبته إلى نفسه . ونستخلص مما ذكرناه آنفاً بأن الموت ليس كالجهل ولا يمكن اعتباره أمراً عَدَمِيّاً ، بل إنّ الموت والحياة كلاهما أمران وجوديان كالنوم واليقظة مع فارق واحد هو أن الأثر الوجودي للحياة هو كالأثر الوجودي لليقظة، يتمثل في التحرك والإدراك وغيرها من الأمور الإيجابية، أما الأثر الوجودي للموت فهو كالأثر الوجودي للنوم يتمثل في السكون

(١) سورة الأنعام ، الآية : ٦٠ .

(٢) سفينة البحار ، المجلد ٢ ، صفحة ٦٢٦ .

(٣) سورة الواقعة ، الآية : ٦٠ .

وعدم التحرك وعدم الوعي والإحساس وهي من الأمور السلبية .

ثالثاً : أن المقال السابق اعتبر الموت كالجهل أمراً سيئاً وشرّاً كما اعتبر الحيوانات المؤذية والمفترسة حيوانات ضارة وسيئة لأنها تؤدي إلى الموت وتسبب الشر والسوء . بعدها ردّ المقال على ما يقوله الثنويون (الذين يعتقدون بوجود خالقين أحدهما للشر والآخر للخير)^(١)، ردّ عليهم بالقول : (الشرور والمساويء كلّها من نوع العدم والعدم ليس بمخلوق . فالعدم هو من «عدم الخلق» وليس من «الخلق» وتكون النتيجة - بالتالي - هي أن الموت كالجهل عبارة عن عدم ، والعدم ليس بمخلوق لكي يحتاج إلى خالق والعدم ليس له وجود لكي يكون بحاجة لمن يوجدّه .

الموت مخلوق من قبل الخالق :

القرآن الكريم يضع الموت في مرتبة واحدة مع الحياة ويذكر الموت قبل ذكره للحياة ويساوي بينهما من حيث أنهما مخلوقان من قبل خالق الكون (سبحانه وتعالى) .

﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾^(٢) .

هذه الآية تشير بكل وضوح إلى أن الموت والحياة هما أمران وجوديان وأن الخالق القدير خلقهما معاً بمشيئته وحكمته وزوّدهما بنعمة الوجود .

مالك الموت والحياة :

عن عليّ عليه السلام وهو يخاطب ابنه الحسن عليه السلام : « واعلم أن مالك الموت هو مالك الحياة وأن الخالق هو المُميت »^(٣) .

(١) المترجم .

(٢) سورة الملك ، الآية : ٢ .

(٣) نهج البلاغة ، الرسالة ٣١ .

عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال : « الْحَيَاةُ وَالْمَوْتُ خَلْقَانِ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ الْمَوْتُ فَدَخَلَ فِي الْإِنْسَانِ لَمْ يَدْخُلْ فِي شَيْءٍ إِلَّا وَقَدْ خَرَجَتْ مِنْهُ الْحَيَاةُ » (١).

في هذا الحديث يتحدث الإمام الباقر في البداية عن خلق الموت والحياة ويعتبرهما أمراً وجودياً كما يعتبر الموت والحياة مخلوقين من قبل خالق قدير حكيم ، ثم يصف كيفية تسلل الموت إلى أعضاء الجسم الحي والدخول إليها بنفس الطريقة التي يتسلل بها النوم إلى أعضاء وجوارح الإنسان ويستولي عليها .

نتيجة البحث :

ونستنتج من مجمل بحثنا السابق بأن الموت هو أساساً ليس شراً ولا سيئاً حتى يبادر البعض وفي معرض ردهم على الثنويين إلى تنزيه الله (تعالى) بالقول : « إن الموت كالجهل أمر عديم والعدم ليس مخلوقاً لكي يحتاج إلى خالق » . إن الموت في هذا النظام الدنيوي الفاني المتغير واللاثابت ينتمي إلى مجموعة الخير . والموت خير ، وجوده ضروري جداً في هذا العالم وهو من جملة النعم الإلهية . وقد خلق الله (تعالى) بمشيئته وحكمته الموت والحياة إلى جانب بعضهما البعض لكي يتحقق باستمرار التوازن بين أنواع المخلوقات الحية في هذا العالم وبالتالي يتمكن الجيل الفعال والمنتج من كل نوع من أنواع الكائنات والمخلوقات الحية من السير بشكل طبيعي وبجدارة وكفاءة في درب الحياة .

تذكير ضروري وفي محله :

ومن المناسب أن نشير هنا إلى نقطة تتعلق بنظرية العلماء الذين يعتبرون الموت أمراً عديمياً . وهذه النقطة هي أن هؤلاء الفلاسفة الإلهيين إذا وضعوا جانباً البحث حول الخير والشر وتغاضوا عما يقوله الثنويون وعن الرد عليهم وإذا

(١) الكافي ، المجلد ٣ ، صفحة ٢٥٩ .

ما أرادوا أن يطرحوا بصورة مستقلة قضية عدمية الموت وكونه غير مخلوق ، فإن المسألة تصبح بالشكل التالي :

إن الله الذي هو مبدأ الخير والشر خلق بإرادته الحكيمة ومشيئته الكائنات الحية فوق هذه الكرة الأرضية وأصغر هذه الكائنات الحية هي الخلايا المجهرية وأكبرها هي الأشجار الضخمة والحيوانات الكبيرة التي تعيش في البر والبحر . وقد هيأ الله (سبحانه وتعالى) لكل نوع من أنواع الكائنات الحية الظروف اللازمة لتمكن من العيش ومواصلة الحياة في ظل هذه الظروف ، وإسمح لها - بموجب الأمر التكويني - بالعيش فوق هذه الكرة الترابية (الأرض) وفي البيئة التي تلائمها .

أمر عدمي يسيطر على العالم :

ولكن منذ اللحظة التي بدأت فيها مظاهر الحياة على الأرض بأمر الله ، بدأ أمر عدمي وغير موجود ولا شيء أمر غير مخلوق ولا وجود له يسمى بالموت ، بدأ بمناهضة الحياة وبدأ يمارس نشاطه السلبي ضد الكائنات الحية ، وبدأ يأخذ منها حياتها التي هي هبة وعطاء إلهي ، وذلك بدون إذن من الله وهو (الموت) يواصل الآن عمله هذا في جميع أرجاء الكرة الأرضية . ونظراً لأن الموت هو «لا وجود» و«عدم» والعدم خارج عن حدود القدرة الإلهية ، إذن فإن الله لا سلطة له على الموت كما أن الكائنات الحية لا يمكنها البقاء بعيدة عن سلطة وحاكمية الموت .

الخطوة الحكيمة التي يقوم بها الموت :

والطريف في الأمر أن ما قام به هذا الأمر العدمي وهذا اللاموجود واللامخلوق في الماضي والحاضر هو عمل صحيح ودقيق وحكيم جداً فلو لم يكن هناك موت ولو استمرت الكائنات الحية المخلوقة من قبل الله والتي تعيش على اليابسة وفي البحار ، لو استمرت في تكاثرها لأصبحت الحياة وخلال فترة قصيرة ، غير ممكنة فوق هذه الأرض .

وعلى سبيل المثال نقول : إن الذبابة هي من الحشرات التي تبيض كثيراً وعمرها قصير أي أنها لا تعمّر طويلاً وتموت بسرعة بصورة طبيعة .

وإذا افترضنا على سبيل المثال أن الذباب يستمر في عملية التكاثر والتبيض لثلاثة قرون متتالية دون أن يموت خلال هذه الفترة ، فكيف سيكون وضع الكرة الأرضية بسبب تراكم وانتشار الذباب ؟ وهل أن البشر وسائر الكائنات البرية بإمكانها العيش في مثل هذا الوضع ؟ .

نظام محكم ودقيق :

ومما لا شك فيه بأن خلق الموت إلى جانب الحياة في ظل ظروف الحياة في هذه الدنيا هو ضرورة ملحة وعمل حكيم ومصلحة مؤكدة لا بدّ منها . وقد قام الله القادر الحكيم بهذا الأمر ونفذه على أحسن وجه حيث قام بخلق الموت والحياة معاً وجعل إدارة شؤون الكائنات الحية تتم وفق نظام دقيق ومتقن .

٢ - الموضوع الآخر الذي يثير الإهتمام في مجال الموت وهو موضوع تحدث عنه الأئمة في الكثير من الروايات المنقولة عنهم، ولفتوا انتباه شيعتهم إليه هو موضوع الشدائد والمصاعب التي لا يمكن وصفها والتي يواجهها الإنسان لحظة الموت والانتقال إلى دار الخلود، وكما يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فإن ضغوط وشدائد الموت هي من القوة بحيث يعجز اللسان والقلم عن التعبير عنها ووصفها كما لا يمكن تصورهما بالعقل .

شدائد ومصاعب الموت :

عن علي عليه السلام قال : «إِنَّ لِلْمَوْتِ غَمَرَاتٍ هِيَ أَفْظَعُ أَنْ تُسْتَغْرَقَ بِصِفَةٍ أَوْ تَعْتَدِلَ عَلَى عُقُولِ أَهْلِ الدُّنْيَا»^(١) .

شدائد ومصاعب الموت يشعر بها الإنسان عندما يجتاز ويعبر حدود الدنيا

(١) غرر الحكم ودرر الكلم ، صفحة ٢٤٧ .
(للأمدي).

ويرى ملك الموت ويقف على أعتاب عالم الغيب ، وفي هذه الحالة تنقطع علاقة الإنسان بمن حوله وتنقطع علاقة من حوله به ، فلا الشخص المتحضر يستطيع أن ينقل مشاهداته لمن هم حوله ويذكر لهم ما يجري له ولا الذين هم حول الشخص المتحضر يستطيعون معرفة ما في داخل الشخص المتحضر والتعرف على الحالة التي هو عليها .

الوصول إلى عالم الغيب :

إن حالة الشخص الذي رأى ملك الموت وشق طريقه إلى عالم الغيب شبيهة بحالة الشخص الذي يغط في نوم عميق وانفصل عن عالم اليقظة ، فهذا الشخص قلبه ودماغه يعملان ولكنه في عالم النوم وما يراه هو عبارة عن أحلام أو رؤيا ، فلا الذين من حوله على علم بما يشاهده في نومه ، ولا هو (الشخص النائم) يستطيع أن يوصل وينقل مشاهداته لمن هم حوله . وإذا قمنا برسم موجات الدماغ لشخص يغط في نوم عميق فإن الذي يقوم بتحليل موجات الدماغ هذه بإمكانه - ومن خلال طبيعة هذه الأمواج وما إذا كانت سريعة أو بطيئة - أن يعرف بأن الشخص النائم هو في وضع عادي طبيعي وأن دماغه يمرّ بمرحلة هادئة مستقرة أو أن وضعه مضطرب هائج يواجه طوفاناً في داخله ، وفي هذه الحالة فإن الذي يحلل ويدرس هذه الموجات الدماغية يدرك فقط حالة الإضطراب التي يعيشها الشخص في نومه ، ولكنه لا يستطيع أن يفهم سبب هذا الإضطراب والقلق .

تسجيل الموجات الدماغية . الكتروانسفالوغرافي :-

« لقد استخدمت طريقة دراسة وتحليل خطوط الموجات الدماغية باعتبارها علماً جديداً أطلق عليه اسم (الكتروانسفالوغرافي) ، استخدمت لأول مرة منذ خمسة وعشرين عاماً أي قبل ربع قرن من الزمان ، حيث تقوم اليوم مئات المختبرات الطبية في أميركا وكذلك في أوروبا بتسجيل وتحليل الخطوط البيانية الخاصة بعمليات تفريغ

الشحنات الكهربائية في دماغ الإنسان . وتحفظ المستشفيات في جميع أنحاء العالم بآلاف من أشرطة الخطوط البيانية لأدمغة الأفراد المرضى الذين يعالجون في هذه المستشفيات ، لأن مثل هذه الخطوط البيانية للموجات الدماغية مفيدة جداً للتعرف على الأمراض التي تصيب الدماغ وبالتالي معالجتها . فهذه الموجات الدماغية المسجلة لمثل هؤلاء المرضى هي كنموذج طبع الأصابع الذي يؤخذ من المجرمين ويستخدم لإثبات هوياتهم . وكما أن نموذج طبع الأصابع يستخدم للتعرف على هوية الأفراد ولكن لا يمكن التعرف من خلال ذلك على صفات المجرم ، كذلك هو الحال بالنسبة لخطوط الموجات الدماغية للفرد، فإنها تكشف نوعية وطبيعة الإضطراب الدماغي، ولكنها لا تكشف شيئاً عما يدور في داخل الدماغ من أفكار وتصورات . فالمنحنيات الناتجة عن عملية تسجيل الموجات الكهربائية للدماغ (الكتروانسفالوغراف) تشكل مجموعة تضم ثمانية خطوط أو أكثر من الخطوط الموجية الشكل (المنحنيات) وكل واحد من هذه المنحنيات يعتبر بمثابة رسم بياني للموجات الكهربائية لقسم أو جزء معين من الرأس أو الدماغ . ويمكن افتراض أن هذه الموجات الكهربائية المنبعثة من مختلف أجزاء الدماغ هي عبارة عن مجموعة النداءات والتعليمات الصادرة عن الدماغ . وتكون مهمتنا في هذه الحالة حلّ هذه الرموز وتحليل وقراءة تلك النداءات والتعليمات»^(١) .

وأحياناً يتم استلام عدد كبير من النداءات المختلفة وفي وقت واحد بحيث أن العين الإنسانية المجردة لا يمكنها أن تفصل بوضوح أجزاء المنحنى المعقد وتميّز بينها . وأحياناً تتداخل الموجات المختلفة

(١) شناخت حیات (معرفة الحياة)، صفحة ٣٤٦ .

إلى درجة تكون معها النتائج الحاصلة من دراسة وتحليل هذه الموجات نتائج خاطئة تماماً . فعلى سبيل المثال عند القيام باختبار لمعرفة الأمر الذي يسبب القلق والإضطراب لدى الشخص الذي يجري عليه الاختبار ، فإن المنحنى البياني الذي نحصل عليه من عملية الاختبار قد يكون متغيراً إلى درجة أن تردد أو ذبذبة موجات أشعة «الفا» تقل بمقدار واحد أو اثنين في الثانية .

قبل سنوات تعرّفت على رجل مثقف ومؤمن كان يتقن ثلاث لغات ويحب المطالعة كثيراً، وكان يحاول دائماً الحصول على مزيد من الكتب والمجلات العلمية التي تصدر في مختلف دول العالم ليطلع من خلالها على الاختراعات والاكتشافات العلمية الجديدة في العالم . ولأنه كان رجلاً متديناً ومؤمناً فإنه كان يأتي إليّ بين الحين والآخر ليسألني حول موضوع جديد قرأه في الكتب والمجلات، وما إذا كان القرآن الكريم والأئمة عليهم السلام قد تطرقوا إلى مثل هذا الموضوع أم لا . وفي ظهيرة أحد أيام الصيف الحارة اتصل بي هذا الرجل وقال لي: أريد أن أراك بسرعة، حيث لدي موضوع جديد أريد أن اطلعك عليه . وبعد عدة ساعات جاءني الرجل وهو يحمل في يده مجلة أجنبية ، ثم فتح المجلة وإذا فيها صورة رجل جالس على كرسي وعلى رأسه قبعة خاصة تتفرع منها أسلاك عديدة تتصل بلوحة قريبة من الكرسي ، وفي نفس الصفحة من المجلة يشاهد عدد من لوحات الحفر الزنكوغرافي (الغرافر) مساحة كل واحد منها كمساحة علبة كبريت ، وتظهر على كل واحد منها خطوط بيضاء منكسرة عريضة ورفيعة ورفيعة جداً ، متباعدة ومتقاربة ومتقاربة جداً وهي تختلف من حيث قطرها وسماكتها وأشكالها .

أمواج الدماغ في حالة الإثارة والإضطراب :

لقد قاموا بتصميم وصنع هذه الأجهزة لتقوم بتسجيل الموجات المنبعثة من دماغ المريض على شريط من ورق يوضع تحت تصرف الطبيب ليتمكن بواسطته

من التعرف على طبيعة المرض الدماغى الذى يعانى منه المريض، وبالتالى وصف العلاج الذى تتطلبه حالة المريض، ولكن لوحات الغرافر المطبوعة فى هذه المجلة لا تصلح لأمراض الدماغ، بل إنهم قاموا بتسجيل هذه الموجات الدماغية ليعرفوا كيف تكون عليه موجات دماغ الإنسان فى حالات الهيجان، كالغضب والخوف والإضطراب والتألم وسائر الحالات الأخرى المماثلة. إذن فعملية تخطيط الدماغ أو الرأس (وهى عملية تسجيل الموجات الكهربائية المنبعثة من مختلف أجزاء الدماغ) تتم لهذا الغرض. فهم قد أخذوا أجزاء صغيرة من الأشرطة المسجلة عليها هذه الموجات الدماغية الكهربائية على شكل لوحات الحفر الزنكوغرافى - الـ (غرافر) - وطبعوها فى هذه المجلة، وكتبوا تحت كل لوحة من لوحات الغرافر عبارة: هذا هو شكل الموجات الدماغية لشخص فى حالة الغضب أو فى حالة الخوف أو فى حالة الإضطراب أو فى حالات أخرى مماثلة. وكان مكتوب أيضاً فى تلك الصفحة من المجلة بأنه من الممكن إجراء تخطيط لدماغ إنسان وهو فى حالة النوم، وبالتالى التأكد مما إذا كان هذا الشخص النائم هو فى عالم الرؤيا أو فى وضع عادى أو فى حالة اضطراب وقلق وهيجان، وهل أنه يرى الآن أحلاماً مزعجة مرعبة (كوابيس) أم لا. والأمر المثير للإنتباه هو أن الصفحة الأخيرة من تلك المجلة تضمنت لوحة الحفر الزنكوغرافى - الـ (كليشييه)^(١) - وعليها خطوط تختلف من حيث العدد ومن حيث الشكل مع تلك المرسومة على سائر لوحات الـ (غرافر)^(٢) الأخرى، بحيث أن لوحة الغرافر هذه محشوة ومكتظة بالخطوط الكثيرة وكتب تحتها عبارة: هذه موجات دماغ إنسان محتضر (ينازع الموت).

(١) GRAVURE تعنى الحفر الزنكوغرافى - كليشييه - طبعة برواسم (نقلًا عن قاموس المورد المترجم).

(٢) الـ (غرافر) GRAVURE: هى عبارة عن صورة أو خارطة تلتقط أو تطبع على معدن خاص بواسطة جهاز يشبه الكاميرا أو آلة التصوير وتستخدم هذه الصورة أو الخارطة المعدنية للطبع على الورق . . . (المترجم) نقلًا عن فرهنك عميد.

الضغوط التي يتعرض لها الشخص المحتضر :

الوضع الإستثنائي الذي كان يشير إليه المخطط البياني (الغراف) للشخص الذي ينازع الموت يشير إلى هذه الحقيقة وهي أن الضغوط التي يتعرض لها الفرد المحتضر هي من الشدة والقوة بحيث لا يمكن مقارنتها مع أقوى الضغوط التي يتعرض لها الإنسان نتيجة الغضب والخوف والألم وسائر الإضطرابات التي يواجهها خلال حياته . وبعد أن قدم هذا الصديق المحترم توضيحاته حول لوحات (الغراف) سألني قائلاً : ماذا تقول الروايات والأحاديث المنقولة عن الأئمة عليهم السلام عن مصاعب وشدائد الموت ؟ فقلت له : هناك روايات وأحاديث كثيرة في هذا المجال مذكورة في نهج البلاغة وفي سائر كتب الحديث وقرأت عليه هذه الكلمة للإمام علي عليه السلام :

كلام للإمام علي (ع) :

« . . . فَإِنَّكُمْ لَوْ عَايَنْتُمْ مَا قَدْ عَايَنَ مِنْ مَاتَ مِنْكُمْ لَجَزَعْتُمْ وَوَهَلْتُمْ وَسَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ وَلَكِنْ مَحْجُوبٌ عَنْكُمْ مَا قَدْ عَايَنُوا وَقَرِيبٌ مَا يُطْرَحُ الْحِجَابُ » (١).

٣ - القضية الأخرى التي يجدر بحثها في مجال الموت والتي تميز بين أتباع الديانات السماوية المؤمنين برسالات الأنبياء وبين اتباع المذاهب المادية هي : هل أن الموت هو آخر مرحلة من مراحل وجود الإنسان ، وهل أن الإنسان ينتهي بجميع أبعاده بمجرد أن يموت ؟ أو أن الموت وفقاً لمدرسة الأنبياء يضع نهاية لهذه الحياة الدنيا التي هي مجرد مرحلة من مراحل التكامل الإنساني ، تبدأ بعدها مرحلة الحياة الخالدة في عالم الآخرة ؟ هذا التفكير المزدوج يترك تأثيرات مختلفة على تصرفات وأخلاق اتباع هاتين المدرستين تجعل اتباع كل مدرسة يختلفون عن اتباع المدرسة الأخرى قولاً وعملاً . فالذي يعتبر حياة

(١) نهج البلاغة ، الخطبة ٢٠ .

الإنسان تقتصر على هذه الدنيا فإنه يوجه كل اهتماماته للحياة الدنيا ولا يفكر إلا بإرضاء شهواته وغرائزه وميوله المادية والدينية . أما الذي يؤمن بعالم الغيب ويرى بأن الموت نهاية الحياة الدنيا وبداية للحياة الأخروية الخالدة، فإنه لا يركز كل اهتماماته لإرضاء وإشباع ملذاته الدنيوية وتجنب آلام الدنيا ومصاعبها ، بل إن مثل هؤلاء يعتبرون أنفسهم ملزمين وفقاً لتعاليم الأنبياء ، بتربية أنفسهم وإعدادها لعالم الآخرة والعمل من أجل حياة الآخرة الأبدية إلى جانب العمل من أجل تأمين سبل المعيشة في هذه الدنيا الفانية .

ضمان السعادة الأبدية :

إنّ الإنسان بإمكانه أن يفوز بالسعادة الأبدية وينال أعلى وأرقى الدرجات في الآخرة إذا تمكن من مراقبة أعماله وتصرفاته في دار الدنيا .

عن علي عليه السلام قال : « بالموت تُختم الدنيا وبالدنيا تُحرز الآخرة »^(١).

وعنه عليه السلام : « أيها الناس وإنا خلقنا وإياكم للبقاء لا للفناء ولكنكم من دارٍ إلى دارٍ تنقلون فتزودوا لما أنتم صائرون إليه وخالدون فيه »^(٢).

الإنسان والحياة الخالدة :

وفي نهاية خطبته يدعو الإمام علي عليه السلام الناس لكي يتزودوا من هذه الدنيا الفانية المؤقتة للحياة الأبدية بعد الموت، وأن يهيئوا ظروف سعادتهم في الآخرة خلال فترة وجودهم في هذه الدنيا . وهذا الزاد الذي على الإنسان أن يتزود به في الدنيا هو حسب ما جاء به الأنبياء : الإيمان بالله وإطاعة الأوامر الإلهية والعمل بتعاليم الله .

(١) نهج البلاغة ، خطبة ١٥٦ .

(٢) بحار الأنوار ، المجلد ١٥ ، القسم الثاني ، صفحة ١٨٢ .

التخلق بالخلق والصفات الإنسانية :

كل إنسان يرغب في نيل السعادة الأبدية ، عليه أن يمثل في هذه الدنيا التي هي دار التكليف للتعاليم الإلهية الإنسانية التي تهدف إلى تربية الإنسان معنوياً وأخلاقياً ، وأن يلتزم - في جميع الأحوال - بما يفرضه عليه الواجب الإنساني ، وذلك في تعامله مع جميع الناس ، وأن يتجنب الممارسات الشرسة والطباع الذميمة ويتخلق بالصفات الإنسانية الحميدة وعليه أن يجعل من نفسه إنساناً ويعيش كإنسان ويموت كإنسان لكي يحشر يوم القيامة إنساناً ، ويوضع في مرتبة البشر ويتمتع بحياة هائلة تغمرها الرحمة والنعم الإلهية التي تليق بمنزلة الإنسان ومكانته . فالذي يعيش في الدنيا بهذه الطريقة ويطبق التعاليم والأوامر الإلهية ويتجنب ما ينهى عنه الله ويتمسك بمكارم الأخلاق ، فإنه يكون مستعداً دائماً لاستقبال الموت والانتقال إلى دار الخلود يحدوه الأمل بالرحمة الإلهية .

معنى الإستعداد للموت :

قيل لأمر المؤمنين عليهم السلام : ما الإستعداد للموت ؟ قال : « أداء الفرائض واجتناب المحارم والإشتغال على المكارم ثم لا يُبالي أوقع على الموت أم وقع الموت عليه »^(١).

٤ - من الأمور المرتبطة بالموت والتي بحثت على نطاق واسع وتطرقت إليها الكتب العلمية والدينية هي : لماذا يخاف الناس عموماً من الموت ويكرهونه ؟ طبعاً الكراهية والخوف هما حالتان نفسيتان ، ونظراً لأن المؤمنين برسالات الأنبياء والأديان السماوية يختلفون مع الماديين الذين ينكرون وجود الله كما يختلفون مع الإلهيين (المعتقدين بوجود الله) ولكنهم ينكرون المعاد ، من حيث طريقة التفكير والنظرة إلى هذا الكون وهذا الإنسان الذي يعيش في هذا

(١) سفينة البحار ، المجلد ٢ ، صفحة ٥٥٤ (باب الموت) .

العالم فمن الطبيعي أن يختلف الفريقان من حيث نظرتهما إلى قضية الموت .
ولمزيد من التوضيح في هذا المجال نقول :

البشر والهروب من الموت :

إنّ تذمر البشر وكرهه للموت وهروبه منه سببه رغبة هذا البشر في الحياة الخالدة . وكما ذكرنا من قبل فإن رغبة الإنسان في الحياة الأبدية هي رغبة فطرية لها جذور في داخل الإنسان، فالذين يؤمنون بالمذهب المادي ويعتبرون الموت نهاية لوجودهم بكل أبعاده وكذلك الإلهيون الذين لا يؤمنون لا ببقاء الروح ولا بوجود عوالم بعد الموت ، هؤلاء من حقهم أن يكرهوا الموت ويخافوا منه لأنهم يشعرون بأن الموت يقضي على رغبتهم الفطرية في الحياة الأبدية الخالدة، ويقمع هذا الميل وهذه الأمنية في نفوسهم وضمايرهم ويضع حداً لحياتهم الدنيوية بجميع أبعادها . وهناك جماعة يعتبرون أنفسهم مؤمنين بالأديان الإلهية ولكنهم لا يعتقدون بشكل قاطع ببقاء الروح وبالحياة بعد الموت (وهما ركنان تقوم عليهما رسالات الأنبياء والأديان الإلهية) وبالتالي فهم ينظرون إلى مسألة بقاء الروح والحياة بعد الموت نظرة شك وترديد . فهؤلاء أيضاً متذمرون من الموت لأن الأمل بالحياة بعد الموت وهو أمر مشكوك فيه وغير مؤكد في نظرهم لا يلبي رغبتهم الفطرية ولا يستطيع إرضاء ميلهم الباطني في الحياة الخالدة . هؤلاء متذمرون ومتنفرون من الموت وينظرون إليه نظرة تشاؤم وسخط إلى درجة أن البعض منهم ليس مستعداً حتى لسماع اسم الموت أو الذهاب لفترة قصيرة إلى المقبرة والتفكير في الموت وأخذ العبر من السابقين .

حالة الإحتضار وذهاب العقل :

هؤلاء يدركهم الموت في الوقت المناسب شاؤوا ذلك أم أبوا ويستولي عليهم إلى درجة يفقدون معها القدرة على التفكير والتمييز ويصبحون كالمغمى عليهم والفاقدين الوعي والسكرارى لا يمكنهم أن يدركوا الحقائق والواقع . وفي هذا المجال يقول القرآن الكريم ؛ ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ

مِنْهُ تَحِيدٌ ﴿١﴾. السُّكْرُ حالة تعرض بين المرء وعقله ، والسُّكْرُ اسم لما يكونُ منه السُّكْرُ (٣).

الموت في نظر المؤمنين :

الذين يؤمنون بالله خالق هذا العالم والسائرين بإحسان على نهج أنبياء الله ويعتقدون اعتقاداً راسخاً بعالم الآخرة لا ينظرون إلى الموت نظرة سخط وتذمر ولا يرون بأن الموت يحول دُون تمتعهم بالحياة الأبدية الخالدة، بل إنهم يؤمنون بأن الموت يضع نهاية لحياة الدنيا الضيقة المليئة بالمصائب والويلات، وينقل الإنسان إلى دار الخلود ويحقق - بالتالي - للإنسان أمنيته في الحياة الخالدة .
وهناك بيت من الشعر الفارسي يقول ما معناه : لقد جربت الموت في هذه الحياة .

فالحياة الخالدة تتحقق بمجرد أن نتخلص من هذه الحياة الدنيا .

نيل الثواب أو العقاب الإلهي في الآخرة :

الموت في نظر المؤمنين بالله وباليوم الآخر ، هو بمثابة جسر يصل بين الدنيا الفانية والآخرة الباقية الخالدة . وجميع الناس - سواء كانوا ماديين أو إلهيين يؤمنون بالله والآخرة أو لا يؤمنون بهما - لا بدّ لهم وأن يجتازوا ويعبروا هذا الجسر ليدخلوا عالم الآخرة ويبدأوا الحياة الأبدية ، مع فارق واحد هو أن الأشخاص المؤمنين الصالحين يحصلون على الثواب الإلهي ويتمتعون بنعم الله ورحمته في الآخرة ، والأشخاص الفاسقين الذين لا يؤمنون بالله ينالون يوم القيامة عقاب سيئات أعمالهم ويواجهون نقمة الله عليهم وعذابه لهم .

الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر :

عن النبي ﷺ قال : « إِنَّ الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ وَالْمَوْتُ جِسْرٌ

(١) سورة ق ، الآية : ١٩ .

(٢) المفردات في غريب القرآن - للراغب الأصفهاني - (سكر).

هؤلاء إلى جَنَاتِهِمْ وَجِسْرُ هَؤُلَاءِ إِلَى جَحِيمِهِمْ» (١).

وخلاصة القول : إن الذين يؤمنون بالمبدأ (أي بوجود الله الخالق لهذا الكون وهو الذي بدأ الخلق كله) ويؤمنون بالمعاد ويعتقدون بأن الموت يعني الانتقال من الدنيا الفانية إلى الدار الآخرة الخالدة ، هؤلاء لا ينزعجون من الموت ولا يتذمرون أو يفزعون منه، بل إن ما يقلقهم هو أن يموتوا ويفارقوا هذه الدنيا دون أن تحظى معتقداتهم وإيمانهم وأخلاقهم وأعمالهم في هذه الدنيا برضى الله ، وبالتالي يواجهون غضب الله وعذابه الأليم يوم القيامة ويُحرمون من رحمة الله وغفرانه - حتى وإن كان هذا الحرمان مؤقتاً وعلى نطاق محدود - .

الخوف من الموت نتيجة الجهل وعدم الوعي :

إن خوف الناس من الموت هو كأي نوع من أنواع الخوف الذي ينتاب الإنسان ، ناجم عن الجهل وعدم الإدراك . فالبشر يخاف من الليل المظلم لأن الظلام والعتمة تسبب الجهل . فالشخص أثناء الليل لا يرى شيئاً ويميز طريقه ولهذا السبب فهو يرى نفسه معرضاً للخطر في أية لحظة ، خطر الحيوانات المؤذية والمفترسة وأي خطر أو حادث مجهول آخر . والإنسان عندما يقف ولأول مرة إلى جانب حفرة أو بركة ماء كبيرة مظلمة فإنه يشعر بالخوف من الدخول فيها لأنه لا يدري كم هو عمقها ، ولا يدري كم تحويه من الرواسب والطيني ولا يدري ما هي الحيوانات التي تعيش فيها . الجهل بكل هذه الأمور هو الذي يسبب له الخوف وبالتالي فإنه لا يجرؤ على الدخول في تلك البركة .

المكان المجهول وخطر الحوادث :

ولا يسمح لنفسه بدخول مثل هذا المكان المجهول لأنه في مثل هذه الظروف يجد نفسه في كل لحظة معرضاً لحوادث ومخاطر مؤلمة لا تحمد عقبائها تسبب له الضرر، والشخص الذي لا يعرف شيئاً عن الكهرباء فإنه لا يعبث

(١) بحار الأنوار (للعامة المجلسي)، المجلد ٣ ، صفحة ١٣٤ .

بالأضرار والمفاتيح والأسلاك الكهربائية لأنه يخاف من صعقة كهربائية تؤدي بحياته . وخلاصة الكلام أن مصدر الخوف الذي يسيطر على الناس ويستولي عليهم من مختلف مجالات الحياة ، هو الجهل وعدم الإطلاع ، ونفس هذا المعيار يصدق بالنسبة للموت ، فالسبب الذي يجعل الجميع يخافون من الموت هو لأنهم لا يعرفون ما هو الموت وكيف يتسلل إليهم ولا يعرفون ما هي الأعراض التي تصيبهم والحوادث التي تواجههم لحظة الموت .

سبب الخوف من الموت :

عَنْ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْعَسْكَرِيِّ عليه السلام قَالَ : « دَخَلَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْهَادِي عليه السلام عَلَى مَرِيضٍ مِنْ أَصْحَابِهِ وَهُوَ يَبْكِي وَيَجْزَعُ مِنَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُ : يَا عَبْدَ اللَّهِ تَخَافُ مِنَ الْمَوْتِ لِأَنَّكَ لَا تَعْرِفُهُ . . . » (١) .

وبعد ذلك حدّثه الإمام عليه السلام بموضوع حول الموت سلاة به وهذا من روعه، وسرعان ما أغمض الشخص المريض عينيه وأسلم الروح .

الفرق بين خوف المؤمن وخوف الكافر من الموت :

بالطبع فإن خوف المؤمنين بالله وبالقيامة من الموت يختلف عن الخوف الذي يتتاب المنكرين للمبدأ والمعاد من الموت . فالمؤمنون يخافون من الموت لأنهم لا يعرفون وضعهم يوم القيامة ، وهل أن الله راضٍ عنهم ويشملهم برحمته وعنايته أو أنه غير راضٍ عنهم وغاضب عليهم . أما الذين لا يؤمنون بالله فإنهم وقبل مشاهدتهم ملك الموت وقبل أن يدخلوا عالم بعد الموت ، يتتابهم الخوف لأنهم لا يدرون ماذا يفعل بهم الموت وما هو التطور أو التغيير المجهول الذي سيواجهونه ، ولكن بمجرد أن ينكشف غطاء الغيب ويشاهدون ملك الموت ويطلعون على حقيقة عوالم بعد الموت والثواب والعقاب الإلهي ، عندها يدركون على الفور حقيقة مستقبلهم المظلم الرهيب ويفهمون حينذاك بأن أمامهم

(١) معاني الأخبار ، صفحة ٢٩٠ .

مراحل عصية جداً وعقوبات شديدة وشاقة وصارمة للغاية نتيجة لإنكارهم وجود الله الخالق ومخالفتهم للأوامر الإلهية (في دار الدنيا).

الإطلاع على المصير :

وبعبارة أخرى فإن كل إنسان سواء كان مادياً أو إلهياً مؤمناً أو كافراً صالحاً أو غير صالح متقياً أو غير متقٍ وفاسق ، عندما يجتاز حدود الدنيا ويدخل إلى دار الآخرة وخلال تلك اللحظات الأولى من دخوله الآخرة ، يتعرف على مصيره ويصبح على علم بما سيؤول إليه مصيره ومستقبله . فالذين آمنوا في حياة الدنيا إيماناً واقعياً بالله وبيوم الجزاء وأطاعوا أوامر الله واتبعوا تعاليم الأنبياء وصدقوا ما جاؤوا به من عند الله وأمضوا حياتهم بتزاهة وعفة وفي عمل الخير والإحسان ، يفهمون بأن الرحمة الإلهية الواسعة تشملهم وأنهم سيتمتعون بالنعم الإلهية الخالدة في عالم الآخرة . أما الذين يتبعون المذاهب المادية وكانوا في الدنيا ينكرون وجود الله ولم يكثرثوا بأنبياء الله وتعاليمهم وما جاؤوا به من عند الله ولم يتورعوا عن ارتكاب المعاصي والذنوب وسائر الانحرافات الخلقية ، فإنهم يشعرون ويدركون بأنهم ممن يحقق بهم العذاب الإلهي ويخلّدون في العذاب الأليم في الآخرة .

المؤمنون المذنبون :

أما الذين كانوا في الدنيا يؤمنون بالله ولكنهم كانوا عبيداً لأهوائهم وغرائزهم وشهواتهم وارتكبوا الكثير من المعاصي والذنوب في الدنيا فإنهم بعد الموت مباشرة يدركون حالتهم وما هم عليه ولكن مصيرهم المحتّم يتحدد يوم الحساب ، إذ قد يشملهم العفو الإلهي يوم الحساب وينجون من المأزق أو قد يعذبون لفترة من الزمن وذلك حسب ما ارتكبوه من ذنوب (وتبعاً لطبيعة هذه الذنوب وما إذا كانت هذه الذنوب من الكبائر أم لا أو إذا كانت ذنوب ترتبط بحقوق الناس أم لا) (١).

(١) المترجم .

عليّ (ع) يصف الموت :

قيل لأمر المؤمنين عليه السلام صِفْ لَنَا الموتَ . فقال : « على الخير سَقَطْتُمْ هو أحدُ ثلاثة أمورٍ يَرُدُّ عليه أَمَّا بَشَارَةٌ بنعيم الأبدِ وإِمَّا بَشَارَةٌ بعذابِ الأبدِ وإِمَّا تَحْزِينٌ وَتَهْوِيلٌ وَأَمْرُهُ مُبْهَمٌ لا يَدْرِي من أَيِّ الْفِرَاقِ هُوَ »^(١).

الندم بعد فوات الأوان :

الذين لم يفكروا في حياتهم إلا بالمادة العمياء العديمة الشعور، ولم يكونوا يريدون التفكير والتمعن في الآيات الإلهية الحكيمة، ولم يكونوا يريدون الإيمان بالله خالق هذا العالم ، هؤلاء عندما يشاهدون عالم ما وراء المادة يصابون بارتباك شديد ويندمون على ماضيهم، ولكن الندم لا يجدي نفعاً في عالم الآخرة لأن الفرصة تكون قد ذهبت وانتهت فترة التكليف وهؤلاء ليس بإمكانهم التعويض عما فاتهم .

أما المؤمنون بالله وبما جاء به الأنبياء والمرسلون فإنهم يؤمنون ويعتقدون بالآخرة وبالثواب والعقاب الإلهي ، قبل أن يموتوا وينتقلوا إلى عالم الغيب وبالتالي فإنهم لا يقلقون لمشاهدتهم عوالم بعد الموت ، بل إن قلقهم واضطرابهم قبل الموت ناجم عن كونهم لا يدرون ماذا سيكون وضعهم بعد الموت ، هل إنهم من أهل النار أم من أهل الجنة ولكنهم يتغلبون على هذا القلق والاضطراب ويستسلمون للموت بضمير هادئ مطمئن، ويسلمون الروح بقلب فرح ووجه مشرق متفتح الأسارير وكلهم أمل برحمة الله وفضله وعفوه وغفرانه . وهناك في هذا المجال أبيات شعرية بالفارسية^(٢) تقول ما معناه : عندما دنا أجل بلال (الحبشي) وأصبح جسمه نحيفاً كالهلال وأصبح على قاب قوسين أو أدنى من الموت ، جاءت إليه زوجته ، وعندما رآته على هذه الحال

(١) معاني الأخبار ، صفحة ٢٨٨ .

(٢) الأبيات موجودة في الصفحة ١٨٢ من كتاب المعاد . . . (المترجم).

صاحت : وامصبيته ، فقال لها بلال : كلاً كلاً بل وافرحته ، لأنني وحتى الآن كنت أعيش في هذه الدنيا في مصيبة وحزن ، أنت لا تعرفين ما هو الموت وكم هو راحة للإنسان . كان بلال يقول هذا وأساريه متفتحة ووجهه منبسط كأنه الورد والياسمين والزهور ، يشع بالنور كمصداق لكلامه ومشاعره .

لحظات الإحتضار والأمل بالرحمة الإلهية :

ولكي يحدّ الأفراد المؤمنون من حالة الخوف والقلق التي تسيطر عليهم أثناء الموت ويتمكنوا بالتالي من الإنتقال إلى دار الخلود وهم في حالة نفسية مطمئنة فليحاولوا ما بوسعهم - وخلال الساعات الأخيرة من حياتهم - توجيه أفكارهم نحو العفو والمغفرة الإلهية، وتعزيز الأمل بالرحمة الإلهية في نفوسهم وضمائهم، ويسلموا أرواحهم لملك الموت من منطلق حسن الظن بالله (تعالى) . وهذه مسألة مذكورة في الكثير من الروايات والأحاديث المنقولة عن النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام الذين أوصوا شيعتهم كثيراً بهذا الأمر .

وكمثال نذكر الأحاديث التالية :

الأمل بفضل الله :

عن النبي ﷺ قال : « قال الله تبارك وتعالى برحمتي فليثقوا وفضلتي فليرجوا وإلى حسن الظن بي فليطمئنوا فإن رحمتي عند ذلك » (١) .

حسن الظن بالله :

قال رسول الله ﷺ : « لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله فإن حسن الظن بالله ثمن الجنة » (٢) .

عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : « أحسنوا الظن بالله فإن الله عز وجل يقول أنا عند ظن عبدي المؤمن بي إن خيراً فخييراً وإن شراً فشراً » (٣) .

(١) الكافي ، المجلد ٢ ، صفحة ٧١ .

(٢) مشكوة الأنوار ، صفحة ٣٦ .

(٣) الكافي ، المجلد ٢ ، صفحة ٧٢ .

لحظة الموت وكلمة التوحيد :

لقد بدأ الرسول ﷺ دعوته بكلمة التوحيد واعتبرها مصدر فلاح وسعادة للبشر حيث قال : « قولوا لا إله إلا الله تفلحوا »^(١) . والشخص المحتضر إذا كان حسن الظن بالله ، وإذا نطق في آخر لحظة من حياته بكلمة التوحيد فإنه يكون من أهل الجنة طبقاً للحديث التالي :

عن النبي ﷺ : « لَقِنَا مَوْتَاكُم (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) فَإِنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) دَخَلَ الْجَنَّةَ »^(٢) .

(١) المترجم .

(٢) ثواب الأعمال صفحة ٢٣٢ .

المحاضرة السادسة

محاسبة النفس وإحياء القيم الإنسانية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حتى إذا جاء أحدهم الموتُ قالَ ربِّ ارْجِعْونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً
فِيمَا تَرَكْتُ﴾ (١).

الإستفادة من صيغة التشبيه والأمثال:

إن استخدام صيغة التشبيه والإستعارة والأمثال هي من أفضل وأسهل الطرق المتبعة للتفاهم بين الشعوب والقوميات على مختلف ألسنتها ولغاتها . إذ أن بعض الأمور لا يمكن توضيحها للبعض من الناس حتى بأفصح اللغات وأقوى النصوص والكتابات ، وهذه المشكلة يمكن أن نتغلب عليها من خلال استعمال صيغة التشبيه حيث يمكننا بهذه الطريقة إفهام المستمعين والقراء مهما كان مستواهم الثقافي والعلمي بما نريد أن نقوله . وفي القرآن الكريم والروايات والأحاديث هناك الكثير من صيغ التشبيه والأمثال في المجالات المختلفة، الأمر الذي جعل المسلمين يتعلمون ويفهمون القضايا والأمور المعقدة ويستوعبون التعاليم والمسائل الدينية والأحكام الشرعية في مختلف المجالات، ومن جملة صيغ التشبيه التي وردت في القرآن الكريم وفي الروايات والأحاديث - والتي

(١) سورة المؤمنون ، الآيتان : ٩٩ و ١٠٠ .

تحمل في طياتها الكثير من العبر والمفاهيم التربوية وتجعل الإنسان يطلع على وضعه وموقعه في هذا العالم - نقول : إن من جملة صيغ التشبيه هذه هي تلك التي تشبه الدنيا بسوق يدخله الناس من أجل البيع والشراء والسلع التي يتم التعامل بها في سوق الدنيا هي الإيمان والكفر والفضيلة والرذيلة والتقوى والفجور أو الفسق أي بعبارة أخرى مجموعة المعتقدات والأخلاق والأعمال السيئة والحسنة، حيث يدفع الناس ثمنها من أعمارهم ويدخرونها من أجل دنياهم وآخرتهم .

عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال : « إِنَّمَا الدُّنْيَا سَوْقٌ مِنَ الْأَسْوَاقِ مِنْهَا خَرَجَ قَوْمٌ بِمَا يَنْفَعُهُمْ وَمِنْهَا خَرَجُوا بِمَا يَضُرُّهُمْ »^(١).

وعن أبي الحسن الهادي عليه السلام قال : « الدُّنْيَا سَوْقٌ رَيْحٌ فِيهَا قَوْمٌ وَخَسِرَ آخَرُونَ »^(٢).

صفقات رابحة أو خاسرة :

ويعبر القرآن الكريم في موارد عديدة عن الأعمال الصالحة والحسنة التي يقوم بها الصالحون والمتقون وكذلك الأعمال السيئة التي يرتكبها الفاسقون ، يعبر عنها بالتجارة ، ويعلن للناس بأن ما يقومون به من أعمال خير أو شر في حياتهم هي أشبه ما تكون بالمعاملات والصفقات التي تتم في سوق الدنيا حيث أن بعض هذه الصفقات رابحة وبعضها خاسرة .

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾^(٣).

﴿ بِشَسْمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾^(٤).

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ، المجلد ١٧ . صفحة ١٦٦ .

(٢) تحف العقول ، صفحة ٤٨٣ .

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٠٧ .

(٤) سورة البقرة ، الآية : ٩٠ .

متاع السعادة والشقاء :

في سوق الدنيا بضاعة التوحيد والشرك والكفر والإيمان والعدل والفسق كثيرة، وبشكل عام فإن متاع السعادة والشقاء كثير في هذه الدنيا وإن الناس منهمكون في البيع والشراء في هذه السوق . فمن الناس من يشتري الكفر والشرك والفسق ومنهم من يشتري التوحيد والإيمان والعدل .

تجارة ليس فيها خسارة ولا زوال :

وفي هذا المجال يقول القرآن الكريم : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴾^(١) .

وحول المتعاملين في سوق الدنيا من المنافقين والذين لا يؤمنون بالله يقول القرآن الكريم :

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهَدْيِ فَمَا رِبْحَتِ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾^(٢)

سماسة متاع الإيمان :

سماسة متاع الإيمان والفضيلة في سوق الدنيا هم الأنبياء الذين يدعون الناس إلى طريق الحقيقة والصالح والخير . والشياطين هم سماسرة الكفر والإرتداد عن دين الله وهم يسوقون الناس نحو الرذائل والمعاصي والذنوب من خلال إثارة الشهوات والغرائز : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ﴾^(٣) .

طول الأمل أو مصيدة الشيطان :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدَوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ

(١) سورة فاطر ، الآية : ٢٩ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ١٦ .

(٣) سورة الصف ، الآيتان : ١٠ و ١١ .

سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ﴿١﴾ إن عمر الإنسان الذي هو رأس ماله النقدي في سوق الدنيا ، محدود وله أجل معيّن . ومعظم الناس يتخذون السنّة كوحدة لحساب العمر وهم يقيسون فترة حياتهم وحياة الآخرين بالسنين ولكن الإمام علي عليه السلام اعتبر اليوم هو وحدة لقياس عمر الإنسان وفترة حياته في الدنيا حيث يقول عليه السلام :

حساب العمر على أساس الأيام :

« إِنَّمَا أَنْتَ عَدَدُ أَيَّامٍ فَكُلُّ يَوْمٍ يَمُضِي عَلَيْكَ يَمُضِي بِبَعْضِكَ » ﴿٢﴾ .

قلنا إن عمر الإنسان يحسب على أساس السنين أما بالنسبة لله (سبحانه وتعالى) فإن عمر الإنسان يحسب بالساعات والدقائق بل وباللحظات : ﴿ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴾ ﴿٣﴾ .

في هذه الآية المباركة الله (سبحانه وتعالى) يطمئن الرسول ﷺ ويقول له : لا تعجل في تعذيب المعاندين حيث لم يبق من عمرهم إلا الشيء القليل ونحن نعلم كم بقي من أعمارهم وحساب ذلك عندنا .

حساب عمر الإنسان بعدد الأنفاس :

عن عبد الأعلى قال : قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴾ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « مَا هُوَ عِنْدَكَ » قُلْتُ : عَدْدُ الْأَيَّامِ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « إِنَّ الْأَبَاءَ وَالْأُمَّهَاتِ يُحْصُونَ ذَلِكَ ، لَا وَلَكِنَّهُ عَدْدُ الْأَنْفَاسِ » ﴿٤﴾ .

الميزانية الختامية وحساب الأرباح والخسائر :

الشركة التجارية تؤسس برأس مال ضخمة ولمدة ثلاثين عاماً (مثلاً) . ووفقاً

(١) سورة محمد ، آية : ٢٥ .

(٢) فهرست غرر الحكم وثمر الكلم : صفحة ٣٧١ .

(٣) سورة مريم ، آية : ٨٤ .

(٤) الكافي ، المجلد ٣ ، صفحة ٢٥٩ .

للنظام الداخلي للشركة فإن المؤسسين يبدأون بنشاط واسع حيث ينجزون في كل عام آلاف المعاملات ويعقدون آلاف الصفقات الصغيرة والكبيرة، وفي نهاية العام يضع المحاسبون في الشركة الميزانية الختامية وحساب الأرباح والخسائر . وإذا كان مؤسسو الشركة أشخاصاً متمرسين مطلعين على القضايا التجارية فإنهم يدرسون تلك المعاملات والصفقات التي حققت لهم خسائر خلال العام، ويبدلون جهدهم لكي لا تتكرر مثل هذه الخسائر في السنوات القادمة . أمّا إذا كان أصحاب الشركة أشخاصاً مغفلين غير متمرسين فإنهم لا يعبأون ولا يهتمون بالخسائر التي لحقت بالشركة ويواصلون معاملاتهم وصفقاتهم الخاسرة . وتنتهي مدة الشركة ويُعد قسم الحسابات الميزانية الأخيرة ، وبعدها يعلن حلّ الشركة . إذن فإن الميزانية الختامية وحساب الأرباح والخسائر يظهران مدى نجاح أو فشل الشركة في أعمالها التجارية على مدى ثلاثين عاماً من عمرها . فإذا كانت الأرباح كبيرة أو على الأقل تزيد عن الخسائر فهذا يظهر بأن نشاط الشركة خلال الثلاثين عاماً كان ممتازاً أو جيداً على الأقل . وإذا أظهرت الميزانية الختامية وجود خسائر كبيرة أو إذا كانت الخسائر أكثر من الأرباح فإن هذا يثبت بأن نشاط الشركة على مدى ثلاثين عاماً من عمرها كان سيئاً للغاية أو سيئاً نسبياً .

على أية حال فإن الميزانية الختامية للشركة هي بالنسبة لأصحاب الشركة والمساهمين فيها معيار لأرباح الشركة أو خسائرها ، بحيث تُظهر هذه الميزانية مدى الأرباح أو الخسائر التي حققها أصحاب الشركة والمساهمين فيها من خلال العمليات والصفقات التجارية التي قاموا بها على مدى ثلاثين عاماً .

إن تشغيل ثروة العمر في سوق الدنيا والقيام بأعمال الخير والأعمال التي تؤدي إلى سعادة الإنسان في الآخرة أو القيام بأعمال الشر وممارسة السيئات ، يمكن تشبيهه بعملية استثمار رأس المال النقدي في الشركة التجارية والقيام بعمليات أو صفقات تجارية على مدى ثلاثين عاماً من عمر الشركة المذكورة . سواء حققت هذه الصفقات التجارية أرباحاً أو خسائر . فكما أن الأرباح أو الخسائر التي يحققها أصحاب الأسهم في الشركة بعد حلّها ترتبط بمجمل الأعمال

والنشاطات التجارية للشركة، وما إذا كانت هذه الأعمال التجارية قد حققت أرباحاً أو خسائر، كذلك فإن سعادة أو شقاء الأفراد في نهاية حياتهم يعتمد على الأعمال التي قاموا بها خلال فترة حياتهم في هذه الدنيا وما إذا كانت هذه الأعمال قد حققت لهم السعادة أو الشقاء .

حقيقة السعادة والشقاء :

عن علي عليه السلام قال : « إِنَّ حَقِيقَةَ السَّعَادَةِ أَنْ يُخْتَمَ لِلْمَرْءِ عَمَلُهُ بِالسَّعَادَةِ وَإِنَّ حَقِيقَةَ الشَّقَاءِ أَنْ يُخْتَمَ لِلْمَرْءِ عَمَلُهُ بِالشَّقَاءِ » .^(١)

الأشخاص المتقون الصالحون يهتمون كثيراً بمسألة أن يختتم عملهم بالسعادة وأن ينالوا حسن العاقبة، وهم يسألون الله (عز وجل) أن ينقضي عمرهم في سعادة وسلامة .

يوسف (ع) يطلب من الله حسن العاقبة :

« يوسف عليه السلام يخاطب ربه فيقول » :

﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ .^(٢)

سؤال علي (ع) وجواب الرسول (ص) :

كان رسول الله ﷺ يتحدث على المنبر في شهر رمضان المبارك ويستعرض النعم ومجالات الرحمة الإلهية في هذا الشهر، فقام علي عليه السلام وسأل الرسول ﷺ سؤالاً، فأجابه الرسول علي سؤاله وأخبره كذلك بأنه سيقتل في شهر رمضان وهو في الصلاة . قال أمير المؤمنين : « فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَذَلِكَ فِي سَلَامَةٍ مِنْ دِينِي » فقال ﷺ : « فِي سَلَامَةٍ مِنْ دِينِكَ » .^(٣)

(١) معاني الأخبار، صفحة ٣٤٥ .

(٢) سورة يوسف : الآية : ١٠١ .

(٣) عيون أخبار الرضا، المجلد ١، صفحة ٢٩٧ .

قال رسول الله ﷺ : « لا يزال المؤمن خائفاً من سوء العاقبة لا يتقن الوصول إلى رضوان الله حتى يكون وقت نزع روحه وظهور ملك الموت له » (١).

تجاهل حقوق الناس :

هناك أشخاص يعيشون في المجتمع بصدق وإخلاص وصلاح ومن المفروض أن يكونوا في عداد الصالحين المتقين ولكنهم وفي أواخر أيام حياتهم يتجاهلون ويستهيئون بأموال وحقوق الناس ، ومع أنهم يعرفون بأنهم مدينون لأشخاص كثيرين فهم لا يذكرون هذه الديون وأسماء الدائنين في وصيتهم ولا يتطرقون إلى مسألة أداء ديونهم ، وبهذا فهم يضيعون عملياً حقوق الآخرين من أصحاب الحق . وكذلك رغم أن هؤلاء يعرفون أن البعض من أقاربهم وأرحامهم فقراء لا يملكون شيئاً ، فإنهم لا يصلون أرحامهم ولا يوصون لهم بشيء من أموالهم ، وبالتالي فإن هؤلاء يعتبرون من أصحاب جهنم نتيجة هذه التصرفات والأعمال السيئة ، ويغلق في النهاية ملف حياتهم في هذه الدنيا وهم في تعاسة وشقاء .

الذين يصحون من غفلتهم في الأيام الأخيرة من حياتهم :

وعلى عكس هؤلاء هناك أشخاص لم يراعوا الحرام والحلال واستولوا على أموال الناس بطريقة غير مشروعة وانتهكوا حقوقهم وأكلوا أموالهم بالباطل وذلك من منطلق حبهم الشديد للمال والثروة وتكديسها طوال حياتهم . هؤلاء من المفترض أن يكونوا من عداد الأشقياء السيئين غير الصالحين ولكنهم وفي أواخر أيام حياتهم يعودون إلى رشدهم ويصحون من غفلتهم ويندمون على ما صدر منهم من أعمال سيئة ، فيبادرون إلى تسجيل ما بذمتهم من ديون للآخرين في وصيتهم ويطلبون بإلحاح - وبشكل جازم - من أوصيائهم الأمينين الذين يتولون

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ، المجلد ٣ ، صفحة ١٤٠ .

تنفيذ وصيتهم من بعدهم ، أداء كل ما بذمتهم من ديون . وبهذا فإن هؤلاء ينضمون إلى قافلة أصحاب الجنة ويغلق ملفهم بسعادة وهناء .

عن النبي ﷺ : « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ سَبْعِينَ سَنَةً فَيُحْيِفُ فِي وَصِيَّتِهِ فَيُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ . وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ سَبْعِينَ سَنَةً فَيُعَدِّلُ فِي وَصِيَّتِهِ فَيُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ » (١) .

إذن فكما أن معيار الربح والخسارة بالنسبة للشركات التجارية هو الميزانية الختامية التي توضع في نهاية عمر الشركة ويتبين على أساسها مقدار ما حققته الشركة من أرباح أو خسائر خلال فترة نشاطها التجاري ، كذلك فإن معيار سعادة أو شقاء الإنسان هو طبيعة الأعمال التي قام بها الإنسان طوال فترة حياته في الدنيا وحتى لحظة موته . فالشركة التجارية التي ذكرناها قامت على مدى ثلاثين عاماً من وجودها وإنشائها بآلاف المعاملات والصفقات التجارية النافعة والضارة (الرابعة والخاسرة) وقام المحاسبون في الشركة بتسجيل جميع هذه الصفقات بالعشرات في الدفاتر والسجلات ، ولكن عندما يحين وقت حل الشركة فإن قسم الحسابات يقوم بتلخيص مجمل النشاطات التجارية على مدى ثلاثين عاماً في صفحة واحدة أو في عدة أسطر، وهو ما يطلق عليه اسم الميزانية التي تقدم للمساهمين الذين يطلعون على حصيلة نشاطات الشركة وما حققته من أرباح وخسائر على مدى ثلاثين عاماً بمجرد أن يلقوا نظرة واحدة إلى تلك الميزانية .

لحظة الموت والإِطلاع على نتيجة الأعمال

والإنسان المكلف يقوم على مدى عشرات السنين من عمره بآلاف الأعمال الحسنة والسيئة، حيث يقوم الملكان الكاتبان (واسمهما رقيب وعتيد) (٢)

(١) سفينة البحار ، للشيخ عباس القمي ، المجلد ٢ ، (مادة وصي) . صفحة ٢٥٩ .

(٢) المترجم .

بتسجيل هذه الأعمال في صحيفة أعمال الشخص ، وفي لحظة الموت تعرض على الشخص المحتضر صحيفة أعماله كاملة . أي أن كل إنسان في نهاية عمره ولدى انتهاء فترة تعامله في سوق دنياه ، يرى قائمة أعماله ويطلع على أوضاعه حسنة كانت أو سيئة، ويحيط علماً بالأرباح والخسائر التي حققها من خلال المعاملات التي أجراها في حياته ، ورأس ماله الذي استخدمه في هذه المعاملات التجارية هو عُمره وهو - بالتالي - سرعان ما يعرف ما إذا كان من أهل الثواب أو من أهل العقاب والعذاب، وهذه المسألة وردت في الآيات القرآنية والروايات والأحاديث .

المحتضر يرى صحيفة أعماله :

مَا مِنْ مَيِّتٍ يَمُوتُ حَتَّى يَتَرَأَى لَهُ مَلَكَانِ الْكَاتِبَانِ عَمَلَهُ فَإِنْ كَانَ مَطِيعاً قَالَا لَهُ جَزَاكَ اللَّهُ عَنَّا خَيْرًا فَرُبُّ مَجْلِسٍ صِدْقٍ أَجْلَسْتَنَا وَعَمَلٍ صَالِحٍ قَدْ أَحْضَرْتَنَا وَإِنْ كَانَ فَاجِراً قَالَا : لَأَجْزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا فَرُبُّ مَجْلِسٍ سَوْءٍ قَدْ أَجْلَسْتَنَا وَعَمَلٍ غَيْرِ صَالِحٍ قَدْ أَحْضَرْتَنَا وَكَلَامٍ قَبِيحٍ قَدْ أَسْمَعْتَنَا^(١) .

وفي الحديث : « مَنْ مَاتَ فَقَدْ قَامَتْ قِيَامَتُهُ »^(٢) .

بالطبع فإن المقصود بالقيامة في هذا الحديث النبوي الشريف ليس القيامة الكبرى التي يجتمع فيها الخلائق جميعاً من الأولين والآخرين ، بل المقصود من القيامة هنا في هذا الحديث هو القيامة الصغرى الخاصة بكل فرد يموت ، أي إن كل إنسان يموت يحين موعد حسابه وتقوم قيامته الصغرى وعندها يتبين ما إذا كان هذا الشخص من الصالحين الأبرار أو من المذنبين الأشرار .

(١) بحار الأنوار ، المجلد ٣ ، صفحة ١٣٦ .

(٢) بحار الأنوار ، المجلد ٣ ، صفحة ١٣٦ .

المسافة التي تفصل بين الإنسان وبين الجنة أو النار :

عن علي عليه السلام قال : « وما بين أحدكم وبين الجنة أو النار إلا الموت أن ينزل به »^(١).

الإنسان العادي عندما يفقد عزيزاً له فإنه يذرف الدموع ويحزن ويتألم ، وبكاؤه هذا ليس من أجل عزيزه المتوفى والمصير الذي ينتظره في عالم ما بعد الموت ، بل يبكي على حاله لأنه فقد محبوبه ووقع في مصيبة فراقه . أما الأفراد المؤمنون من ذوي الرؤية الواضحة فعندما يموت لهم عزيز فإنهم يفكرون في المتوفى قبل أن يفكروا في المصيبة التي حلت بهم والحزن الذي ألم بهم ، فهم يقلقون ويتأثرون من أجله لأنهم يعلمون أن قيامته الصغرى قد قامت لحظة موته ، وأن المسافة التي تفصل بينه وبين جهنم أو الجنة قد زالت ولكنهم لا يعلمون ماذا سيكون عليه وضع هذا المتوفى في عالم بعد الموت ، وهل شملته الرحمة والعناية الإلهية أم لا ، وهل هو في نعيم يتمتع بالرحمة والنعم الإلهية أم إنه ممن غضب الله عليهم ، وبالتالي فهو من أهل العذاب والنقمة والسخط الإلهي .

كلام أبي ذر عند وفاة ابنه :

لَمَّا مَاتَ ذَرِّ بْنِ أَبِي ذَرٍّ مَسَحَ أَبُو ذَرٍّ الْقَبْرَ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ : رَحِمَكَ اللَّهُ يَا ذَرُّ وَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ بِي بَارَأً وَلَقَدْ قُبِضْتُ وَإِنِّي عَلَيْكَ لَرَاضٍ . أما والله ما بي فُقدك وما عليّ من غضاضة وما لي إلى أحدٍ سوى الله من حاجة ولولا هول المظلم لسرّني أن أكون مكانك ولقد شغلني الحزن لك عن الحزن عليك والله ما بكيتُ لك وَلَكِنْ بَكَيْتُ عَلَيْكَ فَلَيْتَ شَعْرِي مَاذَا قُلْتُ وَمَاذَا قِيلَ لَكَ ثُمَّ قَالَ : «اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ وَهَبْتُ لَكَ مَا افترضت عليه من حقّي فهبْ له ما افترضت عليه من حقك فأنت أَحقُّ بالجود منّي »^(٢).

(١) نهج البلاغة ، خطبة ٦٣ .

(٢) الكافي ، المجلد ٣ ، صفحة ٢٥٠ .

كل إنسان عندما يموت يطلع فوراً على وضعه وما إذا كان من أهل الجنة والسعادة أو من أهل النار والشقاء والعذاب . وعلى هذا الأساس فإن الشخص الكافر والمذنب الذي أمضى عمره وحياته في هذه الدنيا بالجهل والغفلة (واتباع الشهوات وأهواء النفس الأمارة بالسوء) يشعر بالخطر منذ اللحظة الأولى التي يغادر فيها الدنيا ويندم على ماضيه ولسان حاله يقول :

الطلب المستحيل :

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمٍ يُعْثُونَ ﴾^(١)

المعاملات التي تنمي وتربي الشخصية الإنسانية :

إن السلع التي تشتريها وتتعامل بها الشركات التجارية والتجار وتدفع ثمنها بالعملة المتداولة في البلاد ، تختلف من جهات عديدة عن متاع الدنيا الذي يتعامل به الناس ليس بالعملة العادية بل يدفعون ثمنه نقداً من أعمارهم . فالهدف من المعاملات التجارية هو المكسب أو الربح المادي ، فالتاجر يفرح عندما يحقق هدفه ويحني ربحاً من صفقة معينة ، كما أنه يغتم ويحزن إذا حقق خسارة لم يكن يتوقعها . وعلى أية حال فإن هذا الفرح أو الإكتئاب والحزن الذي يصيب الإنسان في التعامل التجاري هو مؤقت فسرعان ما ينسى هذا التاجر فرحه أو حزنه ، أمّا المعاملات التي تتم في سوق الدنيا اعتماداً على رأس مال العمر (أي إن الإنسان يدفع يدخل سوق الدنيا بائعاً أو مشترياً ومعه رأس مال عمره)^(٢) ، فهي ليست كذلك ، لأن هذا التعامل الذي يبني ويصنع شخصية الإنسان ، هذا التعامل يعتبر مصيرياً بالنسبة للمتعاملين ، ذلك أنه يحدّد مصيرهم وموقعهم المستقبلي (في عالم الآخرة) ، حيث أنهم - وعندما ينتهي حسابهم في

(١) سورة المؤمنون ، الآيتان ٩٩ و ١٠٠ .

(٢) المترجم .

الآخرة - يوضعون إمّا في خانة الصالحين الفائزين الذي يتمتعون حينذاك بالأرباح الخالدة لتلك المعاملات التي قاموا بها في الدنيا . وهذه الأرباح الخالدة تتمثل بالثواب والأجر الإلهي الأبدي ، وإمّا إنهم يوضعون في خانة الأشرار الأشقياء حيث يجنون نتائج معاملاتهم تلك عذاباً إلهياً أبدياً . وهنا يقول الشاعر ما معناه : إن كل شخص يموت بطريقة تتفق وطريقة حياته في الدنيا ، فالموت هو على شاكلة الإنسان وهو كالمرآة التي تعكس حقيقة الإنسان إذا كان حسناً فهي تعكس حسناته وإذا كان سيئاً فهي تعكس سيئاته . فالشخص الجميل المظهر عندما ينظر في المرآة فإنه يرى شيئاً جميلاً . أما الزنجي الأسود عندما ينظر في المرآة فإنه يرى شيئاً أسود . فيا من تخاف وتهرب من الموت ، الحقيقة أنك تهرب من نفسك فالقبيح هو وجهك وليس الموت . إن روحك هي كالشجرة والموت كالأوراق ، فهذه الشجرة إذا كانت جيدة أو غير جيدة فهي منك ونمت من وجودك . وكذلك الحال بالنسبة لباطنك إذا كان حسناً أو سيئاً فأنت السبب في ذلك .

التدقيق في الصفقات المالية :

إن التدقيق في الحسابات المالية والإطلاع على طبيعة المعاملات والصفقات التجارية يعتبر أمراً ضرورياً ولازماً لجميع المؤسسات والشركات التجارية ، لأن مثل هذا التدقيق يتيح لمدير الشركة أو المؤسسة الإطلاع على سياسة الشركة على الصعيد التجاري والمالي ، سواء كانت هذه السياسة صحيحة أو خاطئة ، كما يمكنه من معرفة حجم الأرباح والخسائر التي حققتها الشركة من خلال معاملاتها التجارية . فإذا رأى مدير الشركة على ضوء ذلك بأن الوضع سيء وغير جيد فإن بإمكانه أن يضع أسساً جديدة لسياسة الشركة في المستقبل ويتخذ قرارات مفيدة وبناءة تخدم سياسة الشركة المالية . على أن التدقيق في حساب رأس مال العمر والاطلاع على المعاملات التي تتم في سوق الدنيا ، هو أيضاً واجب محتم وضروري يجب الإلتزام به ، فالإنسان من خلال محاسبة النفس بإمكانه أن يطلع على أخلاقه وتصرفاته ويعرف بالتالي ما إذا كان عمره

ينقضي في المسير والطريق الصحيح أم لا . فإذا كان قد أمضى عمره في الطريق القويم فإنه ينال السمو المعنوي الذي هو نتيجة تلك المعاملات الخيرة والحسنة التي أجراها خلال حياته ، أو بالعكس ينال الضرر والخسران ويسير في طريق السقوط والانحطاط الذي هو جزاء ما قام به من معاملات سيئة وغير صالحة في حياته التي قضاها في ارتكاب المعاصي والسيئات .

محاسبة النفس :

إن الإسلام يوجب على كل مسلم أن يبادر إلى محاسبة نفسه ، كما أوصى الأئمة عليهم السلام شيعتهم ومحبيهم من خلال الأحاديث المروية عنهم ، بمحاسبة أنفسهم لكي يطلعوا على عيوبهم ونقاط ضعفهم ويبادروا بالتالي إلى إصلاح أنفسهم والتخلص من تلك العيوب قبل أن يفاجئهم الموت ويحين أجلهم وتفوتهم الفرصة ، حيث ستولى حينئذ ملائكة الله محاكمتهم والتدقيق في حسابهم أمام محكمة العدل الإلهي .

وصايا النبي (ص) لأبي ذر الغفاري :

عن أبي ذر في وصية النبي ﷺ أنه قال : « يا أبا ذر حاسب نفسك قبل أن تحاسب فإنه أهون لحسابك غداً ، وزن نفسك قبل أن توزن وتجهز للعرض الأكبر يوم تعرض لا تخفى على الله خافية » ، إلى أن قال : « يا أبا ذر لا يكون الرجل من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة الشريك شريكه فيعلم من أين مطعمه ومن أين مشربه ومن أين ملبسه أين حلال أو من حرام . يا أبا ذر من لم يبال من أين اكتسب المال لم يبال الله من أين أدخله النار » (١) .

محاسبة النفس مربحة ونافعة :

عن علي عليه السلام قال : « من حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها خسر » (٢) .

(١) وسائل الشيعة، كتاب الجهاد ، باب وجوب محاسبة النفس . صفحة ٦٢ .

(٢) نهج البلاغة ، الكلمة ٢٠٨ .

فالتجار والشركات التجارية غالباً ما يراجعون حساباتهم مرة في كل عام حيث يستخرجون أرباحهم وخسائرهم على مدى العام ، وبالطبع فإن هذه الطريقة مناسبة للوقوف على وضع المؤسسات المالية وتحديد الأرباح والخسائر الناتجة عن العمليات التجارية . أمّا بالنسبة لمراجعة حسابات ومعاملات الإنسان في هذه الدنيا حيث يتعامل بعمره ، فإن المراجعة مرة واحدة في العام بل وحتى في الشهر أو في كل اسبوع لا تكفي ولا يمكنها تأمين سعادة الإنسان وتحديد الأرباح والخسائر بشكل واضح وكما يجب ، لأن مصير الإنسان في الدنيا والآخرة يتوقف على كيفية تعامله في الدنيا وما قام به من أعمال فيها .

محاسبة النفس في كل يوم :

إن الذين يريدون الوصول إلى السعادة الأبدية ويريدون أن يعيشوا كإنسان عليهم أن يحاسبوا أنفسهم مرتين في كل يوم ، وأن ينتبهوا إلى الأعمال السيئة التي ارتكبوها في حياتهم ويقارنوا بدقة بين فوائدها وأضرارها .

وقد وردت روايات وأحاديث كثيرة عن الرسول ﷺ والأئمة عليهم السلام ، حول محاسبة النفس تدعو كلها المسلمين للعمل بهذا الواجب الإنساني المقدس .

ذكر الله عشيّة وصباحاً :

عن النبي ﷺ قال : « لَذِكْرِ اللَّهِ بِالْغَدْوِ وَالْأَصَالِ خَيْرٌ مِنْ حَطَمِ السُّيُوفِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَعْنِي مَنْ ذَكَرَ اللَّهَ بِالْغَدْوِ تَذَكَّرَ مَا كَانَ مِنْهُ فِي لَيْلَةٍ مِنْ سُوءِ عَمَلِهِ وَاسْتَغْفَرَ اللَّهَ وَتَابَ إِلَيْهِ انْتَشَرَ وَقَدْ حُطَّتْ سَيِّئَاتُهُ وَغُفِرَتْ ذُنُوبُهُ . وَمَنْ ذَكَرَ اللَّهَ بِالْأَصَالِ وَهِيَ الْعَشِيَّاتُ وَرَاجَعَ نَفْسَهُ فِيمَا كَانَ مِنْهُ يَوْمَهُ ذَلِكَ مِنْ سَرَفِهِ عَلَى نَفْسِهِ وَإِضَاعَتِهِ لِأَمْرِ رَبِّهِ فَذَكَرَ اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ اللَّهَ تَعَالَى وَأَنَابَ رَاحَ إِلَى أَهْلِهِ وَقَدْ غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ » (١) .

(١) وسائل الشيعة كتاب الجهاد باب وجوب محاسبة النفس ص ٦٢ .

محاسبة النفس وتجنب الذل :

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : « يا بْنَ جَنْدَبٍ ^(١) حقُّ على كُلِّ مسلمٍ يَعْرِفُنَا أَنْ يَعْرِضَ عَمَلَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ عَلَى نَفْسِهِ فَيَكُونَ مُحَاسِبَ نَفْسِهِ ، فَإِنْ رَأَى حَسَنَةً اسْتَزَادَ مِنْهَا وَإِنْ رَأَى سَيِّئَةً اسْتَغْفَرَ مِنْهَا لِئَلَّا يَخْزَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ » ^(٢) .

عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال : « لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُحَاسِبْ نَفْسَهُ كُلَّ يَوْمٍ » ^(٣) . إن الذي يحاسب نفسه في كل يوم بواقعية وبدقة متناهية ، ويحدد أعماله الحسنة وأعماله السيئة ويزيد من أعماله الحسنة ويستغفر لما صدر عنه من سيئات ، فإنه في الحقيقة بعمله هذا قد اطلع على حسابه يوم القيامة ، وكما جاء في الحديث الشريف : فإن مثل هذا الإنسان لا يُحاسب مرة أخرى يوم القيامة .

التخلص من حساب يوم القيامة :

« مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا لَمْ يُحَاسِبْهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » ^(٤) .

« الكثير من الناس اعتادوا القيام بتمارين رياضية قبل وبعد النوم ، فحبذا لو صرفوا عدة دقائق من وقتهم لتنمية نشاطاتهم الأخلاقية والفكرية والروحية فإن ذلك له تأثير كبير في سمو وتنامي الشعور الإنساني لدى الأفراد . كما يمكننا في الوقت ذاته تقوية وتنمية العقل والإرادة وذلك عن طريق التفكير يومياً حول الأسلوب الذي علينا اتباعه في أعمالنا اليومية والسعي لاتباع منهج معين ومحدد بشكل

(١) عبد الله بن جندب (المترجم) .

(٢) تحف العقول للشيخ الحراني ، صفحة ٣٠١ .

(٣) الكافي ، المجلد ٢ ، صفحة ٤٥٣ .

(٤) المفردات في غريب القرآن ، للراغب الإصفهاني مادة (حسب) صفحة ١١٧ .

دقيق وبهذا ينشأ مجال أو مدى مجهول في أعماق الفرد بحيث يرى الفرد نفسه على حقيقتها . على أن نجاحنا في تطبيق وتنفيذ قوانين الحياة اليومية يعتمد على مدى الارتياح أو عدم الارتياح النفسي الذي نشعر به في أعماقنا . وكما أن التاجر ينظم بدقة حساب مصاريفه وإيراداته وكذلك العالم الذي يدقق ويراجع وينظم ملاحظاته العلمية وما توصل إليه من تجارب على الصعيد العلمي ، فإن كل فرد سواء كان فقيراً أو غنياً شاباً أو شيخاً عالماً أو جاهلاً يجب عليه في كل يوم أن يبحث عن حسناته وسيئاته التي قام بها على مدى اليوم وعليه أن يسجل بشكل خاص تلك الأعمال التي قام بها والتي أوجدت في داخله فرحاً أو حزناً وقلقاً واضطراباً أو هدوءاً وارتياحاً وحقدًا أو محبة للآخرين من أصدقائه ولبقية الناس . إن تطبيق وتنفيذ هذه الأساليب بدقة وتأنٍ وصبر من شأنه لوحده أن يحدث تغييراً في تصرفات الفرد ونفسيته»^(١).

بعض الاختلافات بين الإنسان والحيوان:

هناك الكثير من الحيوانات والموجودات البرية والبحرية في هذا العالم تعيش فوق هذه الكرة الأرضية وفقاً لقوانين الخلقة الإلهية ، وهذه الحيوانات والكائنات الحية تعمل على إرضاء وإشباع غرائزها وفقاً لبرنامج الخلقة وتواصل حياتها الطبيعية، دون أن تكون هناك مسألة رأس مال العمر وسوق التعامل الدنيوي والمعاملات المربحة والخاسرة ، حيث أن الحديث عن هذه الأمور يتعلق بالإنسان فقط ، لأن الحيوانات خلقت ببعد واحد أي البعد الحيواني فقط وهي مرغمة على أن تكون حيواناً على الدوام . والحيوان في جميع شؤون حياته ونشاطاته اليومية كالحصول على الغذاء وبناء المأوى والسكن وطريقة تربيته لأطفاله والحفاظ على حياته والدفاع عن نفسه في مواجهة العدو وسائر شؤونه

(١) راه ورسم زندگي ، صفحه ١١٧ .

المعيشية ، إنما يسترشد بالغريزة التي أودعها الله في وجوده وكيانه وهذه الغريزة هي التي ترشد الحيوان إلى الطريق الصحيح للحياة . ونظراً لأن الحيوان مضطر لإطاعة غرائزه فهو مجبر على تنفيذ التوجيهات والتعليمات الغريزية بحذافيرها ، ولا يمكنه أن يتجاوز حدود تلك التوجيهات الصادرة عن الغريزة . والحيوان لم يمنح حق الاختيار وحرية التصرف ليعمل وفق رغبته وإرادته ، فالطريق أو الأسلوب الذي يبدو له جيداً ونافعاً هو ذلك الطريق أو الأسلوب الذي تحدده غريزته الكامنة في داخله .

الإنسان مخلوق ذو بعدين :

أما الإنسان فإنه خلق ببعدين ، فمن جهة تربطه بالحيوانات صفات مشتركة ومتشابهة كحب الذات وحب الحياة والشهوة والغضب والشعور بالجوع والعطش وكذلك النوم والاستيقاظ والسلامة والمرض والقوة والضعف ، كما أن الإنسان والحيوان كلاهما يمران بمرحلة الطفولة والشباب والشيخوخة والموت . ولكن الإنسان من جهة أخرى يتمتع بصفات خاصة به موجودة ومخلوقة في ذاته ، كقوة العقل والذكاء الزائد والمعرفة الفطرية والقيم الوجدانية والأخلاقية والميول الإنسانية السامية وحرية الإرادة والتصرف وحق الاختيار وقوة الإبداع والقدرة الخلاقة والكفاءة للوصول إلى منتهى الكمال .

الحرية هي رأسمال ثمين :

الإنسان العاقل ليس فقط ليس سجيناً في إطار غرائزه كالحيوانات ، بل إنه وبفضل حرية التصرف والاختيار التي منحها الله له يستطيع (إذا أراد ذلك) أن يكبح جماح غرائزه ويتمرد عليها ويختار طريقاً آخر يرتأيه ويريده هو ويتعارض مع الطريق أو النهج الذي ترتأيه غريزته وترغب به . وهذه الحرية في التصرف والاختيار هي بمثابة ثروة ونعمة قيمة من بين تلك الثروات والنعم الكثيرة التي اختص الله بها الإنسان ومتمعه بها لكي يستفيد منها ويستخدمها عند الضرورة من أجل إحياء القيم المعنوية في وجوده والتخلق بمكارم الأخلاق، ويمهد بذلك

لنفسه للوصول إلى أعلى درجات السمو والتكامل الإنساني .

مثال : غريزة حب الذات وحب الحياة تجعل الإنسان كالحيوان يبادر إلى المحافظة على حياته وحماية نفسه ، ولكن الإيمان بالله يدعو الإنسان إلى إعلاء كلمة الحق وإقامة العدل وإنقاذ البشر من الضلال والظلم والجهاد والإستشهاد في سبيله ، والشخص المؤمن يكبح جماح غريزة حب الذات ويتعدى عن مغريات الدنيا ويذهب لإستقبال الموت بكل رغبة وشوق حيث يصل من خلال ذلك إلى أعلى درجات الكمال والسعادة والفلاح .

قمع الغريزة الجنسية والإلتزام بالتقوى :

غريزة الشهوة الجنسية الجامحة تقود الشباب نحو الفساد والإباحية ، ولكن في المقابل نرى أن قوة الإيمان بالله والشعور بواجب إطاعة الأوامر الإلهية تحث الشاب وتدعوه إلى كبح جماح غريزته ، وعدم الإنزلاق نحو الأعمال المنافية للعفة والفساد والإنفلات الجنسي ، وتقديم رضى الله على رضى النفس الأمارة بالسوء ، وهذا ما يجعله يتمتع بنعمة التقوى والسيطرة على أهواء النفس .

الهيمنة على الكرة الأرضية :

والأمر الملفت للإنتباه في هذا المجال هو أن البعد الإنساني في البشر جعله متفوقاً على سائر المخلوقات ليس فقط من ناحية السمو الروحي والتكامل المعنوي ، بل ومن الناحية المادية أيضاً ، بحيث أصبح الإنسان سيّد هذه الأرض التي أصبحت بكل ما تحتويه من كائنات وثروات ومصادر طبيعية وكل ما تنتجه الطبيعة ، خاضعة للإنسان ومسخرة له . وقد استطاع الإنسان وعلى مدى قرون طويلة ونظراً لما يتمتع به من قدرات وإمكانات وقوى إبداعية خلّاقة ، استطاع وبشكل تدريجي أن يغير من الأوضاع والظروف السائدة على هذه الأرض ، وأن يستخرج المعادن ويستثمر المناجم الموجودة في باطن الأرض ويستخدم طاقاته الكامنة وبالتالي يحسّن من ظروفه وأوضاعه المعيشية ويجسّد ويبرز كفاءاته ومؤهلاته وقواه الخلّاقة . لقد عاشت الحيوانات فوق هذه الأرض عصوراً طويلة واقتاتت على ما ولّدتّه الطبيعة وأنتجته ، ولكنها لم ولن تتمكن أبداً من إحداث أدنى تغيير أو تبديل

في الأوضاع والظروف السائدة على هذه الأرض ، أي بعبارة أخرى أن الحيوانات لم تتمكن من تغيير وجه الأرض ومعالمها وأن الإنسان وحده مؤهل للقيام بهذا العمل . فالإنسان وجد في أفضل وأرقى تنظيم وزود بقدرات إنسانية قيمة ولهذا السبب فإن الله أوكل هذه المهمة إلى الإنسان والقرآن الكريم يشير إلى هذه النقطة ويطلب من الإنسان استخدام كافة قدراته لإعمار الأرض وبنائها .

الإنسان وإعمار الأرض :

﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾^(١).

إن أخلاق وطباع الحيوانات هي كأعمالها وتصرفاتها ذات بعد واحد هو البعد الغريزي الفطري ، وكل حيوان من الحيوانات في هذا العالم مرغم على الإمثال لأوامر وتعليمات الغريزة الفطرية وذلك وفقاً لسنة الخليفة ، وهذا الأمر تقتضيه طبيعة الحيوان .

وهناك بيت من الشعر الفارسي يقول ما معناه : إن العقرب لا يلدغ بدافع من الحق بل إن طبيعة خلقة تقتضي ذلك .

أما الإنسان الذي يمتلك ثروة قيمة تتمثل في عقله وحرية فرغم أن الله (سبحانه وتعالى) وضع في داخله الغرائز المختلفة ، ولكنه (عز وجل) لم يحصره ويسجنه في إطار هذه الغرائز بل ترك له حرية الاختيار بين الأخلاق الإنسانية أو الصفات والطباع الحيوانية . وعلى هذا الأساس فهو يستطيع كالبهائم والحيوانات المفترسة أن يستسلم - دون قيد أو شرط - لغرائزه وشهواته ويسحق ويقمع بالتالي القيم الإنسانية الموجودة في ذاته ، ويستطيع أيضاً أن يميل إلى القيم الإنسانية وفي نفس الوقت يعمل على إرضاء وإشباع غرائزه الحيوانية ضمن الأطر الصحيحة والإلتزام بالقيم والإعتبارات الإنسانية المقدسة . على أن حرية الاختيار هذه والتي تتطلب من الإنسان أن يوظف رأسمال عمره في سوق الدنيا

(١) سورة هود ، الآية : ٦١ .

ويتعامل في هذا السوق تعامل خير أو شر ، يختص بها الإنسان وحده دون سائر الحيوانات والمخلوقات الأخرى .

الإنسان يستطيع أن يكون أفضل من الملائكة وأسوأ من الحيوان :

عن عبد الله بن سنان قال سألت أبا عبد الله الصادق عليه السلام فقلت : الملائكة أفضل أم بنو آدم فقال عليه السلام : « قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام : إن الله ركب في الملائكة عقلاً بلا شهوة ، وركب في البهائم شهوة بلا عقل ، وركب في بني آدم كليهما ، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة ومن غلبت شهوته عقله فهو شر من البهائم » (١) .

هناك أبيات من الشعر الفارسي بهذا الخصوص يقول فيها الشاعر ما معناه (٢) .

لقد خلق الله (تعالى) الناس في هذا العالم بثلاثة أشكال أو أنواع ، فهناك من أعطاهم الله العقل والعلم فهؤلاء هم كالملائكة لا يعرفون سوى عبادة الله والسجود له ، ولا يعرفون الحرص والطمع ولا يسيطر عليهم هوى النفس الأمارة بالسوء فهم نور مطلق يحيون بحب الله . والمجموعة الثانية من البشر ليس عندهم شيء من العلم ، فهؤلاء كالحيوانات لا يرون سوى العلف والإصطبل ولا يعرفون شيئاً لا عن الشقاء ولا عن الشرف والكرامة . والمجموعة الثالثة من الناس هم البشر العاديون نصفهم ملائكة ونصفهم الآخر حيوان ، نصفهم الملائكة يقودهم نحو السمو والعلو الإنساني ونصفهم الحيواني يجرهم نحو الانحطاط والسقوط . وهؤلاء يتجاذبهم تياران : تيار العقل وتيار الشهوة والنفس الأمارة بالسوء ، فإذا تغلب تيار العقل على تيار الشهوة أصبح هؤلاء أفضل من الملائكة ، أما إذا تغلب تيار الشهوة والنفس الأمارة بالسوء على تيار العقل أصبحوا أسوأ من الحيوانات .

(١) وسائل الشيعة ، المجلد ٤ ، كتاب الجهاد ، باب وجوب غلبة العقل ، صفحة ٢٩ .

(٢) هذه الأبيات الشعرية موجودة في الصفحة ٢٠٨ من كتاب المعاد باللغة الفارسية .

الإنسان فيه مزيج من العقل والشهوة :

إن وجود الإنسان يحتوي على مزيج من المادة والمعنى ومن الجسم والروح ومن العقل والشهوة ، وبصورة عامة فإن الإنسان كائن يحتوي على القيم الإنسانية والصفات والطباع الحيوانية، وكل واحد من هذين الجانبين أو البعدين المتناقضين يريد أن يسلك طريقه الطبيعي الفطري، وبالتالي يريد أن يستفيد من رأسمال العمر وفرصة الحياة لصالحه، ليتمكن من الفوز على الجانب الآخر المضاد له . فالعقل والوجدان الأخلاقي اللذان يعتبران رمزاً للإنسان الحقيقي وقاعدة للسّم والتكامل المعنوي، يريدان جرّ الإنسان إلى طريق التقوى والفضيلة ويجعلان من الفرد إنساناً واقعياً يتمتع بالمزايا والصفات الإنسانية .

أمّا الأهواء النفسية والشهوات التي ترمز إلى الحيونة فهي تسعى للسيطرة على العقل والوجدان، وإزالة العقبات التي تقف في طريق الغرائز وأهواء النفس وبالتالي إفساح المجال أمام الرغبات والنوازع والميول الحيوانية البهيمية، وذلك بهدف جعل الفرد كالحيوان يصول ويجول لإشباع شهواته وغرائزه دون وازع أو رادع . فالإنسان وحده حرّ في اختيار طريق الإنسانية أو طريق الحيونة وبالتالي فهو يستطيع أن يختار أحد هذين السبيلين .

﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾^(١).

العقل نائم وأهواء النفس يقظة :

وهنا لا بأس أن نشير إلى هذه النقطة وهي أن الغرائز والشهوات عند الإنسان هي أقوى بكثير من العقل والوجدان الأخلاقي . على أن الأئمة عليهم السلام يبيّنون الفرق بين العقل والغريزة أو الأهواء النفسية ويؤكدون بأن العقل في مواجهة هوى النفس هو كالإنسان النائم في مواجهة الإنسان اليقظ .

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : « الهوى يقظان والعقل نائم »^(٢) .

(١) سورة الإنسان ، الآية : ٣ .

(٢) بحار الأنوار ، المجلد ١٧ ، صفحة ١٨١ .

وبالطبع فإن هذا التشبيه يوضح حالة العقل وهوى النفس لدى الأشخاص المعتدلين العاديين ، أما بالنسبة للذين فقدوا توازنهم وأصبحوا خاضعين تماماً لغرائزهم وعَبْدَة لأهوائهم النفسية ، فإن عقولهم تجاوزت مرحلة النوم والسبات وأصبحت اسيرة أهوائهم النفسية .

العقل مغلوب والهوى غالب :

عن علي عليه السلام قال : « وَكَمْ مِنْ عَقْلٍ أَسِيرٍ عِنْدَ هَوًى أَمِيرٍ »^(١) .
النقطة التي يجب أن تؤخذ دائماً بنظر الاعتبار في مجال تربية النفس والوصول إلى الكمال الإنساني هي أن الله كلف البشر ووضع على عاتقه مهمة إحياء الأرض وإعمارها حيث قال (تعالى) في القرآن الكريم : ﴿ ... وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾^(٢) أي أن الله (عزّ وجلّ) طلب من الإنسان أن يَعْمُرَ الأرض .

التعاليم الإلهية وإحياء القيم الإنسانية :

أما في مجال بناء الذات وتربية النفس فقد دعا القرآن الكريم الناس للاستجابة لدعوة الله والأنبياء والالتزام بالتعاليم الإلهية وتعاليم الأنبياء فيما يختص بإحياء وتنمية القيم الإنسانية ، حيث يقول الله (سبحانه وتعالى) : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَاعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾^(٣) .

وهنا يتبادر إلى الذهن السؤال التالي وهو هل أن هناك فرق بين إحياء الأرض واستخراج الثروات والمعادن من باطنها وبين إحياء القيم الإنسانية عند الناس الذين يعيشون على هذه الأرض، واكتشاف استعداداتهم وطاقاتهم الكامنة؟ حيث أن الله (عزّ وجلّ) يطلب مباشرة من البشر إحياء الأرض وإعمارها، أما بالنسبة لإحياء القيم الإنسانية فإن الله يطلب من البشر الاستجابة لدعوته ودعوة أنبيائه ؟ .

الجواب : نعم . فهناك فرق أو اختلاف أساسي وعميق بين الإثنين

نستعرضه فيما يلي :

(١) نهج البلاغة ، الكلمة ٢٠٢ .

(٢) راجع سورة هود ، الآية : ٦١ .

(٣) سورة الأنفال ، الآية : ٢٤ .

إحياء الأرض في عصر الزراعة :

إحياء الأرض في عصر الزراعة يتمثل في قيام الناس بحفر القنوات واستخراج المياه الجوفية والسيطرة على مياه الأنهر واستغلالها من خلال بناء السدود، وذلك ليتمكنوا من ري الأراضي الزراعية بشكل جيد وعلى نطاق واسع وبالتالي تنمية الزراعة والبستنة ، كما يعني إحياء الأرض إلى جانب كل ذلك الإهتمام بتربية المواشي وإنشاء البيوت والمباني القروية قريباً من المزارع ليسكن فيها المزارعون، وكذلك إنشاء الطرق المعبدة لربط القرى بالمدن من أجل سهولة إيصال المحاصيل والمنتجات الزراعية إلى الأسواق الإستهلاكية وبذلك تتسع حركة البيع والشراء وتتحقق الرفاهية لسكان المدن والأرياف .

إحياء الأرض في عصر التقدم الصناعي :

أما في العصر الحاضر أي عصر الآلة والمكننة فإن مفهوم إحياء الأرض اتخذ مفهوماً أوسع بحيث بات يعني إلى جانب الزراعة وتربية المواشي ، الصناعات الآلية التي أحدثت ثورة عظيمة على هذه الأرض . فنتيجة للتقدم العلمي الذي تحقّق خلال القرون الثلاثة الأخيرة ولاسيّما على صعيد العلوم الطبيعية استطاع الإنسان وإلى حدّ بعيد أن يكتشف الأسرار الغامضة في هذا العالم ويصل إلى أعماق الأرض، حيث الثروات الطبيعية ويتعرف على خصائص المواد البسيطة والمركبة، وبالتالي يوجد هذه الحضارة أو ما يسمّى بالثورة الصناعية . لقد تمكن الإنسان ومن خلال السفن العملاقة والطائرات الضخمة والقطارات والسيارات التي صنعها ، من السيطرة على البر والبحر والجو وبالتالي تغيير وجه العالم . كما استطاع الإنسان - وبعد اكتشافه الطاقة الكهربائية - أن يربط مناطق العالم ببعضها البعض بواسطة أجهزة الراديو والتلغراف والهاتف (وكذلك أجهزة الهاتف المصور والتلكس والفاكس وغيرها من أجهزة الإتصال المختلفة)^(١)، وقد أدّى اكتشاف الكهرباء إلى استخدامه في إضاءة الليالي الظلماء وجعلها كالنهار تشعّ بالنور والضياء .

(١) المترجم .

البشر واعداد الكرة الترابية (الأرض) :

وإذا كان الله (عز وجل) قد أوكل إلى الإنسان مهمة إحياء الكرة الأرضية وإعمارها وطلب منه القيام بهذا الأمر ، فلأن الإنسان مؤهل للقيام بهذه المهمة ويتمتع بالكفاءة اللازمة ، ذلك لأن الكرة الأرضية بكل ما فيها وما عليها هي عبارة عن أجسام مادية وقد استطاع الإنسان العاقل الذكي لوحده ومن خلال الدراسات والتحقيقات والبحوث التي أجراها معتمداً على سلاح العلم والمعرفة هذا الإنسان استطاع التعرف - إلى حدٍ ما - على هذه الأجسام المادية ، والإطلاع على كثير من تأثيراتها وخصائصها ، ويضعها بالتالي تحت تصرف الناس للاستفادة منها الأمر الذي أوجد على مدى القرون الثلاثة الأخيرة مثل هذا التطور المدهش وهذا التقدم المحير للعقول الذي شهدته الكرة الأرضية في مجال البناء والإعمار. وإذا ما واصلت الأجيال المقاومة السير على هذا الدرب وتمكنت من خلال البحوث والدراسات من اكتشاف المزيد من أسرار الطبيعة فإنها بالتأكيد ستحقق نجاحات جديدة من شأنها أن تزيد من وتيرة البناء والإعمار فوق هذه الأرض .

الإنسان هذا الكائن المجهول والغامض :

إن مسألة تربية الإنسان وإحياء وترويض القيم الإنسانية هي ليست كإحياء الأرض وإعمارها، وإن البشر لوحده وعن طريق العقل والذكاء والعلم والتجربة لا يمكنه القيام بهذه المهمة (مهمة تربية الإنسان وإحياء وترسيخ القيم الإنسانية في المجتمعات)^(١) بكفاءة وجدارة ، لأن هذا الأمر يتطلب - كشرط أساسي - المعرفة بالإنسان، وإنسان اليوم رغم كل ما حققه من تطور وتقدم في مختلف المجالات العلمية فإنه لم يتمكن حتى الآن من التعرف على ذاته والإطلاع على أعماق وجوده، ولو كان الإنسان معروفاً لما اختلفت وجهات نظر علماء الأمس واليوم في العالم حول الإنسان وطبيعته، حتى وصل هذا الاختلاف في وجهات النظر إلى

(١) المترجم .

درجة التضاد أو التعارض الفكري بينهم . الإنسان الذي لا يعرف نفسه لا يستطيع أن يدرك مفهوم الإنسانية ويحيط علماً بجميع أبعاده الوجودية ، كما أنه لا يدري كيف يجعل من نفسه إنساناً ويمتّع نفسه بالحياة الإنسانية .

المعرفة النسبية بالبعد الحيواني في الإنسان :

هناك نقطة يجب أن نتنبه إليها خلال بحثنا لموضوع تربية الإنسان وهي أننا عندما نقول إن حقيقة الإنسان وطبيعته لا زالت مجهولة وغير معروفة فإننا لا نعني بذلك الجانب الحيواني أو البشري في الإنسان، حيث أن هذا البعد الحيواني في الإنسان ونظراً لضرورة المحافظة على سلامة الجسم ومكافحة ومعالجة الأمراض الجسدية والنفسية حظي منذ قرون مضت ولا زال يحظى حتى الآن باهتمام العلماء الذين حققوا تقدماً كبيراً على هذا الصعيد ، بحيث تمكن هؤلاء العلماء - وإلى حدٍ بعيد - من معرفة طبيعة عمل ووظيفة كل عضو من أعضاء الجسم مثل الكلى والكبد والقلب والأوعية الدموية والشرابين والدماغ والأعصاب والمعدة والأمعاء وسائر الأعضاء الأخرى سواء من داخل الجسم أو خارجه . وعلى هذا الأساس فقد نشأ علم الطب بفرعيه : الطب الجسدي والطب النفسي بالنسبة للإنسان، والطب البيطري (الذي يعنى بالأمراض التي تصيب الحيوانات ولا سيما المواشي ومعالجتها)^(١) . أمّا الجانب الذي لا يزال مجهولاً حتى يومنا هذا واختلف العلماء في الماضي والحاضر بشأنه ، فهو الجانب الذي يتعلق بمكانة الإنسان وجوهره أي :

١ - هل أن الإنسان هو ظاهرة مادية بحتة أم أنه مزيج من المادة ووجود ما وراء المادة ؟ .

هل أن التفكير والعقل هو أمر مادي :

٢ - هل أن الفكر والتفكير والعقل الذي يميز الإنسان عن غيره من

(١) المترجم .

الحيوانات والكائنات الحية ويعتبر معياراً ومقياساً لعظمته وسمّوه ، هو أمر مادي فقط وكما يتصور بعض الماديين بأن علاقة الفكر بدماع الإنسان هي كعلاقة المرارة بالكبد أم أن أساس الفكر والعقل في الإنسان يرتبط بالروح المجردة، وأن الدماغ هو أداة تربط الروح غير المادية بعالم المادة ؟ .

٣ - هل أن الوجدان أو الضمير الإنساني هو قوة مستقلة لها أصالتها خلقها الله (عز وجل) بإرادته ومشيتته الحكيمة في داخل كل إنسان لتقوده إلى طريق الفضيلة والتقوى أو إلى طريق الرذيلة والفساد ، أم أن الوجدان أو الضمير الإنساني هو عبارة عن مجموعة من النواهي التي لقنها الوالدان والمربون للفرد منذ أيام الطفولة ، حيث تراكت وتركزت في ضميره شيئاً فشيئاً وأصبحت تسمى بالوجدان أو الضمير ؟ .

٤ - هل أن الرغبة في الحياة الأبدية الخالدة والموجودة بصورة طبيعية وفطرية في باطن كل إنسان هل هي رغبة لا طائل منها ولا فائدة ، أم أنها تشير إلى حقيقة أن الإنسان قدّر الله له أن يعيش حياة خالدة، وأن هذه الرغبة الفطرية في الحياة الخالدة والموجودة في داخل كل إنسان مستمدة ونابعة من هذا التقدير أو القضاء الإلهي ؟ .

الإنسان والحياة بعد الموت :

٥ - هل أن وجود الإنسان ينتهي بأكمله بمجرد الموت أم أن الموت ينهي فقط البعد أو الجانب المادي في الإنسان أي الحياة الجسدية للإنسان ؟ أما روحه التي هي معيار للجانب المعنوي في الإنسان ومؤشر لشخصيته الإنسانية فهي تبقى حية خالدة وتنتقل من هذه الدنيا إلى عالم آخر ؟ .

وهناك تساؤلات كثيرة من هذا القبيل حول الإنسان ، حيث أن كل واحد من هذه التساؤلات يؤكد لنا بأننا لم نفهم الإنسان ونعرفه حق المعرفة ولا نعرف شيئاً عن حقيقته ، ولهذا فنحن لا نستطيع أن جعل من أنفسنا إنساناً بكل معنى الكلمة وأن نحیی بالتالي إنسانيتنا .

تربية الذات في ظل الإسلام :

من أجل أن نرتبي أنفسنا ونصل إلى الأهداف الإنسانية السامية يجب علينا أن نتفهم ونستوعب تماماً تعاليم الله الذي هو خالق الإنسان، تلك التعاليم أبلغها إلى البشر عن طريق أنبيائه المرسلين . ويجب علينا أيضاً أن نطبق هذه التعاليم الإلهية لكي نصبح بشراً وإنساناً بكل معنى الكلمة، وهذا هو مفهوم الآية الكريمة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ (١) .

مهمة الأنبياء :

إن الأنبياء الذين بعثوا من قبل الله خلال العصور والقرون الماضية وقاموا بمهمة دعوة الناس إلى عبادة الله ، كانوا مكلفين بتربية الناس وجعلهم يعيشون على مستوى الإنسان بكل ما لهذه الكلمة من معنى ، وتنمية الكفاءات والمواهب الإنسانية العالية في داخلهم وتعليمهم مكارم الأخلاق والسيطرة على أهوائهم النفسية وشهواتهم بقوة الإيمان في نفوسهم والحد من غرائزهم وإبعادهم عن الميول والرغبات الحيوانية التي تتعارض مع القيم الإنسانية . ومع الأسف فإن هناك في كل عصر وزمان نفر قليل ممن استجابوا لدعوة الأنبياء وآمنوا برسالاتهم وسلكوا طريق الإنسانية . أما غالبية الناس فإنهم تجاهلوا دعوة الأنبياء وبقوا يعيشون كالحيوانات حيث انقضت أعمارهم وهم أسرى أهوائهم وغرائزهم يقدمون الطاعة لشهواتهم وميولهم النفسية وبالتالي ماتوا ميتة الحيوان .

إن معظم الناس في عالم اليوم المتحضر الذي يشهد كل هذا التقدم والتطور على صعيد العلوم المختلفة وعلى صعيد الصناعة والإنتاج الصناعي ، لا يتمتعون بحياة إنسانية سعيدة واعتادوا على الحياة الحيوانية إلى درجة أنهم لا يستطيعون حتى مجرد تصور الحياة التي تليق بمنزلة الإنسان ومقامه وشأنه .

(١) « يحييكم » أي يجعلكم تعيشون كإنسان تتمتعون بحياة إنسانية (. . . . المترجم) .

وفيما يلي نستعرض أحد موارد الاختلاف التي يجب أن تكون مشهورة بين حياة الإنسان وحياة الحيوان .

قانون الغاب وسيطرة مبدأ القوة :

في عالم الحيوان ومحيط الغابة ، مبدأ القوة هو الحاكم وهو الذي يفصل بمخالبه الحادة وأسنانه القاطعة في النزاعات التي تقع بين الحيوانات المفترسة وغيرها . أما في إطار البيئة الإنسانية المقدسة فإن العقل والضمير هو الذي يجب أن يحكم ويسود والقانون والعدالة هما اللذان يجب أن يحكما ويفضا النزاعات التي تحدث بين أفراد البشر ، ولكن مما يبعث على الأسف أن المنطق الإنساني والقيم الإنسانية لم يعد لها وجود في الدول الكبرى في هذا العصر، كما لو أن الحياة الإنسانية أصبحت غير ممكنة ولم يعد بالإمكان تطبيق العدالة والقانون في هذا العالم . ولهذا نرى الدول الكبرى - ومن أجل الحفاظ على الأمن في العالم^(١) - تدخل في دوامة سباق التسلح، وهي تسعى بكل إمكانياتها لامتلاك أسلحة أكثر فتكاً بأرواح البشر وقنابل أكثر قدرة على تدمير ما بنته يد الإنسان ، لتتمكن من القضاء على الدول المنافسة لها وقتل وإبادة شعوبها ، وذلك بدل أن تعتمد على الإيمان وتستخدم منطق العقل وتحكيم الضمير والوجدان والحق والانصاف والفضيلة والشرف الإنساني . والطريف في الأمر أن هذه الدول تتباهى بامتلاكها مثل هذه الأسلحة وتعتبر ذلك معياراً للتفوق .

الإنحطاط الخلقي في عصر الثورة الصناعية :

إن الانحطاط الخلقي والممارسات اللاإنسانية الذي يمسك بخناق البشرية في هذا العصر الذي يعتبر عصر التقدم العلمي والثورة الصناعية، قد جعل البشر يسير باتجاه الهاوية والتفسخ والانحلال إلى درجة أن الدول الكبرى في العالم أصبحت تقف في مواجهة بعضها البعض كالوحوش الكاسرة، وأصبحت هذه

(١) بل من أجل الحفاظ على مصالحها وهيمنتها الإستعمارية والإستمرار في نهب ثروات الشعوب .

الدول تهدد بعضها البعض لا بالمخالب والأسنان، بل بالصواريخ العابرة للقارات والرؤوس النووية والذرية وباتت كل دولة من هذه الدول الكبرى تهدد الأخرى بالدمار والموت .

سباق التسلّح في عالم اليوم :

«بلغت نفقات التسلّح في العالم ٣٥٠ مليار دولار في العام الواحد . باريس : وكالة الأنباء الفرنسية . أصدر مركز الوثائق الخاصة بالحكومة الفرنسية تقريراً تضمن الأبعاد الخطيرة لسباق التسلّح في العالم . واستناداً إلى هذا التقرير الذي صدر قبل أيام من عقد الاجتماع الخاص للجمعية العامة للأمم المتحدة في نيويورك للبحث حول مسألة نزع السلاح في العالم ، فإن دول العالم تنفق سنوياً حوالي ٣٥٠ مليار دولار على التسلّح ، حيث أن أميركا والاتحاد السوفيتي والصين وفرنسا وبريطانيا وألمانيا الاتحادية تنفق لوحدها ٧٥٪ من المبلغ المذكور لإنتاج الأسلحة والنفقات العسكرية الأخرى». ويضيف التقرير المذكور: «أن قيمة مبيعات الأسلحة إلى دول العالم الثالث التي بلغت عام ١٩٧٠ حوالي ٢,٩ مليار دولار قفزت عام ١٩٧٦ إلى ٧,٣ مليار دولار ، كما أن حوالي ٦٠ مليون شخص في العالم يعملون في مصانع الأسلحة والصناعات التابعة لها» .

الصواريخ والرؤوس الذرية والنووية :

«كما أشار التقرير المذكور إلى النشاطات التكنولوجية التي تجري على صعيد إنتاج الأسلحة المتطورة وقال : لقد قامت الولايات المتحدة الأميركية بتزويد صواريخها العابرة للقارات وطائراتها الإستراتيجية بتسعة آلاف رأس نووي، وارتفع عدد هذه الرؤوس إلى ١٨٥٠٠ رأس نووي عام ١٩٨٥ . كما قام الإتحاد السوفيتي (السابق) بخطوة مماثلة فقام بتركيب ثلاثة آلاف رأس نووي على

صواريخه العابرة للقارات وطائراته الإستراتيجية، حيث ارتفع عدد هذه الرؤوس إلى ٩٥٠٠ رأس نووي عام ١٩٨٥، وهذا العدد من الرؤوس النووية يزيد بكثير عن حاجة البلدين العسكرية»^(١).

رغم أن معظم سكان العالم في عصرنا الحاضر قد تخلوا بشكل عملي عن طريق الإنسانية وأخذوا يميلون إلى أهواء النفس والرغبات والميول الحيوانية ويسبغون في طريق معوجة، ولكن عمل هذه الأكثرية المنحرفة لا يسقط المسؤولية عن الأقلية المؤمنة التي تبقى مسؤولة أمام الله وعليها أن تعمل بما يملية عليها واجبها وتكليفها الذي كلفها الله به .

السعي من أجل تربية النفس والسير في طريق الإنسانية :

هؤلاء المؤمنون عليهم أن يسعوا للوصول إلى أعلى مدارج الإنسانية وأن يستفيدوا من ثروة العمر القيمة والثمينة في تربية أنفسهم والتخلق بكمكارم الأخلاق والتحلي بالصفات والخصال الإنسانية لينالوا السعادة الأبدية، وعليهم أن يتذكروا دائماً بأن انحراف الضالين عن الطريق القويم لا يضر المؤمنين شيئاً ولا يحول بينهم وبين طريق الهداية ولا يقف حجر عثرة أمام فلاحهم وسعادتهم .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ .

الذي يريد أن يجعل من نفسه إنساناً بكل معنى الكلمة وأن يتمتع بالمزايا والصفات الإنسانية ، عليه أن يستفيد من أكبر وأعظم ثروة موجودة في داخله ألا وهي العقل، وأن يقبل به قائداً ومرشداً له وينفذ أوامره ويتجنب ما ينهى عنه وهذا هو بحد ذاته برنامج أوصى به الإسلام والأنبياء .

(١) صحيفة اطلاعات . العدد ١٥٦١٤ .

(٢) سورة المائدة ، الآية : ١٠٥ .

الإستفادة من توجيهات العقل :

عن النبي ﷺ قال : «استرشدوا العقل ترشدوا ولا تعصوه فتندموا»^(١) .

التمييز بين الطريق المستقيم والطريق المعوج :

عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال : «كفاك من عقلك ما أوضح لك سُبُلَ غِيِّكَ مِنْ رُشْدِكَ»^(٢) .

إن اتباع العقل والإسترشاد به يجعل الإنسان يعي ذاته ويعرف نفسه وهذا يمنح الإنسان نظرة واقعية تجعله يرى نفسه على طبيعتها وعلى الهيئة التي خلقها الله بها ويلمّ بالتالي بالجهة التي خلقت عليها بكافة الجوانب الظاهرية والباطنية والمادية والمعنوية والحيوانية والإنسانية لوجوده وكيانه الإنساني .

النتيجة التي يحصل عليها الإنسان من اتباعه لمنطق العقل :

إن اتباع منطق العقل يحث الإنسان على الاهتمام بجميع أبعاد وجوده والوصول إليها، وبالتالي وضعها في الطريق الصحيح الذي يجب أن تكون فيه لكي تصل إلى مرحلة الكمال التي تليق بها، وهذا هو معنى أن يصبح الفرد إنساناً ويكون إنساناً ويعيش كإنسان . والذين يتبعون سبيل العقل من أجل معرفة الذات والنفس ، هؤلاء لكي يتعرفوا على أنفسهم فإنهم يستخدمون قوة الفكر لديهم فيطلعون بالتالي على الثروات القيّمة المودعة في أعماق وجودهم، ويلمّون بالموهب اللامحدودة التي منحها الله لهم ويصابون بالدهشة لعظمة الإنسان ويقفون مبهورين أمام عظمة خلقة الإنسان، وبالتالي يرون أنفسهم أمام العشرات بل المئات من علامات الاستفهام والتعجب، وهم يرددون مع أنفسهم هذه الأبيات الشعرية التي أنشدتها أحد الشعراء العرفانيين حيث يقول ما معناه : إنني أفكر

(١) المستدرک ، المجلد ٢ ، صفحة ٢٨٦ (المستدرک في وسائل الشيعة) .

(٢) نهج البلاغة ، الكلمة ٤٢١ .

ليل نهار وأقول لنفسي: لماذا غافل أنا عن نفسي وذاتي؟ ، من أين أتيت إلى هذه الدنيا وما هو سبب مجيئي وإلى أين أذهب وماذا ستكون نهايتي؟ . إنني متعجب كثيراً وحائر ، إذ ما هو سبب خلقي في هذه الدنيا وما هو الهدف من ذلك؟ إنني طائر من روضة الملكوت ولست من عالم التراب هذا ، وهذا الطائر (ويقصد به الروح) لا يبقى في هذا القفص الجسماني سوى فترة قصيرة لا تتعدى الأيام القلائل . إنني لا يهدأ لي بال ولن أرتاح حتى تدلني على الطريق الذي يؤدي بي إلى مقري الأبدى ومنزلي الدائم ، فإنني لم آتي إلى الدنيا بمحض إرادتي لكي أغادرها بمحض إرادتي ، فالذي جاء بي إلى الدنيا هو الذي سيعود بي إلى موطني الأصلي (ويقصد به دار الآخرة) .

هؤلاء السعداء الذين يتفكرون ويتدبرون في خلق أنفسهم ينظرون إلى الإنسان بجميع أبعاده الوجودية ويهتمون ببعدهم المادي والمعنوي جنباً إلى جنب وفقاً لما تنص عليه التعاليم الإسلامية الإلهية . فهؤلاء في الوقت الذي يجتهدون فيه ويعملون لإدارة شؤون حياتهم الدنيوية وتأمين احتياجاتهم ومتطلباتهم المعيشية اليومية، فإنهم يعملون ويجاهدون أيضاً من أجل السمو الروحي والتكامل المعنوي وضمان سعادتهم في الآخرة . إلا أن هؤلاء يعتبرون التكامل المعنوي الذي هو معيار الإنسانية أهم من الجوانب المادية والحيوانية، ولهذا السبب فإن هؤلاء يتحملون عند الضرورة الصعوبات والفقر المادي الدنيوي ولكنهم لا يطيقون ولا يتحملون الفقر المعنوي .

الإنسان العاقل من وجهة نظر الإمام :

عن موسى بن جعفر عليه السلام قال : «يا هشامُ إنَّ العاقلَ رَضِيَ بالدُّونِ مِنَ الدُّنيا مع الحِكْمَةِ ولم يَرْضَ بالدُّونِ مِنَ الحِكْمَةِ مع الدُّنيا فَلِذَلِكَ رِبَحَتْ تجارتُهُمْ» (١) .

(١) تحف العقول للشيخ البحراني ، صفحة ٣٨٧ .

إن الطريق الذي تسلكه المدنية الصناعية في يومنا هذا وهو الطريق الذي استجاب له وسار فيه معظم سكان العالم بالقول والفعل يتعارض تماماً مع الطريق الذي يسلكه الإنسان العاقل بحكمة والذي بيّنه الإمام موسى بن جعفر عليه السلام لهشام^(١).

الطريق الذي تسلكه الأكثرية في عصر الحضارة الصناعية :

لقد استفاد الإنسان كثيراً في عصرنا الحاضر من قواه العقلية وذكائه وقدراته الخلاقة والمبدعة لإعمار الأرض وبنائها، وبذل جهوداً كبيرة وجبارة في سبيل تطوير وتحسين ظروف حياته المادية وإرضاء المزيد من شهواته وغرائزه الحيوانية وحقق بشكل عام نتائج باهرة على هذا الصعيد ، ولكنه لم يفكر في موضوع معرفة الإنسان وإحياء القيم الإنسانية ولم يهتم بمسألة تربية النفس وتنمية المكارم الأخلاقية . ولهذا السبب فبنفس القدر الذي أصبحت فيه حياة الناس في هذه الدنيا أكثر راحة وأصبح الناس يتمتعون بمزيد من الرفاهية والملذات الدنيوية على اختلاف أنواعها ، بنفس القدر تدهورت القيم المعنوية والجوانب الروحانية لدى الناس ، وأصبحت الحياة الإنسانية في خبر كان، حيث دخلت في عالم النسيان . أي بعبارة أخرى إن الجانب المادي والحيواني الذي يشكل نصف تكوين الإنسان في هذا العالم بات يحظى بالقسط الأكبر من الاهتمام والدعم، أما النصف الآخر من تركيبة الإنسان - ونعني به الجانب المعنوي والإنساني - فقد تم تجاهله ولم يعد يُحسب له حساب .

لقد شهد عصرنا الحاضر الذي هو عصر الحضارة أو الثورة الصناعية ، شهد تطوراً كبيراً على صعيد العلم والثقافة، حيث لم يعد هناك وجود للأمية في الدول الغربية وأصبح سكان القرى والأرياف يتمتعون بنعمة القراءة والكتابة كما

(١) هشام بن الحكم ، هو من العلماء الموالين لأهل البيت (عليهم السلام) وعاش في زمن الإمام موسى بن جعفر (عليهما السلام) (المترجم) .

أنشئت الجامعات في معظم المدن الكبيرة والصغيرة وتوافد عدد كبير من الشبان على هذه الجامعات لتلقي العلوم والدراسات العليا .

تفكير خاطيء وتصور باطل :

كان هناك في أوروبا وأميركا من يتصورون بأن التقدم العلمي من شأنه أن يغني سكان العالم عن الدين والإيمان بالله والتعاليم الإلهية ، وبذلك فقد حلت الكتب العلمية محل الكتب الدينية كما حلت المدارس والجامعات محل الكنائس والمساجد، وصار المعلمون والأساتذة في صفوف الدراسة يؤدون دور الروحانيين ورجال الدين . وهم يبررون ذلك على أساس أن الجهل هو الذي يقود الناس إلى المعاصي والفساد الأخلاقي ، وعندما يتثقف الناس يصبح عندهم وعي والأفراد الواعون لا يخومون حول الذنوب ولا يقتربون من المعاصي والفساد . ولكن الذين يتصورون مثل هذا التصور الخاطيء لا يعلمون بأنه ليست هناك أية علاقة بين تحصيل واكتساب العلوم الطبيعية وبين الامتناع عن الذنوب والمعاصي ، حيث أن ارتكاب الذنوب سببه الأهواء النفسية والغرائز الجامحة وليس باستطاعة الفيزياء والكيمياء وسائر العلوم الطبيعية الأخرى أن تسيطر على النفس الأمارة بالسوء وكبح جماح الغرائز البشرية ، حيث أن الإيمان بالله وحده هو الذي يستطيع أن يقوم بهذه المهمة ويتغلب على النفس الأمارة بالسوء والغرائز الحيوانية وبالتالي يحفظ الإنسان من المعاصي والذنوب والفساد .

حصيلة الإيمان وحصيلة العلم :

إن بإمكاننا الهيمنة على مصادر الثروة الطبيعية عن طريق قوة العلم وبإمكاننا السيطرة على هوى النفس الأمارة بالسوء عن طريق قوة الإيمان . وبقوة العلم نستطيع أن نلبي الحاجات والتطلعات المادية للبشر، وبقوة الإيمان نستطيع إرضاء وإشباع الميول والرغبات الإنسانية المعنوية السامية لدى البشر . والعلم بإمكانه أن يحسن ظروف المعيشة المادية للإنسان بينما الإيمان بالله يجعل الإنسان يتمتع بالقيم المعنوية العالية . والعلوم الطبيعية تلبي حاجات ومتطلبات

الحياة الدنيوية بينما الإيمان يلبي الاحتياجات المعنوية والروحانية للإنسان .

النتيجة التي نخلص إليها من هذا البحث :

ولسوء الحظ فإن التوازن بين الجسم والروح والمادة والمعنى قد اختل في عصرنا الحاضر - عصر الحضارة والثورة الصناعية - . وقد أدى السير على هذا النهج المختل اللامتعادل والمعارض للقطرة الإنسانية ، على مستوى العالم ، أدى إلى تفشي وانتشار الفساد والانحطاط الخلقي وبالتالي ازدياد عدد الجرائم بشكل ملحوظ في العالم . فالذين يقضون عُمرهم على هذا النحو لا يجنون شيئاً من معاملاتهم التي قاموا بها خلال حياتهم في سوق الدنيا ، لا يجنون سوى الخسران والضرر .

وخلاصة القول : أن الإنسان الذي يعيش في هذه الدنيا حياة حيوانية يختلف عن ذلك الإنسان الذي يعيش في هذه الدنيا حياة إنسانية . فالحياة الحيوانية تتأمن بالخبز والماء والاستراحة والنوم والصحة الجسدية وغيرها من الظروف الطبيعية التي تتطلبها الحياة المعيشية في هذه الدنيا .

أما الحياة الإنسانية فهي قائمة على أساس الوعي الذاتي ، ولكي نتحلى بالوعي علينا أن نستخدم العقل الذي هو حجة الله في داخلنا وندرس أنفسنا من النواحي المعنوية والروحانية ونهتم بما أودعه الله في داخلنا ، وبعدها نتعلم كيفية سلوك طريق بناء الذات وتربية النفس تربية إنسانية بكل معنى الكلمة من خلال الإستعانة بتوجيهات وتعاليم الأنبياء الذين هم حُجج الله علينا . كما علينا أن نستوعب التعاليم الإلهية ونطبقها لكي نحيا بذلك أنفسنا بالحياة الإنسانية ونصل إلى مرحلة الكمال التي تليق بالإنسان . إذن فالذين استخدموا عقولهم لمعرفة النفس وأصبحوا يتمتعون بالوعي الذاتي هؤلاء يحيون حياة إنسانية سواء كانوا مثقفين أو غير مثقفين . أما الذين لم يستعينوا بالعقل للوصول إلى معرفة أنفسهم وأنهم لم يكونوا يريدون معرفة أنفسهم فإنهم يعيشون حياة حيوانية وهم بالتالي بعيدون كل البعد عن الحياة الإنسانية .

عن علي عليه السلام قال : «من استحكمت لي فيه خصلة من خصال الخير
احتملت عليها واغتفرت فقد ما سواها ولا اغتفر فقد عقل ولا دين لأن مفارقة
الدين مفارقة الأمن فلا يتهنأ بحياة مع مخافة وفقد العقل فقد الحياة ولا يقاس
إلا بالأموات»^(١) .

(١) الكافي ، المجلد ١ ، صفحة ٢٧ .

المحاضرة السابعة

الإسلام واحترام الموتى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ * ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ﴾ (١).

دفن الموتى :

إن دفن أجساد الموتى هي من السنن القديمة جداً في تاريخ البشر ، فوجود المقابر القديمة في أماكن مختلفة من العالم وحتى بين القبائل المتوحشة يثبت حقيقة أن الشعوب المختلفة كانت تقوم بدفن موتاهما في إطار الطقوس والعادات والتقاليد الخاصة بها . ويشير القرآن الكريم إلى أن «قابيل» (ابن آدم) لما سوّلت له نفسه قتل أخيه هابيل لم يدر ما يصنع بجثته (لأن هذه هي أول مرة يقتل فيها ابن آدم) فجاء غرابان فأقبلا يتقاتلان حتى قتل أحدهما صاحبه ، ثم حفر الذي بقي على الأرض بمخالبه ودفن صاحبه ، وعندما رأى قابيل هذا المشهد قال لنفسه :

(١) سورة عبس ، الآيتان : ٢١ و ٢٢ .

تعلم الدفن من الغراب :

﴿ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوَاءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾ (١) .

قابيل يتعلم الدفن من الغراب :

رغم أن ابن آدم تعلم دفن أخيه من الغراب ولكن ظهور الغراب في تلك اللحظة لم يكن بطريق الصدفة، بل وكما جاء في بداية الآية فإن الله بعث هذا الطائر ليعلم ابن آدم كيف يدفن جسد أخيه ويطلعه على ما يجب عليه أن يفعله . لقد كان هناك في الماضي أناس يحرقون جثث موتاهم أو أن الميت نفسه كان يوصي بإحراق جثته بعد موته، ولا زال هناك في الوقت الحاضر أناس في الهند وفي أماكن أخرى من العالم يقومون بهذا العمل . على أن البعض يعتقدون بأن إحراق أجساد الموتى هو أفضل من دفنها من الناحية الصحية .

إحراق جثث الموتى :

ولكن هؤلاء لا يعلمون بأن هذا العمل يقضي على قسم من المواد والعناصر الحيوية الضرورية لتكوين جسم الإنسان، وإذا ما انتشرت ظاهرة إحراق الموتى في العالم بأسره فإن ذلك من شأنه أن يلحق أضراراً وخسائر لا تعوض بالثروة الطبيعية وبدورة الطبيعة . ولتوضيح هذه النقطة نقول : إنه في فصل الخريف تتساقط أوراق الأشجار في الغابات على الأرض، حيث تتفكك وتحلل هذه الأوراق بصورة تدريجية، وبذلك تعود العناصر والمواد الموجودة في هذه الأوراق، تعود ثانية إلى الأرض حيث تستفيد منها وتمتصها الأشجار ثانية بعد عدة سنوات لتصنع منها الأوراق والثمار . وإذا ما تمّ في كل عام إحراق هذه الأوراق المصفرة المتساقطة من أشجار الغابات والمزارع، فإن نسبة المواد والعناصر الضرورية لنمو النباتات والموجودة في داخل التربة تبدأ في الانخفاض

(١) سورة المائدة ، الآية : ٣١ .

حيث تبدأ الأشجار بالذبول، وسرعان ما تجف أشجار الغابات وتموت نتيجة النقص في المواد الغذائية .

المجوس وأجساد الموتى :

المجوس كانوا يشيدون لموتاهم مبانٍ خاصة تسمى (دخمة) وهذه المباني كانت تشيد إما تحت الأرض أو على شكل غرف مسقفة أو على شكل قلاع مسيجة بدون سقف أو إنها كانت تقام فوق التلال، وكانوا يصنعون مصطبات داخل هذه المباني توضع عليها جثث الموتى ، وكانوا يحتفظون بجثث الموتى لفترة من الوقت داخل الغرف المسقفة . أما الموتى الذين كانوا يوضعون داخل القلاع غير المسقفة فإن الطيور الجارحة (كالصقور والغربان وغيرها) كانت تهاجم هذه القلاع وتنهش لحوم الموتى في داخلها ، وأحياناً كانوا يشعلون النار داخل هذه القلاع ويحرقون الجثث التي بداخلها .

حرق الجثث :

« [دخمة] هو عبارة عن مكان معزول في داخل البيت كان الكفار من العجم يحتفظون فيه بموتاهم ، وفي كتاب « أوستا » يسمى هذا المكان [دخم] . وفي اللغة البهلوية يسمى [دخمك] أي المكان الذي يحرق فيه الموتى ، وأصل هذه الكلمة [دك] أي الحرق ، وكلمة « داغ » أي حار مأخوذة من هذه الكلمة . ولعل الإيرانيين القدماء كانوا يشتركون مع الهنود في هذه العادة أو التقليد . ويتضح من خلال كتاب « أوستا » نفسه أن الإيرانيين القدماء كانوا يحرقون جثث الموتى . ويشير الشاعر الملحمي الإيراني أبو القاسم الفردوسي إلى هذه العادة القديمة في أحد أبياته الشعرية التي يقول فيها ما معناه :

« كل واحد أوقد ناراً ، فواحد كان يقوم بربط حزمة من أغصان

الأشجار^(١) الجافة تمهيداً لإحراقها والآخر يقوم بإحراق الميت وإلقائه في النار .

وتشاهد نماذج من الـ [دخمة] داخل المقابر والمباني التي يعود تاريخها إلى عهد ملوك [الأخمينيين] ولاسيما الملك [داريوس الأول] وهي تشيّد في سفوح الجبال وتضم دهاليز وغرف منخفضة . كما يشاهد من خلال آثار [باسارغاد] و[نقش رستم]^(٢)^(٣) .

الأنبياء ودفن الموتى :

إن رضى الله الحكيم ومصلحة نظام الخلقة ونظام الوجود بأسره تقتضي دفن أجساد الموتى لكي تعود العناصر التي يتكون منها جسم الإنسان إلى دورة الطبيعة، وعلى هذا الأساس فإن جميع الأنبياء في مختلف العصور والحقب التاريخية تحدثوا فقط عن ضرورة دفن الموتى ولم يسمح أي منهم بإحراق جثث الموتى أو تركها في العراء أو في مكان مسيح لكي تنهشها الطيور الجارحة والكواسر والحيوانات المفترسة .

المجوس وعرب الجاهلية :

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : « العرب في الجاهلية كانت أقرب إلى الدين الحنفي من المجوس » إلى أن قال : « وكانت المجوس ترمي الموتى في الصحاري والنواويس والعرب تواربها في قبورها وتلجدها وكذلك السنة على الرسل » .

دفن الموتى مدعاة لرضى الله :

القرآن الكريم يعتبر دفن الموتى بأنه من الأمور التي تتم بإرادة الله ومشيئته

(١) [خسته]، هي كلمة فارسية قديمة تعني حزمة من أغصان الأشجار الجافة المعدة للحرق .

(٢) [باسارغاد] و[نقش رستم] هي مناطق أثرية قديمة تقع اليوم في مدينة شيراز بوسط إيران .

(٣) لغت نامه دهخدا . (دخمه) صفحة ٢٨٩ .

حيث نستنتج بأن دفن جثث الموتى هو أمر يريد به الله .

﴿ قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ * ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ * ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴾ .

تزيين الموتى بالذهب والحلي والمجوهرات :

والنقطة الملفتة للانتباه في هذا المجال هي أن بعض الناس على مرّ العصور والأزمان يقومون بأعمال وتصرفات غير صحيحة في مجال دفن الموتى ، فهم يقومون ولأسباب مختلفة كحبّ الشهرة والتظاهر وإظهار التفوق على الآخرين والمنافسة وغيرها من الأمور ، بدفن موتاهم بعد أن يلبسونهم أفخر وأرقى الثياب والملابس كما أن البعض يدفنون كميات من الذهب والمجوهرات كالخواتم والأساور وغيرها مع الموتى . وكان البعض يشترون لموتاهم أنواع الأساور الذهبية أو المطعمة بالمجوهرات والأحجار الكريمة والقلائد الثمينة وكانوا يلبسونها للموتى ويعلقونها في يد الميت أو في رقبته ويدفنونه بهذا الشكل ، وذلك بحجة احترام الموتى . وقد وصل هذا الأمر إلى أوجه وذروته في زمن فراعنة مصر وغيرهم من الملوك والحكام الجبابرة في العالم .

أجساد فراعنة مصر :

قبل عشرات السنين قرأت خبراً في إحدى الصحف يقول : لقد تمّ إثارة عمليات الحفر والتنقيب عن الآثار في مصر اكتشاف قبو بداخله جثة محنطة وعلى جدران القبو علقت صفائح من الذهب وإلى جانب الجثة تشاهد أشياء ثمينة من هذا القبيل ، كما عثر على تاج وعرش مرصعين بمختلف أنواع المجوهرات الثمينة ، كما عثر على ليرات ونقود ذهبية وفضية صغيرة وكبيرة وسيف ثمين قبضته وغمده مرصعين بالمجوهرات والأحجار الكريمة ، وشوهد إلى جانب الجثة كذلك خاتم وختم محفور عليه اسم صاحب الجثة وأشياء أخرى .

(١) سورة عَبَسَ ، الآيات : ١٧ إلى ٢٢ .

فرعون موسى في القبو:

وبعد التحقيق والبحث تبين أن صاحب الجثة المحنطة هو فرعون مصر الذي عاصر النبي موسى عليه السلام والمسكوكات الذهبية والفضية كان محفوراً عليها اسم فرعون مصر ، صفائح الذهب المعلقة على جدران القبو يبلغ وزنها مائتين وعشرة كيلوغرامات ، وقامت الحكومة المصرية بنقل الجثة الفرعونية المحنطة إلى المتحف ليشاهدها الجمهور كما سلمت التاج والعرش والأشياء الثمينة الأخرى إلى المتحف أيضاً حيث وضعت إلى جانب الجثة ، أما صفائح وألواح الذهب فإنها سلمت إلى خزانة الدولة ، وفرعون مصر الذي عاصر موسى عليه السلام غرق في مياه النيل وفي اللحظات الأخيرة عندما رأى نفسه أنه على وشك أن يغرق قال :

﴿ حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُوا إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (١) .

فجاءه النداء يا فرعون لقد عصيت ربك وطغيت في الأرض وعندما كان عليك أن تعود إلى رشدك وتؤمن بالله لم تفعل ذلك والآن تريد أن تؤمن بعد أن انقطعت بك السبل ولم يعد لك ملجأ ولا مأوى ، هذا الإيمان - وفي هذه اللحظة بالذات - ليس مقبولاً ولا يجدي لك نفعاً .

﴿ الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدْنِكَ لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً ﴾ (٢) .

نقل جثة فرعون إلى المتحف :

لقد أصبح فرعون هذا الإنسان الضعيف العاجز الذي ادعى الألوهية وقال أنا

(١) سورة يونس ، الآية : ٩٠ .

(٢) سورة يونس ، الآيتان : ٩١ و ٩٢ .

رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ، والذي انتشلت جثته من الماء ، أصبح عبرة لسكان عصره ، حيث أن جثته التي نقلت من القبو إلى المتحف جعلت الأجيال الحاضرة والأجيال التي ستأتي في المستقبل تعي وتدرك نفسها كما جعلت ملايين الأشخاص الذين زاروا المتحف المذكور أو الذين سيزورونه في المستقبل يستيقظون من سباتهم لدى مشاهدته حتى وإن كان هذا الإستيقاظ مؤقتاً . وقد قام أحد أدباء إيران بزيارة المتحف المصري ونظم أبياتاً شعرية وصف فيها ما شاهده . يقول هذا الأديب الشاعر في أبياته ما معناه :

لقد ذهبت إلى مصر ورأيت الآثار القديمة التاريخية ورأيت بعيني ما كنت قد سمعت به عن طريق القصص والروايات ، لقد قرأت في التاريخ كذا وكذا ولكن شاءت الأقدار أن أرى ما رأيت .

لقد شاهدت في منطقة الأهرام آثار العصور القديمة كما لو كنت شاهدت آثاراً حديثة ودولة فتية ، فمهما كان الماضي مخفياً في أعماق المستقبل فلا أخفي عليك باني قد رأيت في مصر ما كان يخفيه المستقبل .

رأيت عرشاً ورأيت حظاً تعيساً يسقط عن هذا العرش ، أنت رأيت ليرات ومجوهرات وأنا رأيت خاتماً لا اسم عليه ، أنت رأيت عيناً وأنا رأيت أعيناً مفتوحة من الطمع أعيناً لا تزال تطمع بالملك الخالد ، أنت رأيت طمع فرعون وأنا رأيت حاجة الحكيم ، أنت رأيت كنز الملك وثروته وأنا رأيت معاناة الفلاح وشقاءه وتعبه ، ومن بين كل هذه الآثار الحسنة والسيئة رأيت الإثنين معاً ، فقد رأيت علامات الإقتدار والقوة كما رأيت علامات الحرص والطمع الموروثة عن هؤلاء الملوك .

العمل اللامشروع :

إن دفن الميت بملابسه الفاخرة الثمينة وبذهبه ومجوهراته وحليّه هو عمل غير مشروع وممنوع في الإسلام ، سواء أكان هذا العمل بدافع من احترام

الميت وتكريمه أو بدافع من المنافسة والتظاهر من قبل ذوي المتوفى . وفي كلتا الحالتين الإسلام يعارض هذا العمل اللامنطقي الذي يعتبر بمثابة هدر للأموال وتضييعها . فالمسلمون يجب عليهم أن يحترموا جسد المسلم الميت كما يحترمون جسده وهو حيّ وعليهم كذلك أن يتجنبوا كل ما شأنه انتهاك حرمة الميت وإهانته .

الحدود التي وضعها الإسلام لاحترام الموتى :

ولكن لكي لا تصبح عملية تكريم الميت واحترامه ذريعة بأيدي ذويه فينتابهم شعور بالتفوق على الآخرين والتفاخر أمامهم يجعلهم يفرطون ويتمادون في تكريمه ، فإن الإسلام وضع حدوداً لتكريم الميت وفرض على المسلمين الإلتزام بهذه الحدود وعدم تجاوز حدود العقل والمصلحة الخاصة ومصلحة المجتمع . وهناك مجموعتان من الأحاديث والروايات المنقولة عن الرسول ﷺ والأئمة عليهم السلام فيما يتعلق بالشخص المسلم الذي يغادر هذه الدنيا . المجموعة الأولى من الأحاديث والروايات التي تشير في معظمها إلى ضرورة احترام جثة الميت والواجبات التي تقع على عاتق ذوي المتوفى وعلى عاتق الناس الآخرين لتغسيل الميت وتكفينه والصلاة عليه وتشييعه ودفنه . المجموعة الثانية من الأحاديث والروايات وهي حول سؤال القبر والضغط الذي يتعرض له الميت وبشكل عام أوضاع الميت وحالته في القبر . وتؤكد هذه الأحاديث بأن القبر إما أن يكون بالنسبة للميت روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر جهنم .

على أن المجموعة الأولى من الروايات والأحاديث هي روايات تكليفية أي أنها ترتبط بالأعمال التي يجب على الأشخاص المكلفين القيام بها كواجب ديني تجاه الشخص المتوفى . أما المجموعة الثانية فهي روايات اعتقادية ترتبط بالأحداث اللامشهودة واللامرئية التي تمر على الشخص المتوفى في عوالم الغيب (عوالم ما بعد الموت) وسوف نستعرض في هذا الفصل باختصار هاتين المجموعتين من الروايات والأحاديث .

الإسراع في تجهيز ودفن الميت :

إن أول احترام قرّره الإسلام لموتى المسلمين هو الإسراع في تجهيزهم^(١) ودفنهم لأن الميت إذا تأخر دفنه تتصاعد منه رائحة كريهة يتضايق منها الناس وتسبب اشمئزازهم وهذا بحد ذاته إهانة كبرى للميت المسلم . ولكي يتم الإسراع في دفن الميت فقد جعل المشرع الإسلامي عملية تغسيل وتكفين ودفن الميت واجباً وتكليفاً يقع ليس على عاتق ذوي المسلم المتوفى فحسب بل يقع على عاتق الجميع . وإذا ما قام بعض الأشخاص بهذا الواجب بالقدر اللازم وتعهدوا بتجهيز الميت، فإن التكليف يسقط عن باقي الناس (أي أن عملية تجهيز الميت تعتبر واجباً كفائياً إذا قام به أحد يسقط عن الباقيين)^(٢).

تغسيل وتكفين المتوفى :

الإحترام الآخر الذي قرره الشرع الإسلامي لجنازة المسلم واعتبره واجباً دينياً هو مسألة تغسيل وتكفين هذا المسلم الميت . إننا نلاحظ أن بعض الأسر الإسلامية تحتفظ في بيوتها بالقطط أو الطيور وتستضيفها بكل رغبة، ولكن عندما يموت الحيوان (القطّة أو الطير) فإن أفراد الأسرة قد يتأثرون لبضع دقائق، ولكنهم لا يحترمون جثة الحيوان الميت كما لا يتوقعون من الآخرين احترامها وبالتالي فهم يرمون جثة الحيوان الميت في برميل القمامة ، ولكن الأمر يختلف عندما يموت أحد أفراد الأسرة الذي عاش بين أفرادها سنين طويلة ، فنجد أن أفراد الأسرة لا يقفون متفرجين في هذه الحالة وكما هو الحال عند موت الحيوان ، بل إنهم يحترمون الميت ويتوقعون من سائر الأقارب والأصدقاء احترام فقيدهم المتوفى .

تشيع الجنازة :

على أن الإسلام يوافق تماماً على تكريم الميت المسلم واحترامه بالقدر

(١) التجهيز تعني هنا تغسيل الميت وتكفينه والصلاة عليه وتشيعه . (المترجم).

(٢) المترجم .

المعقول وفي الحدود المتعارفة، ولهذا فالإسلام يأمر بتغسيل الميت ثلاث مرات بعد تنظيفه وتطهيره حيث يتم في المرة الأولى تغسيله بالماء المخلوط بالسدر وفي المرة الثانية يتم تغسيله بماء الكافور وفي المرة الثالثة يغسل الميت بالماء العادي وحده، ومن ثم يكفن بعدة قطع نظيفة من القماش ويشيع حتى المكان الذي يدفن فيه وبالتالي يدفن وفقاً لما تنص عليه أحكام الشرع الإسلامي . وهذا التكريم والإحترام المعقول والبعيد عن التطرف والإفراط قرره الشرع الإسلامي لجميع المسلمين سواء كانوا من الفقراء أو الأثرياء، ومن النساء أو الرجال أو كانوا يعيشون في المدن أو في القرى أو في أي مكان آخر (على أن هذا الحكم الإسلامي يشمل حتى الجنين الذي يخرج من بطن أمه ميتاً، ففي هذه الحالة يعتبر كالشخص البالغ يجب تجهيزه وتغسيله ودفنه تماماً كما يفعل بالنسبة للكبار)^(١).

الغلو في احترام الموتى :

والإسلام لا يسمح بتجاوز هذا الحد المتعارف في احترام الموتى والغلو في تكريمهم، وذلك بدافع من حب التظاهر والتفاخر أو بدافع من الحب الشديد تجاه المتوفى، كأن يقوم ذوو الميت بدفن الذهب والحلي والمجوهرات مع الميت أو إلباسه ملابس ثمينة وفاخرة بدل الكفن ودفنه على هذه الحالة . والحقيقة أن الإسلام عندما أمر بتغسيل وتكفين الميت فهو أراد من جهة أن يحترم ويكرم المسلم حتى عند موته، كما أنه أراد من جهة أخرى أن يمنع أي غلو أو إفراط في هذا المجال مما يتعارض ومنطق العقل والمصلحة العامة . وأحياناً يكون فراق الميت صعباً على أبيه وأمه وزوجته وسائر أفراد أسرته وذلك بسبب تعلقهم الشديد به وحبهم له، إلى درجة أنهم يتمنون لو كانوا يقدرّون على الاحتفاظ بعزيمتهم المتوفى معهم إلى الأبد . ولكن نظام الخليقة يقتضي أن ينفصل الميت عن أهله وذويه الذين يجب عليهم أن يدفنوه رغماً عنهم وخلافاً لرغبتهم .

(١) المترجم .

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : « إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى تَطَوَّلَ عَلَى عِبَادِهِ بِثَلَاثٍ ، أَلْقَى عَلَيْهِمُ الرِّيحَ ^(١) بَعْدَ الرُّوحِ وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا دَفَنَ حَمِيمٌ حَمِيمًا ، وَأَلْقَى عَلَيْهِمُ السَّلَوةَ ^(٢) وَلَوْلَا ذَلِكَ لَانْقَطَعَ النَّسْلُ ، وَأَلْقَى عَلَى هَذِهِ الْحَبَّةِ الدَّابَّةِ وَلَوْلَا ذَلِكَ لَكُنْزَهَا مُلُوكُهُمْ كَمَا يَكْتِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ » ^(٣).

غسل مس الميت :

ومن المناسب أن نشير في سياق هذا البحث إلى مسألة غسل مس الميت ، فإذا قام شخص بلمس جسد الميت قبل تغسيله فهنا يتوجب عليه أن يغتسل غسل مس الميت ، وهذا الموضوع ورد في الكثير من الأحاديث والروايات المنقولة عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام ، وقد أفتى الفقهاء من علماء الدين بوجوب هذا الغسل استناداً إلى تلك الأحاديث والروايات . ونشير هنا إلى أن الميت في هذه الحالة يجب أن يكون جسده قد برد أي أصبح بارداً .

قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام : « مَنْ مَسَّ جَسَدَ مَيِّتٍ بَعْدَ مَا يُبْرَدُ لَزِمَهُ الْغُسْلُ » ^(٤).

وهذا الحكم الشرعي (غسل مس الميت) يختص بالإنسان فقط دون غيره من الحيوانات . وعلى سبيل المثال فإن مس الكلب الميت أو القطعة الميتة أو أي حيوان ميت لا يستوجب غسل مس الميت ، وهذا الأمر جعل البعض يتساءلون: هل أن الإنسان الميت أكثر نجاسةً من الكلب الميت بحيث أن مس الميت يستوجب الغسل بينما مس الكلب الميت لا يستوجب ذلك ؟ وللإجابة على هذا السؤال نقول : إن وجوب الغسل للجسم بأكمله في حالة مس الميت ، ليس لأن الجسم

(١) الرائحة الكريهة التي تنبعث من الميت بعد موته بأيام .

(٢) النسيان ، نسيان الحزن على الميت .

(٣) الكافي ، المجلد ٣ ، صفحة ٢٢٧ .

(٤) مستدرک وسائل الشيعة ، المجلد ١ ، صفحة ١٥٠ .

أصبح نجساً ، لأنه لو افترضنا أن إصبع الإنسان لمس جبهة الميت (أو أي جزء من أجزاء جسد الميت، ففي هذه الحالة يجب غسل العضو المتنجس فقط وهو الإصبع (الذي لمس الميت) وليس الجسم بأكمله). إذن فبال تأكيد هناك سبب آخر جعل الشرع الإسلامي يوجب غسل الجسم بأكمله ، ولعل هذا السبب هو أن الإسلام أوجب غسل مس الميت ليكون بمثابة غرامة تفرض على كل من يلمس الميت . والهدف من ذلك هو التقليل من لمس الموتى وبالتالي المحافظة على الصحة العامة ، لأنه وكما نعلم فإن معظم الناس يموتون لإصابتهم بأمراض مختلفة معظمها أمراض معدية أو مسرية ، وبالتالي فإن أجساد هؤلاء الموتى ملوثة بالميكروبات والجراثيم المرضية التي يمكن أن تنتقل إلى الأشخاص الآخرين، ولو أن المشرع الإسلامي أجاز لمس الميت دون قيد أو شرط ولم يوجب الغسل لكان الآباء والأمهات والمحبون يحتضنون أجساد موتاهم ويقبلونها ويشمونها، ولطلبوا من سائر أقرباء الميت أن يفعلوا نفس الشيء، وهذا الأمر يتعارض بالتأكيد مع المبادئ والأصول الصحية . ولكن من جهة أخرى لو كان الإسلام قد حرم نهائياً لمس الميت ولم يسمح به أبداً لاعتبر الناس هذا الحكم قاسياً وعنيفاً، ولتساءلوا كيف أن الله وهو أرحم الراحمين لا يسمح لأم مفجوعة بموت ابنها أن تقبله ولو لمرة واحدة، وأن تذرف دموعها على وجهه لكي تخفف من ألمها ؟ .

إيجاد مشكلة قانونية :

والإسلام لكي لا يسيء من جهة إلى مشاهير المفجوعين بموت أعزائهم ويحافظ من جهة أخرى على الصحة العامة (ويحول دون انتشار الأمراض والأوبئة) فإنه أوجب على المسلمين غسل مس الميت، وبذلك فقد أصبح الناس يواجهون مشكلة قانونية الأمر الذي جعل عمليات لمس الموتى تنخفض إلى أدنى حدٍ ممكن . إذن وعلى ضوء ما ذكر فلا يمكن مقارنة الإنسان الميت مع الكلب الميت ، لأنه أولاً : مسألة غسل مس الميت لا تتعلق بقضية النجاسة

لكي نتساءل : هل أن الإنسان الميت هو أنجس من الكلب الميت ؟ وثانياً : إن لمس الميت يكون بدافع المحبة المعنوية والعواطف الإنسانية الجياشة من قبل ذوي الميت كالأم والأب والزوج أو الزوجة والأخت والأخ وغيرهم . ومثل هذه الدوافع لا وجود لها بالنسبة للكلب الميت، وبالتالي فإن المقارنة بين الإنسان الميت والكلب الميت (أو أي ميت من الحيوانات الأخرى) لا معنى ولا مفهوم لها .

نجوى المسلمين مع الرسول (ص) :

وهذا الحكم الشرعي الإسلامي شبيه بالأمر الذي أصدره الله (عز وجل) للذين يريدون أن يناجوا الرسول ﷺ أي يهمسون في أذنه بكلام لا يعرفه ولا يفهمه من هم حوله . هذه النقطة نستعرضها كما يلي : في صدر الإسلام كانت مسألة نجوى المنافقين من المشاكل الاجتماعية ومن الممارسات المضادة للإسلام في ذلك الوقت ، فالمنافقون كانوا يحضرون في المجالس العامة ويتهامسون فيما بينهم أمام أنظار المسلمين وذلك بهدف تضعيف وزعزعة معنويات المسلمين ، وجعل الأشخاص الذين اعتنقوا الإسلام حديثاً وتخلصوا من عبادة الأوثان وأحقاد الجاهلية ، يسيئون الظن بالإسلام ، وكذلك بهدف إشعال نار الفتنة والخلافات بين المسلمين وإعادة الأحقاد والضغائن الجاهلية المدمرة في نفوسهم ، وهذا العمل ليس فقط سيء إلى الأخوة الدينية بين المسلمين بل كان من الممكن أن يؤدي إلى النزاع والتناحر فيما بينهم ويشير الصراعات بين الناس وأحياناً يتسبب في مفسد لاحمد عقبائها . على أن القرآن الكريم أشار في سورة المجادلة إلى نجوى المنافقين المليئة بالذنوب المشيرة للعداوات والأحقاد ووعد هؤلاء المنافقين الفاسدين الذين يثيرون الفتن بين المسلمين والذين لا يهدفون من عملهم هذا إلا إلى التمرد على التعاليم الإسلامية والتملص منها ومعارضة ومناهضة الرسول الأكرم ﷺ وعدهم بالعذاب الأليم .

﴿ إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ (١).

تصرف الأثرياء المتكبرين :

والى جانب مشكلة نجوى المنافقين الخونة الذين كانوا يشيرون القلاقل والإضطرابات ، فإن مشكلة أخرى كانت تواجه النبي ﷺ وهي أن بعض الأفراد المتكبرين المغرورين الذين يتمتعون بالتمكين المادي والثراء النسبي ، كانوا يأتون إلى النبي ويهمسون في أذنه ببعض الأمور ليوحوا للناس بأنهم يتمتعون بمنزلة وجاه كبيرين ، ويقولوا لهم بأن لهم علاقة وثيقة وحميمة مع الرسول ﷺ .

هذا التصرف من قبل هؤلاء كان يؤدي النبي ﷺ وفي نفس الوقت فإن مثل هذا التصرف كان ضاراً من الناحيتين الأخلاقية والاجتماعية ، وكان يسبب إحراجاً كبيراً للنبي الأكرم ﷺ أمام الناس .

النجوى عند الضرورة :

فمن ناحية لم يكن من المصلحة أن يمنع الله (عز وجل) بشكل نهائي النجوى مع الرسول ﷺ لكي يضع حداً لهذا الوضع غير المطلوب ، لأن هناك حالات نجد أن الرسول ﷺ جالس بين أصحابه وتقضي الضرورة إبلاغ النبي ﷺ بأمر سرّي . ففي ذلك الوقت الذي كانت فيه وسائل الكتابة قليلة ، لم تكن هناك طريقة أفضل وأسرع من النجوى لأداء هذا الغرض ، ومن ناحية أخرى إذا تقرر أن تكون النجوى مع النبي ﷺ مسموحة ومباحة دون قيد أو شرط فإن عدد الذين يطلبون مناجاة النبي ﷺ سيزداد يوماً بعد يوم ، وهذا يؤدي ليس فقط إلى حالة من اليأس وأحياناً التشاؤم بين المسلمين ، بل إنه يسبب الإرهاق والتعب للرسول ﷺ ، ولكي تقل المناجاة غير الضرورية مع النبي ﷺ ويقل بالتالي حجم المضايقات التي يتعرض لها (صلوات الله وسلامه عليه) من قبل الآخرين فقد صدر الأمر التالي عن الله (سبحانه وتعالى) :

(١) سورة المجادلة ، الآية : ١٠ .

الأمر بدفع الصدقة :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَانِكُمْ صَدَقَةٌ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ﴾^(١). وبهذا يكون الله (سبحانه وتعالى) قد فرض ضريبة على الذين كانوا يريدون أن ينجوا الرسول الأكرم ﷺ وهذه الضريبة هي لصالح الطبقة الفقيرة والمحتاجة في المجتمع . وكان لهذا الإجراء القانوني الذي شرّعه الله (وهو دفع الصدقة) أثر كبير وملحوظ على صعيد الحد من طلبات النجوى مع الرسول ولاسيما تلك التي تهدف إلى الرياء وحبّ الظهور والإستعلاء ، واقتصرت عمليات النجوى مع النبي على الحالات الضرورية (أي عندما كان يحدث أمر مهم لا بدّ من اطلاع النبي ﷺ عليه بشكل سرّي لا يطلع عليه الغير) . إذن فالإسلام أوجب غسل مسّ الميت لكي يتجنب الناس لمس الموتى وبالتالي يبقى المجتمع بعيداً عن الأوبئة والأمراض وتبقى البيئة نظيفة سليمة وفي نفس الوقت لا يتعرض فيه الميت لأية إهانة أو تحقير .

تكريم المتوفى وذويه :

إن صلاة الميت وتشيع جنازته قررهما الإسلام احتراماً لموتى المسلمين مع فارق واحد هو أن صلاة الميت واجبة في حين أن تشييعه مستحب مؤكّد . على أن تشييع جنازة الميت ليس تكريماً واحتراماً للميت فقط، بل هو تكريم لذوي الميت المسلم ومواساة وتعاطف معهم . إضافة إلى ذلك فإن تشييع الجنازة إذا كان عن وعي وتوجّه باطني يترك أثراً معنوياً على المشيعين يجعلهم يأخذون العبرة من الميت ويعودون إلى رشدهم ويصحّون من غفوتهم .

كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِذَا شِيعَ جَنَازَةٌ غَلَبَتْهُ كَأَبَةٌ وَأَكْثَرَ حَدِيثَ النَّفْسِ وَأَقْلَّ الْكَلَامِ^(٢).

(١) سورة المجادلة ، الآية : ١٢ .

(٢) سفينة البحار ، المجلد ١ صفحة ٧٣٦ (مادة : شيع) .

قال رسول الله ﷺ : « عُوذُوا بِالْمَرْضَى وَاتَّبِعُوا الْجَنَائِزَ يُذَكِّرْكُمْ
الْآخِرَةَ » (١).

عن عليٍّ عليه السلام قال : « إِنَّ ذَهَابَ الذَّاهِبِينَ بِصِيرَةٍ لِلْقَوْمِ الْمُتَخَلِّفِينَ » (٢).
وَتَبَعَ جَنَازَةً فَسَمِعَ رَجُلًا يَضْحَكُ فَقَالَ عليه السلام : « كَأَنَّ الْمَوْتَ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا
كُتِبَ وَكَأَنَّ الْحَقَّ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا وَجَبَ » (٣).

عمل مخالف للفضيلة والتقوى :

الشخص الذي يضحك بصوت عالٍ وهو يسير خلف الجنازة ضمن جماعة
من المشيعين هذا الشخص يرتكب بتصرفه هذا عملين سيئين شائنين . الأول : أن
هذا التصرف يدل على غفلة المشيع وأنه لم يعتبر من موت إنسان ولم يَضْحُ
من غفوته وكأن الموت لن يطرق بابه وينهي حياته . الثاني : أن الضحك بصوت
عالٍ أثناء تشييع جنازة إنسان مسلم هو نوع من الإستهانة بالميت وبذويه
المفجوعين، وكلاهما خلاف للفضيلة والخلق الإسلامية وحقوق الأخوة الدينية .
وكما يظهر من خلال بعض الأحاديث والروايات أن النبي ﷺ كان يحترم جنازة
الميت غير المسلم، وكان يوصي المسلمين باحترام الموتى من غير المسلمين .

إحترام الانسان :

ففي رواية : قامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَصْحَابُهُ لِجَنَازَةِ يَهُودِيٍّ حَتَّى
تَوَارَتْ . وفي روايةٍ قِيلَ إِنَّهُ يَهُودِيٌّ فَقَالَ : « أَلَيْسَتْ نَفْسًا » (٤) .

إذن فبعض الأحاديث والروايات المنقولة عن النبي ﷺ
والأئمة عليهم السلام تتحدث عن الموتى من المسلمين، والواجب الذي يقع على الناس

(١) مستدرک وسائل الشيعة ، المجلد ١ ، صفحة ١١٩ .

(٢) فهرست غرر الحكم وذُرر الكلم ، صفحة ٣٧١ .

(٣) نهج البلاغة . الكلمة ١١٩ .

(٤) بحار الأنوار المجلد ١٨ ، صفحة ٢٥٤ .

تجاه هؤلاء الموتى المسلمين كتغسيلهم وتكفينهم والصلاة عليهم وتشيعهم والإسراع في دفنهم وقد أشرنا إلى ذلك فيما سبق . والقسم الآخر من الأحاديث والروايات تتحدث عن الأمور التي تجري على الميت والأوضاع التي يعيشها الميت في عوالم الغيب وعوالم ما بعد الموت وهذه أمور لها طابع اعتقادي . وفيما يلي نتحدث عن هذه القضايا الإعتقادية لما بعد الموت بشيء من الإختصار والإيجاز .

القبر من حيث كونه رحمة أو عذاب :

القبر : عن علي بن الحسين عليه السلام قال : « إِنَّ الْقَبْرَ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفْرِ النَّيرانِ » (١) .

العذاب اللامشهود في القبر :

ضغط القبر : من الأمور المذكورة في الأحاديث والروايات والمرتبطة بعالم الغيب وعوالم ما بعد الموت ، مسألة ضغط القبر . وهذا الضغط ليس بمعنى أن جدران القبر تضيق وتضغط على جسد الميت ، بل هو عذاب يواجهه الميت في عالم بعد الموت وهذا العذاب لا يمكن مشاهدته بهذه العين المادية الدنيوية التي لا ترى إلا الظواهر (ولا ترى ما يجري في عوالم ما بعد الموت ومنها عالم البرزخ الذي هو عالم يقع بين عالم الدنيا وعالم الآخرة، حيث أن عذاب أو نعيم القبر هو ضمن عالم البرزخ) (٢) .

في أحد الأيام أخبروا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأن «سعد بن معاذ» قد توفي . فنهض الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من مكانه فوراً ولحق به الصحابة الذين كانوا معه ، فأمر بتغسيل «سعد» وتكفينه وسار خلف جنازته وهو يحمل الطرف الأيسر من النعش تارة والطرف الأيمن تارة أخرى ، حتى وضعوا الجنازة إلى جانب القبر ، فنزل

(١) بحار الأنوار، المجلد ٣، صفحة ١٥١ .

(٢) المترجم .

الرسول ﷺ بنفسه إلى داخل القبر وأخذ جسد «سعد» ووضعه في اللحد وأخذ يغطي اللحد بالحجر والطين ويسد المنافذ الموجودة فيه . ولعل البعض من الذين شاهدوا ما قام به رسول الله تعالى تساءلوا مع أنفسهم: « ما الفائدة من سد منافذ القبر بالأحجار والطين طالما أن اللحد سوف ينهار ويتلاشى تلقائياً عندما يغطي بالأحجار والتراب وذلك بسبب ثقل هذه الطبقة من الأحجار والتراب ؟ » وبعد أن انتهى الرسول ﷺ من وضع التراب على القبر قال للحاضرين ما معناه : إني أعلم بأن القبر ينهار ويتلاشى « وَلَكِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ عَبْدًا إِذَا عَمَلَ عَمَلًا أَحْكَمَهُ » (١).

توضيح حول هذا الحديث :

في أحد الأيام كنت أتحدث على المنبر فقرأت هذا الحديث الشريف وكان المجلس يعج بالحاضرين فجلست قليلاً حتى يفتح الطريق ويخف الإزدحام، وفي هذه الأثناء جاءني أحد الأشخاص من الذين حضروا هذا المجلس وسلم علي وقال : إني لم أفهم حديث الرسول ﷺ بشكل جيد أرجو أن توضح لي هذا الحديث أكثر، فقلت: لا بأس ، إجلس إلى جانبي . فقلت له : إني غالباً ما أسأل الأشخاص الذين لديهم بعض الأسئلة التي يريدون طرحها علي ، غالباً ما أسألهم عن طبيعة أعمالهم ومهنهم التي يعملون فيها وذلك لكي أذكر لهم بعض الأمثلة من نفس المجال الذي يعملون فيه والأمر الذي يساعدهم على فهم الأجوبة التي أعطيها لهم ، فهل توافق علي أن أسألك عن طبيعة عملك ؟ فقال لي : إني أعمل طبيباً جراحاً . ففكرت للحظة وقلت في نفسي : إن المهنة التي يزاولها هذا الشخص يمكن أن تعينني على توضيح هذا الحديث وبالتالي إفهام السائل . فقلت: يا دكتور ، إن الشخص المحكوم عليه بالإعدام من قبل المحكمة إذا أصيب بمرض قبل تنفيذ حكم الإعدام فإن القانون يقول: يجب أن

(١) كتاب الأمالي للشيخ الصدوق (وهو من كتب الحديث) صفحة ٢٣١ .

تؤجل عملية الإعدام حتى تتم معالجة المحكوم ، وبالتالي ينفذ فيه حكم الإعدام وهو بصحة جيدة . والآن نفترض أنك رئيس قسم الجراحة في المستشفى ، والشخص المحكوم من المقرر أن يعدم في الساعة الرابعة فجراً ولكنه يعارض مرضي شديد في الساعة العاشرة مساءً استلزم نقله إلى المستشفى وإجراء عملية جراحية له ، واتصلوا بك من المستشفى فذهبت إلى المستشفى ونقل المريض إلى غرفة العمليات فهل تجري له العملية الجراحية بشكل دقيق ووفقاً للأصول العلمية والطبية المتعارفة ؟ .

فأجاب الشخص : نعم . فقلت : ولماذا تجري له العملية بدقة وعناية ، أليس هذا الشخص يجب أن يعدم بعد عدة أيام ؟ فأجابني السائل : إن الإعدام لا علاقة له بعلمي ، فالعملية الجراحية يجب أن تتم بصورة صحيحة ودقيقة سواء أعدم الشخص بعد ذلك أم لا . فقلت لهذا الشخص :

التدريب على إتقان العمل :

إن هذا هو ما يريد الرسول ﷺ أن يقوله ، فهو يريد القول بأن خراب وانهيار القبر لا علاقة له بعلمي ، لأن الله يحب عبداً إذا عمل عملاً أحكمه . ومثل هذا الشخص الذي يحبه الله لا يتخلّى عن التدريب على إتقان العمل تحت أي ظرف من الظروف . فشكرني هذا الشخص على الجواب الذي أعطيته له وانصرف .

وبعد أن انتهى النبي ﷺ من دفن « سعد بن معاذ » خاطبت أم سعد ولدها قائلة له : هنيئاً لك الجنة .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : « يَا أُمَّ سَعْدٍ مَهْ لَا تَجْزِمِي عَلَى رَبِّكَ فَإِنْ سَعِدَ قَدْ أَصَابَتْهُ ضَمَّةٌ » .

ورجع الرسول ﷺ والمشيعون من المقبرة ، فسأله البعض : يا رسول الله لقد بالغت في احترام جنازة سعد بن معاذ وقمت من أجله بعمل لم تقم بمثله من أجل أي أحد آخر وبعد ذلك قلت بأن سعداً تعرض لضغط القبر .

سعد بن معاذ وضغط القبر :

فقال عليه السلام : « نعم إنه كان خُلِقَ مَعَ أَهْلِهِ سُوءٌ » ^(١) .

ولكن هناك أموراً أخرى تجعل الميت يتعرض لضغط القبر حسبما جاء في الأحاديث والروايات .

ضغط القبر كفارة للذنوب :

عن النبي عليه السلام قَالَ : « ضَغْطَةُ الْقَبْرِ لِلْمُؤْمِنِ كَفَّارَةٌ لِمَا كَانَ مِنْهُ مِنْ تَضْيِيعِ النُّعْمِ » ^(٢) .

سؤال القبر : هو من الأمور الغيبية ذات الطابع الاعتقادي التي أشار إليها الأئمة عليهم السلام في الأحاديث المنقولة عنهم . وحسبما جاء في هذه الأحاديث والروايات فإن الميت يسأل في القبر عن ربه ودينه ونبيه وأئمة . فيسأل الميت : من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ ومن هو إمامك ؟ الأفراد الصالحون المتقون يجيبون على هذه الأسئلة بشكل صحيح .

جزاء المؤمنين في القبر :

فينادي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ : صَدَقَ عَبْدِي إِفْرَشُوا لَهُ فِي قَبْرِهِ مِنَ الْجَنَّةِ وافتَحُوا لَهُ فِي قَبْرِهِ بَاباً إِلَى الْجَنَّةِ وَأَلْبِسُوهُ مِنْ ثِيَابِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَأْتِينَا وَمَا عِنْدَنَا خَيْرٌ لَهُ .

عقاب الكافرين في القبر :

ونفس الأسئلة توجه للموتى من الكافرين غير المؤمنين بالله فلا يستطيعون الإجابة فيأتي النداء بأن عبدي تحدث كذباً وخلافاً للواقع :

(١) كتاب الأمالي للشيخ الصدوق ، صفحة ٢٣١ .

(٢) كتاب الأمالي للشيخ الصدوق .

إِفْرِشُوا لَهُ فِي قَبْرِهِ مِنَ النَّارِ وَالْبِسُوهُ مِنْ ثِيَابِ النَّارِ وَافْتَحُوا لَهُ بَاباً إِلَى النَّارِ حَتَّى يَأْتِينَا وَمَا عِنْدَنَا شَرٌّ لَهُ^(١).

ويبدو من خلال الروايات الكثيرة المنقولة عن الأئمة عليهم السلام أن سؤال القبر ليس لجميع من يتوفى من الناس بل تختص به مجموعتان فقط : المؤمنون الخالص والكفار المصيرين .

حول سؤال القبر :

عَنْ أَبِي بَكْرِ الْحَضْرَمِيِّ قَالَ : قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ الْبَاقِرِ عليه السلام : أَصْلَحَكَ اللَّهُ مِنَ الْمَسْئُورُونَ فِي قُبُورِهِمْ ؟ قَالَ : « مَنْ مَحَضَ الْإِيمَانَ وَمَنْ مَحَضَ الْكُفْرَ » قُلْتُ : فَبَقِيَّةُ هَذَا الْخَلْقِ ؟ قَالَ : « يُلْهَى وَاللَّهِ عَنْهُمْ مَا يُعْبَأُ بِهِمْ »^(٢).

سؤال القبر من المؤمن الحقيقي والكافر الحقيقي :

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الصَّادِقِ عليه السلام قَالَ : « إِنَّمَا يُسْأَلُ فِي قَبْرِهِ مَنْ مَحَضَ الْإِيمَانَ مَحَضاً وَالْكُفْرَ مَحَضاً وَأَمَّا مَا سِوَى ذَلِكَ فَيُلْهَى عَنْهُمْ »^(٣).

أما الذين يعفون من سؤال القبر وبالتالي يتركون على حالهم لأنهم يتمتعون إما بالإيمان الخالص أو الكفر الحقيقي ، فهم عدة مجموعات أشار إليها الإمام الباقر عليه السلام في رده على « زرارة بن أعين »^(٤).

عن زُرَّارَةَ قَالَ دَخَلْتُ أَنَا وَحَمْرَانٌ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ الْبَاقِرِ عليه السلام قَالَ : قُلْتُ لَهُ إِنَّا نَمُدُّ الْمِطْمَارَ فَمَنْ وَافَقْنَا مِنْ عَلَوِيِّ أَوْ غَيْرِهِ تَوَلَّيْنَاهُ وَمَنْ خَالَفْنَا مِنْ عَلَوِيِّ أَوْ غَيْرِهِ بَرَّئْنَا مِنْهُ فَقَالَ لِي : « يَا زُرَّارَةُ قَوْلُ اللَّهِ أَصْدَقُ مِنْ قَوْلِكَ فَأَيُّ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً

(١) كتاب أصول الكافي لمحمد بن يعقوب الكليني ، المجلد ٣ ، صفحة ٢٣٩ .

(٢) الكافي ، المجلد ٣ ، صفحة ٢٣٧ .

(٣) كتاب أصول الكافي لمحمد بن يعقوب الكليني ، صفحة ٢٣٥ .

(٤) زرارة بن أعين هو من الموالين لأهل البيت عاصر الإمام الباقر عليه السلام (المترجم) .

وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿ سورة النساء آية : ٩٨ ؟ أَيْنَ الْمَرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ ؟ أَيْنَ الَّذِينَ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا ؟ أَيْنَ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ ؟ أَيْنَ الْمُؤَلَّفَةُ قُلُوبُهُمْ ۝ (١) .

ولكي نتعرف على هذه الجماعات بشكل أفضل فإننا نعطي فيما يلي توضيحاً مختصراً حول كل واحدة من هذه الجماعات مستعينين في ذلك ببعض الروايات المنقولة عن الأئمة عليهم السلام .

المستضعفون : وهم بعض الأفراد الذين يعود سبب استضعافهم إلى تركيبهم الطبيعية الناجمة عن القصور الفكري وضعف الإدراك والتفكير .

المستضعفون من قصارى النظر :

عن زُرَّارَةَ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ الْبَاقِرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ الْمُسْتَضْعَفِ فَقَالَ : « هُوَ الَّذِي لَا يَهْتَدِي حِيلَةً إِلَى الْكُفْرِ فَيَكْفُرُ وَلَا يَهْتَدِي سَبِيلًا إِلَى الْإِيمَانِ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُؤْمِنَ وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَكْفُرَ فَهُمْ الصَّبِيَّانُ وَمَنْ كَانَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ عَلَى مِثْلِ عُقُولِ الصَّبِيَّانِ مَرْفُوعٌ عَنْهُمْ الْقَلَمُ » (٢) . وهناك البعض من المستضعفين ممن تكون قوة العقل عندهم طبيعية ولا يعانون من قصور الفكر وضعف الإدراك ، وهؤلاء إذا تركوا أحراراً وصمموا على ذلك فإن بإمكانهم العثور على الطريق القويم المستقيم والإيمان بالله والتعاليم الإلهية عن وعي وإدراك وبرؤية واضحة ، كما يمكنهم بالعكس أن يميلوا إلى طريق الباطل وسبيل الانحراف وبالتالي يختارون الكفر على الإيمان . ولكن المستكبرين المستبدين من أصحاب القوة والمال يستحقرون هؤلاء ويستضعفونهم ويقمعون ويهينون شخصيتهم ويمنعونهم من القيام بأي نشاط علمي وديني . هؤلاء الأشخاص الذين يعيشون حالة الاستضعاف لا هم بمؤمنين ولا هم بكافرين طالما أنهم بقوا خاضعين للمستكبرين وتابعين لهم .

(١) كتاب أصول الكافي ، المجلد ٢ ، صفحة ٣٨٢ .

(٢) كتاب أصول الكافي ، المجلد ٢ ، صفحة ٤٠٤ .

عَنْ حَمْرَانَ قَالَ : سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ الْمُسْتَضْعَفِينَ قَالَ : « هُمْ لَيْسُوا بِالْمُؤْمِنِينَ وَلَا بِالْكَفَّارِ فَهُمْ الْمُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ » ^(١) .

المستضعفون الذين لا يعانون من ناحية تكوينهم الطبيعي ، من نقص في قوة العقل والذكاء واستضعافهم ناجم عن المستكبرين ، هم على مجموعتين :

المجموعة الأولى : هم الذين يستطيعون التخلص من حالة الاستضعاف والخروج من دائرة نفوذ المستكبرين الذين لا إيمان لهم ، والدخول في جويّتيح لهم اكتساب المعارف الإلهية وتعلّمها وينعمون ويتمتعون بنعمة الإيمان من خلال السعي والعمل المتواصل .

المستضعفون الذين يعيشون وسط بيئة فاسدة :

الفئة الثانية من المستضعفين : هي التي يعيش أفرادها وسط بيئة ليس فيها عالم يستطيعون أن يتعلموا منه الأحكام والتعاليم الإلهية ، ولا هم بقادرين على انقاذ أنفسهم والابتعاد عن هذه البيئة أو المحيط الفاسد الذي يعيشون فيه والتخلص من سيطرة المستكبرين والهجرة إلى منطقة أخرى أكثر ملاءمة لهم ، والقرآن الكريم يصف هذه الفئة في الآيات المباركة التالية :

على المرء أن يهاجر من المنطقة التي يسودها الشرك :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا * إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا * فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًا غَفُورًا ﴾ ^(٢) .

(١) تفسير الميزان ، المجلد ٩ ، صفحة ٤٠٧ .

(٢) سورة النساء ، الآيات : ٩٧ - ٩٩ .

وهناك فئة مجهولة المصير لا يعرف ما إذا كانت ممن تشملها الرحمة الإلهية أو ممن ينالها العقاب والعذاب الرباني في الآخرة وهذه الفئة عليها أن تنتظر أمر الله .

عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في قول الله (عز وجل) : ﴿ وَآخِرُونَ مُرْجُونَ لَأَمْرِ اللَّهِ ﴾ سورة التوبة ، آية : ١٠٦ . قال : (قَوْمٌ كَانُوا مُشْرِكِينَ فَقَتَلُوا مِثْلَ حَمِزَةِ وَجَعْفَرٍ وَأَشْبَاهِهِمَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ثُمَّ إِنَّهُمْ دَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ فَوَحَّدُوا اللَّهَ وَتَرَكُوا الشِّرْكَ وَلَمْ يَعْرِفُوا الْإِيمَانَ بِقُلُوبِهِمْ فَيَكُونُوا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَتَجِبُ لَهُمُ الْجَنَّةُ وَلَمْ يَكُونُوا عَلَى جُحُودِهِمْ فَيَكْفُرُوا فَتَجِبُ لَهُمُ النَّارُ فَهُمْ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ : ﴿ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴾ سورة التوبة ، آية : ١٠٦) (١) .

أصحاب الأعراف :

وهناك أيضاً أصحاب الأعراف وهم الذين تتساوى أعمالهم الحسنة مع أعمالهم السيئة . عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ أَصْحَابِ الْأَعْرَافِ فَقَالَ : « قَوْمٌ اسْتَوَتْ حَسَنَاتُهُمْ وَسَيِّئَاتُهُمْ فَإِنْ أَدْخَلَهُمُ النَّارُ فَبِذْنُوْبِهِمْ وَإِنْ أَدْخَلَهُمُ الْجَنَّةُ فَبِرَحْمَتِهِ » (٢) .

وهناك أفراد يجب أن يقدم لهم الدعم المالي ويُعاملوا بمحبة وأخلاق حسنة حتى تألف قلوبهم بالحق ويميلوا بالتالي إلى دين الله .

عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال : « الْمُؤَلَّفَةُ قُلُوبُهُمْ قَوْمٌ وَحَّدُوا اللَّهَ وَخَرَجُوا مِنَ الشِّرْكَ وَلَمْ تَدْخُلْ مَعْرِفَةُ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ وَمَا جَاءَ بِهِ ، فَتَأَلَّفَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَأَلَّفَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ لِكَيْمَا يَعْرِفُوا » (٣) .

إذن نستنتج مما ذكرنا أن هناك عدة جماعات أفرادها ليسوا من المؤمنين الحقيقيين، كما أنهم ليسوا من الكفار المعاندين المصيرين على كفرهم .

(١) كتاب الكافي ، المجلد ٣ . صفحة ٤٠٧ .

(٢) كتاب تفسير الصافي (للفيض الكاشاني) . صفحة ١٩٣ .

(٣) الكافي ج ٢ ص ٤١٢ .

واستناداً إلى الروايات العديدة المنقولة عن الأئمة عليهم السلام، فإن هؤلاء الذين ذكرناهم لا يُسألون في القبر لأنهم لا تتوفر فيهم الشروط اللازمة للسؤال منهم، وبالتالي فإن هؤلاء يحاسبون يوم القيامة ويتقرر مصيرهم في ذلك اليوم .

معرفة القبر :

والنقطة التي يجدر بنا أن نهتم بها في هذا المجال هي معرفة حقيقة القبر ومفهومه ، أي علينا أن نعرف : ما هو القبر الذي يتعرض فيه الموتى من المؤمنين الخُلص والكفار المعاندين للضغط، والذي يصبح للمؤمنين روضة من رياض الجنة وللكافرين حفرة من حفر النيران ؟ هل أن القبر هو مجرد تلك الحفرة الترابية التي نشاهدها بأعيننا أم أن القبر هو حقيقة لا مرئية يكون موقعه في عالم آخر ؟ .

العالم الجليل والمحدث الكبير والمحقق الفاضل خدام مذهب أهل البيت عليهم السلام المرحوم العلامة المجلسي (رضوان الله تعالى عليه)، يشير في كتابه بحار الأنوار إلى العدد من الآيات والأحاديث والروايات المنقولة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام والتي تتحدث عن موضوع بقاء الروح وعالم البرزخ وسؤال القبر وضغط القبر وغيرها من القضايا الاعتقادية . ويصل العلامة المجلسي من كل تلك الآيات والأحاديث والروايات إلى النتيجة التالية والتي يذكرها في كتابه تحت عنوان « فذلك » .

كلام للعلامة المجلسي :

اعلم أن الذي ظَهَرَ من الآيات الكثيرة والأخبار المستفيضة والبراهين القاطعة هو أن النفس باقية بعد الموت إما مُعَذِّبَةً إن كانَ مِمَّنْ محض الكفر أو منعمَةً إن كانَ مِمَّنْ محض الإيمان أو يُلهى عنه إن كان من المستضعفين . . . ثم يتعلّق الروح بالأجساد المثالية اللطيفة المضاهية في الصورة للأبدان الأصلية فينعم ويُعذب فيها، ولا يبعد أن يصل إليه آلام ببعض ما يقع على الأبدان الأصلية لسبق تعلّقه بها، وبذلك يستقيم جميع ما ورد من ثواب القبر وعذابه واتساع القبر

وضيقه وطيرانه في الهواء وزيارته لأهله ورؤيته الأئمة بأشكالهم ومشاهدة أعدائهم معذبين وسائر ما ورد من أمثال ذلك . فالمراد بالقبر في أكثر الأخبار ما يكون الروح فيه في عالم البرزخ وهذا يتم على تجسم الروح وتجرده^(١).

كلام للحكيم الرباني فيض الكاشاني :

أما المحدث الجليل والحكيم الرباني والمحقق الكبير المرحوم فيض الكاشاني فإنه يتطرق إلى هذا الموضوع بطريقة أخرى حيث يقول :

وقد تبين أن أهل كل نشأة إنما يدرك الموجودات التي فيها على سبيل المشاهدة والتي في غيرها على سبيل الحكاية ، فشهادة كل نشأة غيب في أخرى وعيانها علم وخبر في غيرها « والناس نيامٌ إذا ماتوا انتبهوا » فالصور الدنيوية بالنسبة إلى الآخروية كالصور المنامية إلى الإنباهية . ومن هنا يظهر أنه لا يلزم أن يشاهد تلك الأمور في القبر بهذه الآلات الجسدية لأنها من نشأة الأخرى ومن يشاهدها في الدنيا فذاك من ظهور سلطان الآخرة عليه كما يشاهد النبي صلى الله عليه وآله جبرئيل ولا يشاهده غيره من الحاضرين »^(٢).

النظر إلى الوجود من بُعد واحد :

إن التقدم الذي شهده العالم على صعيد العلوم الطبيعية والمادية جعل الكثيرين في عالمنا الحاضر يصابون بالغرور العلمي ، وبالتالي أصبحوا لا يقبلون بالحقائق الواقعية اللامحسوسة ولا ينظرون إلى الوجود إلا من منظور مادي . والبعض من هؤلاء ينكرون أساساً عالم ما وراء الطبيعة ويعتقدون بأن الوجود يساوي المادة ، والبعض الآخر من هؤلاء لا يهتم بعالم ما وراء الطبيعة وليس له رأي خاص في هذا المجال . على أن أفراد هاتين المجموعتين بأن كل الظواهر والحوادث والوقائع المشهودة في هذا العالم لها منشأ مادي وهي تحدث

(١) بحار الأنوار ، المجلد ٣ ، صفحة ١٦٧ .

(٢) علم اليقين ، صفحة ٨٩٠ .

نتيجة عوامل مادية وهم يدّعون بأن كل ظاهره وكل حدث واقعي في هذا العالم يمكن تبريره وتفسيره بالمعايير الطبيعية، وكل ظاهرة لا تنطبق مع الأصول والمبادئ العلمية فهي ليست ظاهرة واقعية، وعلى هذا الأساس فهم ينكرون وينفون وجود خالق لهذا العالم كما ينكرون وجود الروح الخالدة ووجود الملائكة والوحي وعوالم بعد الموت والقيامة .

والخلاصة فهم ينكرون كل ما جاءت به الأديان الإلهية والتي لا يمكن تطبيقها مع الحسابات المادية .

الحقائق التي لا تنطبق مع منطق العلم الحديث :

لهؤلاء يجب أن نقول : ألم يصل البشر في عصرنا الحاضر إلى قمة التقدم العلمي، واجتياز جميع المراحل العلمية والتوصل إلى معرفة جميع الحقائق والظواهر الطبيعية ؟ هل أن البشر وصل اليوم إلى مرحلة تؤهله لنفي أية ظاهرة لا تنطبق مع معايير السائدة وتجزئ له اعتبار هذه الظاهرة ظاهرة غير واقعية ؟ أليس من الممكن أن يتوصل البشر في المستقبل إلى بعض الحقائق ويكتشف بعض الأسرار التي لم يكتشفها البشر في عصرنا الحاضر، ولم يجد العلم الحديث في وقتنا الحالي تفسيراً لها ؟ ألا توجد في عالم الطبيعة والعالم المادي قضايا وأمور وظواهر يعجز العلم في هذا العصر عن تفسيرها؟ .

الموت وانفصال الروح عن الجسم :

جميعكم أنتم الحاضرون الآن في هذا المجلس لديكم في وجودكم بُعدين ظاهري وباطني ، مادي ومعنوي ، روحي وجسدي ، ملموس وغير ملموس أو محسوس وغير محسوس ، مرئي ولا مرئي أو كما يسميه بعض العلماء «ناسوت» و«ملكوت» . وطالما أننا أحياء فإن البعدين الملموس واللاملموس في وجودنا مندمجان ومتحدان، وكذلك الحال بالنسبة للبعدين الروحي والجسدي في وجودنا فإنهما متداخلين ومتحدين لا انفصالان ولا يفترقان إلا بالموت . على أن بعض ما يصيبنا من الملذات أو الآلام فإنها ترتبط بالجانب الجسماني وهي بالتالي أمور مشهودة، والبعض الآخر من هذه الملذات أو الآلام يرتبط بالجانب

الروحي في الإنسان وبالتالي فهي لا مشهودة . ولكن على أية حال فإن الإنسان يشعر بالفرح والارتياح من هذه الملذات سواء كانت جسدية أو روحية كما أنه يشعر بالتألم والتأثر وعدم الارتياح من هذه الآلام الجسدية منها والروحية .

الضغوط المادية المحسوسة :

ولنفترض أن شخصاً يتعرض للتعذيب بواسطة آلة كابسة تضغط على جسده ، فهذا الشخص يشعر بالألم ويقول : إني أتعرض لضغط شديد . وكلما ازداد الضغط ازداد تألم الشخص ، ومع ازدياد الضغط تبدأ عظامه بالتكسر وبالنسبة يموت هذا الشخص بطريقة مؤلمة بعد أن يتمزق جسمه وعروقه وأعصابه بسبب الضغط الشديد .

الضغط المعنوي الالمحسوس :

ونفترض في المقابل أن شخصاً صالحاً وتقياً وحساساً في نفس الوقت يتعرض لتهمة كبيرة في المجتمع دون أن يكون قد ارتكب أي ذنب ، فيطرد من المجتمع، وبالتالي يضطر نتيجة ضغط الرأي العام ، للعيش في عزله عن الناس ويترك المدينة ليعيش وحيداً في منطقة نائية معزولة . وإذا ما التقى به أحد أصدقائه وهو على هذه الحال وسأله عن حاله فيجيبه بالقول : إني أتعرض لضغط شديد وإني متضايق ومتألم إلى درجة أنني أتمنى الموت . وقد يفقد هذا الشخص القدرة على النوم من شدة القلق والاضطراب النفسي وبالتالي فإنه قد يموت بسبب هذه الضغوط النفسية التي يواجهها .

إذن، فإن هذين الشخصين كلاهما تعرضا لمضايقات وضغوط وقد توفيا نتيجة هذه الضغوط، ولكن الفرق بين الحالتين هو أن الشخص الأول تعرض لضغوط خارجية أما الثاني فتعرض لضغوط داخلية ، والضغوط الخارجية هي مشهودة وظاهرية أما الضغوط الداخلية فهي لا مشهودة وباطنية ، وبالتالي فإن الشخص الأول توفي نتيجة الضغط الشديد الذي تعرض له وأدى إلى تكسر

عظامه وتمزق لحمه ، أما الشخص الثاني فهو لم يكن في ضائقة جسدية (أي لم يكن متضايقاً جسمىاً) حيث أن جسمه كان حرّاً طليقاً يعيش في جو واسع ولكنه أصيب باضطراب فكري واختلال داخلي ونفسي شديد أفقده الهدوء والاستقرار وجعله يفقد توازنه الروحي والنفسي وبالتالي يفقد حياته ويموت .

يتضح مما ذكرنا بأن القبر الذي جاء ذكره في الروايات المنقولة عن الأئمة عليهم السلام بأنه روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران ، هذا القبر ليس مجرد حفرة ظاهرة للعيان حفرت في المقبرة ، بل إن المقصود بالقبر استناداً إلى ما ذكره العلامة المجلسي نقلاً عن الأئمة عليهم السلام ، هو المكان الذي تستقر فيه روح المتوفى وتقيم فيه في عالم البرزخ .

ما هو المقصود بضغط القبر :

وكذلك فإن المقصود بضغط القبر ليس ضيق جدرانه واقتربها من بعضها بحيث أنها تضغط بقوة على جسم الميت وتؤذيه ، بل هو الضغط اللامرئي واللامحسوس الذي يتعرض له الميت روحاً وجسداً في قبر البرزخ مما يسبب له الكثير من الألم والعذاب .

لقد وردت الكثير من الآيات في القرآن الكريم حول عوالم بعد الموت والثواب والعقاب في الآخرة ، والكثير من هذه الآيات تبدو غامضة بالنسبة لنا إذا حاولنا تفسيرها من منطلق مادي ووفقاً للمحاسبات الظاهرية . فلو أن الأفراد التزموا حدودهم ولم يجعلوا فهمهم وإدراكهم القاصر المحدود معياراً لإدراك جميع الحقائق، ولو أنهم التزموا الصمت حيال الأمور التي يعرفونها لما ابتلوا بالكفر والإلحاد ، ولما انحرفوا عن مسير الحق ولما نالهم العذاب الإلهي .

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : « لو أنَّ العبادَ إذا جهلُوا وقَفُوا وَلَمْ يَجْحَدُوا لَمْ يَكْفُرُوا »^(١).

(١) أصول الكافي ، المجلد ٢ ، صفحة ٣٨٨ .

المحاضرة الثامنة

عالم البرزخ وبطلان نظرية التناسخ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾^(١).

البرزخ أو عالم بعد الموت :

عندما تنتهي حياة الشخص في هذه الدنيا ويموت فإن روحه تنفصل عن جسمه وتنتقل إلى عالم البرزخ حيث تواصل حياتها في ذلك العالم ، وذلك استناداً إلى ما أبلغ به الأنبياء المبعوثين من قبل الله . وإذا كان الميت شخصاً صالحاً فسيحصل في ذلك العالم على أجر ما قام به من أعمال صالحة في الدنيا ، وإذا كان شخصاً فاسقاً مرتكباً للذنوب والمعاصي فسوف يتعذب بعقاب ما قام به من أعمال سيئة . ويبقى هذا الوضع مستمراً حتى تقوم القيامة ويبعث الناس من قبورهم بأمر الله حيث يحضرون محكمة العدل الإلهي للتدقيق في حسابهم وقائمة أعمالهم . وكلمة البرزخ في اللغة العربية تعني الحد الفاصل بين شيئين، ونظراً لأن عالم ما بعد الموت هو الحد الفاصل بين حياة الدنيا المؤقتة وحياة الآخرة الخالدة فقد جاءت تسمية هذا العالم في القرآن الكريم وفي الأحاديث والروايات ، بعالم البرزخ .

(١) سورة المؤمنون ، الآية : ١٠٠ .

الثواب والعقاب في عالم البرزخ :

عن الصادق عليه السلام قال : « البرزخ القبر وهو الثواب والعقاب بين الدنيا والآخرة » (١).

وهناك الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث التي تشير إلى موضوع الثواب والأجر الذي يناله الصالحون، وكذلك العقاب والعذاب الذي يلحق بالكافرين المذنبين في عالم البرزخ . وفيما يلي نذكر آية من القرآن الكريم وحديثاً أو رواية عن الأئمة عليهم السلام حول موضوع الثواب أو العقاب الإلهي في عالم البرزخ .

أجر الشهداء :

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَاءِ آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٢).

أرواح المؤمنين وجنة البرزخ :

عن أبي بصير قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن أرواح المؤمنين فقال : « في حُجُرَاتِ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ مِنْ طَعَامِهَا وَيَشْرَبُونَ مِنْ شَرَابِهَا وَيَقُولُونَ رَبَّنَا اقِمِ السَّاعَةَ » (٣).

عذاب فرعون وأتباعه يوم القيامة :

﴿ وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ (٤).

(١) مجمع البحرين (البرزخ).

(٢) سورة آل عمران، الآيتان : ١٦٩ و ١٧٠.

(٣) تفسير البرهان، صفحة ٦٦٤.

(٤) سورة المؤمن، الآيتان : ٤٥ و ٤٦.

العذاب قبل يوم القيامة :

قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام : « ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَنَّ فِي نَارِ الْقِيَامَةِ لَا يَكُونُ غُدُوٌّ وَعَشِيٌّ » . ثم قال : « إِنْ كَانُوا يُعَذَّبُونَ فِي النَّارِ غُدُوًّا وَعَشِيًّا فَفِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ هُمْ السُّعَدَاءُ لَا وَلَكِنْ هَذَا فِي الْبَرْزَخِ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ ^(١) » .

إن الإرادة الإلهية الحكيمة في هذا النظام العالمي العام تقتضي بأن لا تعود روح الإنسان بعد الموت إلى الدنيا ودار التكليف ثانية ولتبدأ بالتالي حياة جديدة في هذا العالم ، بل إن الإرادة الإلهية الحكيمة تقتضي - وكما جاء في رسالة الأنبياء - بأن تبقى الروح في عالم البرزخ المؤقت حتى تقوم القيامة وعندها تنتقل الروح إلى دار الخلود في الآخرة .

منذ قرون ظهرت في كل من الهند والصين نظرية سميت بنظرية التناسخ وهي تتحدث (وخلافاً لما يقوله الأنبياء والمرسلين) عن عودة أرواح الناس ثانية إلى الدنيا بعد موتهم وهذه العودة تكون لمرات عديدة . وقد حظيت هذه النظرية على مرّ السنين وبصورة تدريجية ، حظيت باهتمام عدد كبير من سكان العالم الذين ظنوا بأن هذه النظرية هي نظرية واقعية حتى أن البعض تقبل هذه النظرية كعقيدة دينية .

العلماء وبطلان نظرية التناسخ :

وخلال هذه الفترة الطويلة قام علماء كبار وبارزون في مختلف أنحاء العالم بدراسة نظرية تناسخ الأرواح وانتقدوها بعد أن أثبتوا بطلانها بدلائل عديدة ، ونظراً لأن موضوع تناسخ الأرواح وعودتها إلى عالم الدنيا يرتبط بموضوع البرزخ وعوالم بعد الموت، ونظراً لأن بعض المجلات الأسبوعية نشرت مقالات حول موضوع تناسخ الأرواح مما أدى إلى تشويش أفكار بعض الشباب ، لذلك فقد رأينا من الضروري أن نبحث ونناقش هذا الموضوع بشيء من الإختصار .

(١) تفسير مجمع البيان ، المجلدان ٧ و ٨ ، حاشية هذه الآية ، صفحة ٥٢٦ .

تناسخ الأرواح وعودتها إلى الدنيا :

يتبين من خلال ما يذكره أنصار واتباع نظرية تناسخ الأرواح في مؤلفاتهم المختلفة ، أن الناس في هذا العالم يختلفون من ناحية معتقداتهم وأفكارهم وكذلك من ناحية أخلاقهم وممارساتهم وتصرفاتهم ، حيث أن هناك بعض الناس يعيشون في أعلى درجات السعادة والبعض الآخر يعيشون في أسوأ حالات الشقاء والبؤس ، كما أن البعض من الناس يعيشون حدّاً وسطاً بين أولئك وبين هؤلاء، إذن فمن المؤكد أن موقف هذه الفئات الثلاثة يختلف من حيث نظرتها إلى موضوع العودة ثانية إلى الدنيا بعد الموت .

المتكاملون السعداء :

الحكيم السبزواري قدس سره يبيّن عقيدة أصحاب نظرية تناسخ الأرواح حول المجموعة المتكاملة على النحو التالي :

إن الكاملين من السعداء تتصل نفوسُهُم (أرواحهم) بعد المفارقة (الموت) بالملأ الأعلى (بمجموعة الصالحين الذين يعيشون في أعلى عليين) وتنال من السعادة ما لا عين رأت ولا أُذُن سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ^(١).

«إن الأرواح تسلك بعد الموت طريقين ، هما طريق الآلهة وطريق الأجداد . طريق الآلهة هو الطريق الذي يسلكه العرفاء الصالحون الذين اختاروا العزلة في الغابات وتوصلوا إلى الواقعية المطلقة نتيجة إعراضهم عن الدنيا وتركهم إياها . وهذه الأرواح تذهب بعد الموت إلى النار وبعد ذلك تسلك طريق ضوء اليوم وشبه ضوء الشهر حيث تنتقل بعدها تلك الأرواح إلى شبه ضوء السنة لتصل إلى الشمس والقمر . وفي نهاية المطاف ترتقي تلك الأرواح إلى مرقد هاو هو «براهما» .

(١) شرح المنظومة، للسبزواري، صفحة ٣١٣.

ويعني ذلك أن الروح عندما تصعد إلى طريق الآلهة ، تصل إلى الأماكن الأكثر نوراً وضياءً والتي يتركز فيها ضوء العالم بأكمله . وهذه المراحل من النور هي درجات ورتب موجودة في الطريق المؤدي إلى «براهما» ، حيث أن «براهما» نفسه هو نور الأنوار وضوء الأضواء جميعها»^(١) .

نيل الكمال المطلق :

هؤلاء المتكاملون السعداء ، يصلون بعد الموت إلى الكمال المطلق ويتصلون أو يلتحقون بمصدر النور اللامتناهي وبالتالي يتمتعون ويحظون بالعلو والسمو الحقيقي ، وهم لا يعانون من أي نقص ولا يعوزهم شيء حتى يطلبوا العودة ثانية إلى الدنيا للتعويض عن ذلك النقص وعمّا فاتهم خلال حياتهم السابقة في الدنيا من خلال السعي والعمل .

الساقطون الأشقياء : هذه الفئة تأتي في مقابل فئة المتكاملين السعداء . على أن فئة الساقطين هذه تقف في أعلى درجات الشقاء ، وأفراد هذه الفئة لا يعودون إلى الدنيا أبداً ، لأنهم وفي أيام حياتهم الدنيوية ساروا في طريق الانحراف وأغلقوا طريق السعادة أمامهم ، مما جعلهم يسقطون سقوطاً أبدياً ونهائياً لا رجعة فيه، وهؤلاء لا يستطيعون من خلال عودتهم ثانية إلى الدنيا إصلاح ماضيهم السيء المخزي، وبالتالي لا يمكنهم أن يتمتعوا بالسعادة والكمال حتى بشكل نسبي وعلى نطاق محدود .

إن الروح الأدمية تمرّ بعد الموت بسلسلة من عمليات التوالد أو التكاثر والتجديد على الصعيد الحياتي، وهذه السلسلة من عمليات التوالد والتجديد على الصعيد الحياتي كانت ولا تزال مستمرة وسوف تستمر إلى الأبد وإلى ما لا نهاية ، باستثناء حالة خاصة وهي عندما تتوحد الروح بشكل تام مع «براهما» في

(١) اديان ومكتبهاي فلسفي هند ، جلد أول چاب دانشگاه تهران ، صفحه ١١٢ .

مقام خالد في أعلى عليين ، أو عندما تسقط هذه الروح وتهوي إلى أسفل السافلين^(١).

السقوط والشقاء التام :

المذنبون الأشقياء الذين يعانون من النقائص :

بين السمو التام أو السعادة التامة والسقوط التام أو الشقاء التام هناك درجات ومراتب عديدة، حيث أن كل فئة من الفئات التي تقف بين فئتي السعداء والأشقياء^(٢) تنطبق من حيث أخلاق أفرادها وأعمالهم مع كل واحدة من تلك الدرجات أو الرتب .

فئات الوسط والعودة إلى الدنيا :

ويرى أنصار نظرية تناسخ الأرواح بأن جميع الأفراد الذين يتمنون للفئة المتوسطة تعود أرواحهم إلى الدنيا ثانية بعد موتهم ، كما أنهم يؤمنون بأن أفراد المجموعات البشرية المختلفة يعودون إلى الدنيا على هيئات مختلفة، وذلك تبعاً للأخلاق والطباع التي يتحلّى بها أفراد هذه المجموعات ، وهم يطلقون على الأشكال والهيئات التي يعود بها الأفراد إلى الدنيا تسميات مختلفة . فالعودة إلى الدنيا على شكل إنسان يسمونها «نسخ» ، والعودة إلى الدنيا على شكل حيوان يسمونها «مسخ» ، وحلول روح الإنسان في النباتات يسمونها «فسخ» ، أما حلول روح الإنسان في الجمادات فيسمونها «رَسَخ» .

«ووفقاً لما يقوله [كارما] فإن كل إنسان مثله مثل المزارع الذي يحصد إنتاجه الزراعي ، حيث أن جملة أقوال وأفعال وأفكار الفرد تترك تأثيراً ثابتاً في روحه يجعله مستعداً في حالة التناسخ أي في الحياة التالية ، لاتخاذ شكل أو هيئة تتناسب مع حالة التناسخ تلك

(١) تاريخ جامع أديان، صفحة ١٠٥ .

(٢) ويطلق عليها اصطلاح فئات الوسط أو الفئات المتوسطة (المترجم).

ويتخذ هذا الفرد بالتالي جسداً جديداً يتناسب مع الهيئة التي نسخ فيها . فالذين قاموا بأعمال صالحة خلال حياتهم الدنيوية فإن أرواحهم تستقر بعد مماتهم في أرحام طيبة مستطابة كرحم امرأة من [البراهما] أو من [الكاشاتاريا] أو من [الويسيا] وذلك حسب المرتبة التي وصلت إليها هذه الروح والمقام الذي تبوأته ، أما أرواح الأشخاص السيئين الأشرار فإنها تستقر بعد مماتهم داخل أرحام غير طيبة وغير نظيفة ، كرحم أنثى الكلب أو الذئب أو الخنزير أو بشكل عام في رحم امرأة من طبقة ساخلة [باريا] ^(١) « ^(٢) .

التناسخ الإستكمالي : يعتقد أنصار نظرية تناسخ الأرواح أن عودة الأرواح إلى الدنيا تتم في بعض الحالات بهدف التعويض عن النقائص والوصول بالنفس إلى مرحلة الكمال ونيل العلى وارتقاء أعلى درجات السمو الإنساني . يقول السيد «فريد وجدي» ^(٣) في هذا المجال :

التناسخ هو مذهب بعض الأديان مؤداه أن الروح بعد مفارقتها للأبدان تعود إلى أبدان أخرى حيوانية أو إنسانية لتتم تكاملها وتستأهل الحياة بين الأرواح العالية في حظيرة القدس ^(٤) .

(١) [باريا] مأخوذة من كلمة Para السنسكريتية وتطلق هذه التسمية على طبقة من الشعب الهندي تعتبر نجسة وقذرة في نظر طبقات الشعب الأخرى . كما تطلق هذه التسمية على الأفراد المحرومين من الحقوق الدينية والاجتماعية وبالتالي فهم مطرودون من المجتمع البراهمي الذي يعتنق الدين البراهمي . نقلاً عن [فرهنگ عميد] باب حرف الـ [پ]
المترجم .

(٢) تاريخ جامع أديان ، صفحة ١٠٦ .

(٣) الدكتور محمد فريد وجدي كاتب فلسفي وصاحب موسوعة دائرة معارف القرن العشرين (المترجم) .

(٤) دائرة المعارف ، المجلد ١٠ ، صفحة ١٧٢ .

التناسخ من وجهة نظر الإسلام :

إن العودة إلى الدنيا للقيام بالأعمال الصالحة والحصول على الشروط المطلوبة للتعايش مع الأرواح السامية ، أمر لا يقرّه الإسلام وترفضه سنة الخليقة كما أن القرآن الكريم يعتبر هذا الأمر مستحيلاً . فالأشخاص المذنبين الوقحين المتجاسرين الذين لم يشعروا بالمسؤولية الملقاة على عاتقهم في الدنيا ويعتبرون أنفسهم في الدنيا أحراراً يتصرفون دون أي قيد أو شرط، هؤلاء الأشخاص عندما يموتون يكشف نقاب الغيب أمام أبصارهم، فيشاهدون سيئات أعمالهم التي قاموا بها في الدنيا فينتابهم الخوف والقلق الشديد ، ويطلبون إعادتهم إلى الحياة الدنيامرة أخرى ، ولسان حالهم يقول : ﴿ رَبِّي ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ فيأتيهم الجواب : ﴿ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾^(١).

تصور باطل ومستحيل :

الثواب والعقاب : المؤمنون بنظرية التناسخ يقولون : إن أحد أسباب عودة الأرواح إلى الدنيا هو لكي يتمتع الصالحون مرة أخرى بالثواب ويحصلوا على الأجر على أخلاقهم الحميدة وأعمالهم الصالحة التي قاموا بها خلال حياتهم الدنيوية، ولكي ينال الأشرار والفاسقون في المقابل عقاب سيئات أعمالهم في الدنيا . وهناك الكثير من الأفراد من ذوي الأخلاق والسجايا الإنسانية الحميدة الذين أمضوا حياتهم وقضوا أعمارهم في التقوى وعمل الخير والصلاح والصدق ولكنهم كانوا يعانون دائماً من الفقر والمرض والحرمان بمختلف أنواعه . هؤلاء ينالون ثواب أخلاقهم الحميدة وأعمالهم الصالحة خلال عودتهم إلى الدنيا وينعمون برفاهية العيش وهم في صحة وعافية ، وهناك أشخاص كانت لهم خلال حياتهم السابقة أخلاق سيئة وصفات مذمومة، بحيث أن الناس كانوا يعانون

(١) سورة المؤمنون ، الآيتان : ٩٩ و ١٠٠ .

أشدّ المعاناة من أقوال وأفعال هؤلاء الذين لم يكفوا عن ارتكاب الذنوب قولاً وعملاً. ولكن في الوقت نفسه نرى أن هؤلاء الأشخاص يتمتعون بكامل الصحة والسلامة الجسدية ويعيشون في بحبوحة ورفاهية وينعمون بكل أنواع الملذات هؤلاء يمسحون لدى عودتهم إلى الحياة الدنيا على هيئة حيوانات أو حشرات أو حتى على هيئة إنسان ناقص أو معوق أو مريض أو منبوذ من قبل المجتمع وذلك وفقاً لما كانت عليه أخلاقهم وتصرفاتهم في حياتهم الأولى . وفي كل هذه الحالات التي ذكرناها فإن مثل هؤلاء الأشخاص يعيشون لدى عودتهم مرة أخرى إلى دار الدنيا معذبين نفسياً وجسدياً .

تغيير الشكل أو الهيئة وفقاً للصفات الخلقية للفرد :

« وأما غير الكاملين كالمتوسطين والناقصين في الغاية والأشقياء على طبقاتهم فتنقل نفوسهم من هذه الأبدان إلى أبدان أخرى، فأى خلق يغلب على النور الأسفهبـد (الروح) وأية هيئة ظلمانية تتمكن فيه يوجب أن يكون بعد فساد صيصية (البدن أو الجسم) منتقلاً إلى صيصية متناسبة لتلك الهيئة الظلمانية من الحيوانات المتنكسة الرؤوس ، كانتقال نفس (الشخص) الحريص إلى خنزير ونفس (الإنسان) السارق إلى الفأرة»^(١).

ويشير كتاب «أسرار الحكم» في باب تناسخ الأرواح إلى حيوانات أخرى تحل فيها الأرواح الملوثة بالأخلاق الذميمة والصفات والسجاياء والطباع السيئة غير المحببة حيث يقول مؤلف الكتاب : إن الخنزير هو رمز للشهوة الحيوانية والحيوانات المفترسة رمز للغضب الحيواني والأسد رمز للتكبر والنمل رمز للحرص والطمع وأما العقارب والأفاعي فهي ترمز إلى غريزة إيذاء الناس . (أي أن أصحاب نظرية تناسخ الأرواح يعتقدون بأن الأشخاص الذين أطلقوا العنان لغرائزهم وشهواتهم الحيوانية خلال فترة حياتهم الدنيوية فإن أرواحهم

(١) شرح المنظومة ، للحكيم السبزواري ، صفحة ٣١٣ .

تحلّ في أجسام الخنازير أي أنهم يعودون إلى الدنيا ثانية على هيئة خنازير . أما الأشخاص الذين كانوا يفضبون كثيراً خلال فترة حياتهم الأولى في الدنيا فإنهم يعودون إليها على هيئة حيوانات مفترسة ، أما الذين كانوا متكبرين ومغرورين في الدنيا فإن أرواحهم تحل في أجسام الأسود، أي أنهم يعودون إلى الدنيا على شكل أسود، وهكذا لسائر الأشخاص الذين كانت لهم في الدنيا صفات وطباع سيئة فهم يعودون إلى الدنيا على شكل حيوانات مختلفة (١).

الأشخاص ذوي الطباع الشرسة :

هناك في المجتمعات البشرية أشخاص كثيرون لهم ظاهر بشري ويعيشون بين البشر ويظنهم الناس بشراً، ولكنهم من الناحية الروحية ومن ناحية الملكات والخصال النفسانية لهم أخلاق وطباع كطباع الحيوانات المفترسة أو اللاسعة أو سائر الحيوانات والحشرات الأخرى . وعن هؤلاء يقول الإمام علي عليه السلام : « فالصُّورَةُ صُورَةُ إِنْسَانٍ وَالْقَلْبُ قَلْبُ حَيَوَانٍ » (٢).

في يوم القيامة يصبح الباطن علناً وظاهراً وتصبح السرائر والضمائر ظاهرة للعيان، حيث يحشر كل إنسان وفقاً لهيئته النفسانية وحالته الروحية . فالشخص الذي عاش في الدنيا إنساناً وتمتع بالسجايا والخصال الإنسانية فإنه يحشر في الآخرة على شكل إنسان ، أمّا الشخص الذي عاش إنساناً في الظاهر وكانت أخلاقه وطباعه طباع حيوانية فإنه يحشر يوم القيامة على هيئة الحيوان الذي يرمز إلى تلك الطباع أو الخلق أو الصفة السيئة (أي أنه يحشر على هيئة خنزير إذا كان يتبع غرائزه وشهواته الحيوانية أو على هيئة أفاعٍ وعقارب إذا كان ممن يُمعنون في إيذاء الناس في الدنيا) (٣).

(١) المترجم .

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ٨٧ .

(٣) المترجم .

عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال : « يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى نِيَّاتِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »^(١).

اعتقاد مخالف لتعاليم الأنبياء :

إن الأشخاص الفاسقين المذنبين يتغير شكلهم تبعاً لطباعهم وسجاياهم النفسية وهذا التغير في الشكل هو بحد ذاته نوع من أنواع العذاب في الآخرة ولا علاقة له بالدنيا ، أما أصحاب نظرية تناسخ الأرواح فيتصورون بأن هذا العقاب الأخروي يطال الإنسان خلال عودته إلى الدنيا وهم يقولون : باستثناء عدد قليل من الذين وصلوا إلى مرحلة التكامل النهائي أو بالعكس ممن وصلوا إلى مرحلة السقوط النهائي ، فإن باقي الناس وهم الأكثرية الساحقة من أبناء البشر يعودون إلى الدنيا بعد الموت وفي كل مرة ينالون ثواب أو عقاب أعمالهم في هذه الدنيا بالذات ، وعلى هذا الأساس لم يعد هناك مكان أو لا داعي أساساً لوجود يوم القيامة والحساب والجنة والنار والثواب والعقاب في عالم الآخرة كما يعتقد بذلك أصحاب نظرية تناسخ الأرواح ، ولهذا السبب فإن هذه النظرية تتعارض مع الأسس التي تقوم عليها رسالات الأنبياء وبالتالي تتعارض مع مبادئ الدين الإسلامي حيث أن الأئمة عليهم السلام أعلنوا بكل صراحة ووضوح بأن نظرية التناسخ هي كفر محض .

الكفر بالله وإنكار القيامة :

قال المأمون للرضا عليه السلام : يا أبا الحسن ، ما تقول في القائلين بالتناسخ ؟ فقال الرضا عليه السلام : « من قال بالتناسخ فهو كافر بالله العظيم يكذب بالجنة والنار »^(٢).

أحد الزنادقة وجه أسئلة مختلفة للإمام الصادق عليه السلام بينها هذا السؤال : ما

(١) مشكاة الأنوار ، صفحة ١٤٧ .

(٢) سفينة البحار للشيخ عباس القمي ، نسخ ، صفحة ٥٨٥ .

هو أساس الاعتقاد بتناسخ الأرواح ؟ وما هي الأدلة والبراهين التي يذكرها أصحاب هذه العقيدة لإثبات عقيدتهم ؟ .

وقد أجاب الإمام الصادق عليه السلام على هذا السؤال بشكل مفصل وقال عليه السلام ما معناه :

الإنحراف عن طريق الدين القويم :

لقد أضاع القائلون بالتناسخ طريق الدين القويم واستحسنوا سبل الضلال في ضمائرهم وأطلقوا العنان لشهواتهم الحيوانية وأهوائهم النفسية . «وَزَعَمُوا أَنَّهُ لَا جَنَّةَ وَلَا نَارَ وَلَا بَعْثَ وَلَا نُشُورَ وَالْقِيَامَةَ عِنْدَهُمْ خُرُوجُ الرُّوحِ مِنْ قَالِبِهِ وَوُلُوجِهِ فِي قَالِبٍ آخَرَ ، فَإِنْ كَانَ مُحْسِنًا فِي الْقَالِبِ الْأَوَّلِ أُعِيدَ فِي قَالِبٍ أَفْضَلَ مِنْهُ حُسْنًا فِي أَعْلَى دَرَجَةٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِنْ كَانَ مُسِيئًا أَوْ غَيْرَ عَارِفٍ صَارَ فِي بَعْضِ الدَّوَابِّ الْمُتَعَبَةِ فِي الدُّنْيَا أَوْ هَوَامٍ مُشَوَّهَةِ الْخَلْقَةِ » (١) .

القيامة من وجهة نظر أصحاب التناسخ :

إن مسألة تناسخ الأرواح (أي عودة الأرواح إلى الدنيا وحلولها في أجساد بشرية أو غير بشرية) تتعارض مع رسالة الأنبياء وتؤدي إلى الكفر بالله وإنكار المعاد وإنكار مبدأ الثواب والعقاب في الآخرة، وليس هذا فحسب، بل إن نظرية التناسخ مرفوضة أيضاً من الناحية العلمية ولا يقرها العلماء والفلاسفة الذين يذكرون في كتبهم بعض الأدلة والبراهين على بطلان هذه النظرية .

ولمزيد من الإيضاح نشير في بحثنا هذا إلى بعض هذه الأدلة ولكن قبل أن نستعرض هذه الأدلة لا بد من توضيح الاختلاف الموجود في وجهات النظر حول ظاهرة الروح .

نظريتين حول خلق الروح :

الذين يعتبرون أن الروح مخلوقة يستندون إلى نظريتين حول نشوء الروح : أصحاب النظرية الأولى يقولون : إنَّ الروح خلقت قبل الجسم وهذه

(١) كتاب الإحتجاج، للطبرسي، صفحة ٨٩ .

الروح تبقى بعد زوال وفناء الجسم . إذن طبقاً لنظرية هؤلاء فإن روح الإنسان روحانية الحدوث وروحانية البقاء . أمّا أصحاب النظرية الثانية بأن روح الإنسان خلقت مع جسمه في وقت واحد، وهذه الروح تنشأ وتظهر نتيجة تطورات النطفة والتغيرات المتتالية التي تحدث في الجسم والتكامل النهائي للمادة ولهذا السبب فهم يقولون بأن الروح جسمانية الحدوث وروحانية البقاء .

خلق الروح قبل الجسم :

بعض العلماء والفلاسفة المسلمين يؤيدون النظرية الأولى ويعتقدون بأن الأرواح خلقت قبل الأجساد ، ومن هؤلاء المرحوم الشيخ الصدوق (رضوان الله عليه)، وهم يستشهدون في هذا المجال ببعض الأحاديث والروايات ومن بينها هذا الحديث الشريف :

عن النبي ﷺ قال : « خَلَقَ اللهُ الأرواحَ قَبْلَ الأجسادِ بألفي عام »^(١).

قال الشيخ المفيد (نور الله ضريحه) في شرحه على العقائد :^(٢).

« وأما ما ذكره أبو جعفر ورواه أن الأرواح مخلوقة قبل الأجساد بألفي عام ، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف فهو حديث من أحاديث الآحاد وخبر من طرق الأفراد وله وجه غير ما ظنّه وهو أن الله تعالى خلق الملائكة قبل البشر بألفي عام فما تعارف منها قبل خلق البشر ائتلف عند خلق البشر وما لم يتعارف منها إذ ذاك اختلف بعد خلق البشر »^(٣).

وهناك البعض من العلماء والفلاسفة المسلمين من أنصار النظرية الثانية يعتبرون الروح جسمانية الحدوث (أي أن الروح خلقت مع الجسم) وروحانية البقاء، ومن هؤلاء المرحوم «صدر المتألهين الشيرازي» الذي اتخذ من الحركة

(١) كتاب السماء والعالم ، صفحة ٤٢٥ .

(٢) العقائد للشيخ الصدوق .

(٣) كتاب السماء والعالم ، صفحة ٤٠٩ .

الجوهرية أساساً لاستدلالة في هذا المجال ويقول : إن الروح هي وجود مجرد ينشأ من تكامل الجسد وتحول المادة ، والمرحوم صدر المتألهين يستشهد في هذا المجال بآية وردت في القرآن الكريم يشرح فيها الله (سبحانه وتعالى) التغيرات التي تطرأ على النطفة داخل رحم الأم ويقول (عز من قائل) :

﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ (١).

روح الإنسان أو المخلوق الآخر :

هذا المخلوق الآخر هل يستأهل أن يكون روح الإنسان ؟ هذه الروح التي نسبها الله إليه : ﴿ وَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا ﴾ وزودها بطاقات ومؤهلات لا محدودة من أجل أن تسمو في طريق العلى والكمال ؟ وهل أن هذا المخلوق الآخر (الإنسان) هو مهم من ناحية عملية خلقه إلى هذه الدرجة ، بحيث أن الله (عز وجل) وبعد أن انتهى من خلق الإنسان اعتبر نفسه جديراً بأعلى درجات التعظيم ووصف نفسه بأنه أحسن الخالقين ، حيث يقول : (سبحانه وتعالى) في القرآن الكريم : ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ (٢).

سؤال الزنديق ورد الإمام الصادق (ع) :

ذكرنا من قبل بأن أحد الزنادقة التقى بالإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام وسأله بعض الأسئلة بينها سؤال عن الروح .

قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنِ الرُّوحِ أَغِيرُ الدَّمَ ؟ قَالَ : « نَعَمْ ، الرُّوحُ عَلَى مَا وَصَفْتُ لَكَ مَادَّتُهَا مِنَ الدَّمِ فَإِذَا جَمَدَ الدَّمُ فَارَقَ الرُّوحُ الْبَدَنَ » . قَالَ : هَلْ يُوصَفُ بِخَفَّةٍ وَثَقَلٍ وَوَزْنٍ ؟ قَالَ (الصادق عليه السلام) : « لَيْسَ لَهَا ثَقَلٌ وَلَا وَزْنٌ » قَالَ :

(١) (٢) سورة المؤمنون ، الآية : ١٤ .

أفتلاشى الرُّوحُ بَعْدَ خروجه من قَالِبِهِ أم هُوَ باقٍ ؟ قال عليه السلام : « بَلْ هُوَ باقٍ إلى وقتٍ يُنفَخُ في الصُّورِ »^(١).

الإِستِرشاد بكلام الإمام (ع) :

الذين يعتبرون الروح جسمانية الحدوث وروحانية البقاء بإمكانهم أن يستفيدوا من القسم الأول من كلام الإمام الصادق عليه السلام حيث يقول : « الرُّوح مادَّتُها من الدَّم » لإثبات موضوع الحدوث الجسماني للروح ، كما أن بإمكانهم أن يستفيدوا من القسم الأخير من كلام الإمام عليه السلام حيث يقول : « الرُّوحُ باقٍ إلى وقتٍ يُنفَخُ في الصُّورِ » لإثبات بقائها الروحاني . وعلى أية حال سواء اعتبرنا الروح جسمانية الحدوث وروحانية البقاء أو اعتبرناها روحانية الحدوث وروحانية البقاء فإن الفلاسفة والعلماء في كلا الحالتين يعتبرون نظرية التناسخ وعودة أرواح الموتى إلى الدنيا ثانية ، يعتبرونها مرفوضة وباطلة .

كلام للفيلسوف صدر المتألهين :

١ - الفيلسوف المشهور صدر المتألهين الشيرازي يقول في هذا المجال :
قد علمتُ أن النفس في أول الكون درجتها درجة الطبيعة ثم يترقى شيئاً فشيئاً حسب استكمالات المادة حتى يجاوز درجة النبات والحيوان ، فالنفس متى ما حصلت لها فعلية ما فيستحيل أن يرجع تارة أخرى إلى القُوَّة المحضة والإستعداد ثم إنه قد مضى أن الصورة والمادة شيء واحد له جهتا فعل وقُوَّة وهما معاً يتحركان في الإستكمال بإزاء كل استعداد فعلية خاصة ، فمن المُحال أن يتعلق نفسٌ جاوزت درجة النباتية والحيوانية إلى مادة المني والجنين^(٢).

كلام في بطلان نظرية التناسخ :

٢ - أمّا التناسخ فلأنه إذا اشتغلت النفس بتدبير نطفةٍ استعدت لقبول التأثير

(١) كتاب الإحتجاج ، للطبرسي ، المجلد ٢ ، صفحة ٩٧ .

(٢) شواهد الربوبية ، صفحة ١٦١ .

والتدبير واستحقت لإفاضة النفس عليه من الواهب الذي هو مبدأ النفوس والصور على كل قابلٍ مستحقٍّ استحقاقاً بالطبع لا بالجزاف، فيؤدي ذلك إلى أن يجمع لبدنٍ واحدٍ نفسين، وهو محال لا متناع كون الشيء ذا ذاتين أعني ذا نفسين وما من شخصٍ إلا وهو يشعر بنفسٍ واحدةٍ له ، فالتناسخ مطلقاً ممتنع^(١).

الروح والحوادث التي تمر في حياة الشخص :

٣ - إن روح كل إنسان تتضمن الكثير من الأحداث والوقائع التي يمر بها الفرد في حياته وإن هذه الروح تتذكر الحوادث التي مرت بها خلال وجودها في الدنيا . على أن أرواح العلماء تستوعب ليس فقط الأحداث والذكريات العادية ، بل إنها تستوعب أيضاً العلوم والفنون التي اكتسبها هؤلاء العلماء خلال فترة حياتهم الدنيوية . وعندما يموت الشخص وتنفصل روحه عن جسده فإن المعلومات التي اكتسبها الميت خلال حياته ليس فقط لا تزول ولا تمحى، بل وكما تشير إليه بعض الآيات القرآنية والروايات المنقولة عن الأئمة عليهم السلام فإن روح المتوفى تصبح على اطلاع أكثر بماضيها، حيث تتذكر هذه الروح حسنات وسيئات دنياها بشكل أفضل . وإذا كانت نظرية التناسخ وعودة الأرواح الموتى إلى الدنيا صحيحة لكان على الناس جميعاً أن يتذكروا - إلى حدٍّ ما - عهودهم السابقة أو على الأقل يتذكروا أحداث الفترة التي سبقت فترة حياتهم الحالية، واسم المدينة التي كانوا يعيشون فيها والبلد الذي ينتمون إليه واللغة التي كانوا يتحدثون بها ويتذكروا أسماء أصدقائهم وأعدائهم وأموراً أخرى من هذا القبيل .

ولكن لم يشاهد بين المليارات من أفراد البشر الذين ولدوا على مدى قرن من الزمان ، لم يشاهد بين هؤلاء ولا شخص واحد يتذكر حوادث جرت في فترة سابقة أو عهود سابقة ويتحدث بالتالي عن حياته في فترة ماضية .

(١) المبدأ والمعاد، صفحة ٢٣٨ .

بطلان نظرية التناسخ من وجهة نظر الدين والعلم :

وخلاصة ما أشرنا إليه أن التناسخ هو من الناحيتين الدينية والعلمية تصور باطل لا أساس له من الواقعية، وأن عودة أرواح الموتى إلى الدنيا هو اعتقاد غير واقعي ولا يمكن أن يتحقق ، وأن ما نستنتجه من أقوال الأئمة عليهم السلام هو أن أرواح البشر عندما يموتون وتغادر أجسادهم الأصلية ، هذه الأرواح تستقر في عالم البرزخ وهي على هيئة تشبه الأجساد التي كانت فيها ، وتبقى هذه الأرواح بهذه الصور تعيش في سعادة أو عذاب في عالم البرزخ (وذلك وفقاً لما قام به أصحاب هذه الأرواح من أعمال صالحة أو سيئة في الدنيا) حتى تقوم القيامة .

المؤمن والنعم الإلهية في عالم البرزخ :

الإمام الصادق عليه السلام يشير في حديث مع «يونس بن ظبيان» إلى موضوع روح المؤمن ويقول : « فَإِذَا قَبِضَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ صَيَّرَ تِلْكَ الرُّوحَ فِي قَالِبٍ كَقَالِبِهِ فِي الدُّنْيَا فَيَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ فَإِذَا قَدِمَ عَلَيْهِمُ الْقَادِمُ عَرَفُوهُ بِتِلْكَ الصُّورَةِ الَّتِي كَانَتْ فِي الدُّنْيَا »^(١).

المشرك والعذاب الإلهي في عالم البرزخ :

عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سَأَلْتُهُ عَنْ أَرْوَاحِ الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ : « فِي النَّارِ يُعَذَّبُونَ يَقُولُونَ رَبَّنَا لَا تَقِمْ لَنَا السَّاعَةَ وَلَا تُنْجِزْ لَنَا مَا وَعَدْتَنَا وَلَا تُلْحِقْ آخِرَنَا بِأَوَّلِنَا »^(٢).

وعندما ينتهي عمر الإنسان ويموت تنقطع علاقته بجميع مظاهر وشؤون الدنيا، إلا بأعماله الصالحة أو السيئة التي قام بها خلال فترة حياته الدنيوية ، فأعمال الإنسان تبقى ملازمة له ولا تنفصل عنه أبداً .

(١) كتاب أصول الكافي ، المجلد ٣ ، صفحة ٢٤٥ .

(٢) نفس المصدر السابق .

صديق الإنسان في حياته ومماته:

عن علي عليه السلام قال : « إِنَّ لِلْمَرْءِ الْمُسْلِمِ ثَلَاثَةَ أَخِلَاءَ . فَخَلِيلٌ يَقُولُ لَهُ : « أَنَا مَعَكَ حَيًّا وَمَيِّتًا » وَهُوَ عَمَلُهُ وَخَلِيلٌ يَقُولُ لَهُ : « أَنَا مَعَكَ حَتَّى تَمُوتَ » وَهُوَ مَالُهُ فَإِذَا مَاتَ صَارَ لِلْوَرَثَةِ وَخَلِيلٌ يَقُولُ لَهُ : « أَنَا مَعَكَ إِلَى بَابِ قَبْرِكَ ثُمَّ أُخْلِكَ وَهُوَ وَلَدُهُ » (١).

يقول قيس بن عاصم : جئت أنا وجمع من بني تميم إلى المدينة من مكان بعيد والتقينا بالرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم فقلت له عظنا يا رسول الله موعظة ننتفع بها لأننا من سكان البادية ونقضي معظم أيامنا في الصحاري وقلما نأتي إلى المدينة .

ما يرافق الميت في القبر :

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : يَا قَيْسُ إِنَّ مَعَ الْعِزِّ ذُلًّا وَإِنْ مَعَ الْحَيَاةِ مَوْتًا وَإِنْ مَعَ الدُّنْيَا آخِرَةٌ وَإِنْ لِكُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا وَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا وَإِنْ لِكُلِّ حَسَنَةٍ ثَوَابٌ وَلِكُلِّ سَيِّئَةٍ عِقَابٌ وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ وَإِنَّهُ لَا بُدَّ لَكَ يَا قَيْسُ مِنْ قَرِينٍ يُدْفَنُ مَعَكَ وَهُوَ حَيٌّ وَتُدْفَنُ مَعَهُ وَأَنْتَ مَيِّتٌ فَإِنْ كَانَ كَرِيمًا أَكْرَمَكَ وَإِنْ كَانَ لَيْثِمًا أَسَاءَكَ ثُمَّ لَا يُحْشَرُ إِلَّا مَعَكَ وَلَا تُبْعَثُ إِلَّا مَعَهُ وَلَا تُسْأَلُ إِلَّا عَنْهُ فَلَا تَجْعَلُهُ إِلَّا صَالِحًا فَإِنَّهُ إِنْ صَلَحَ أَنْسَتَ بِهِ وَإِنْ فَسَدَ لَا تَسْتَوْحِشُ إِلَّا مِنْهُ وَهُوَ فِعْلُكَ» (٢).

إن كل إنسان يقوم خلال فترة حياته في الدنيا بأعمال كثيرة كالأعمال العبادية والأخلاقية والفردية والاجتماعية والمالية وغيرها من الأعمال في كافة مجالات الحياة اليومية، ومعظم الناس تكون تصرفاتهم مزيجاً من الأعمال الصالحة والأعمال السيئة غير الصالحة، وكل هذه الأعمال يتم التدقيق فيها ويحاسب عليها أصحابها في عالم البرزخ وكذلك في عالم الآخرة (يوم القيامة).

(١) معاني الأخبار، صفحة ٢٣٢.

(٢) كتاب الأمالي للشيخ الصدوق، صفحة ٣.

ولكن قبل أن يموت الإنسان ويبدأ حسابه في عالم البرزخ فإن أعماله في الدنيا توزن في الدنيا في ميزان الرأي العام حيث يحكم الناس العاديون المحايدون في المجتمع على أعمال الإنسان الصالحة والسيئة . والنقطة المهمة في هذا المجال هي أن الإسلام يأخذ بنظر الاعتبار ما يقوله الناس عن الأشخاص ، وقد جاء في الأحاديث والروايات المنقولة عن النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام أن رأي الناس بالنسبة للشخص المتوفى له تأثير على حساب هذا المتوفى في عالم البرزخ ، وأن نظرة الناس إلى المتوفى سواء كانت نظرة إيجابية أو سلبية تدرج على رأس قائمة أعمال المتوفى .

أول ما يسجل في قائمة أعمال الإنسان :

عن النبي ﷺ قال : « أَوَّلُ عُنْوَانِ صَحِيفَةِ الْمُؤْمِنِ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ مَا يَقُولُ النَّاسُ فِيهِ إِنْ خَيْرًا فَخَيْرًا وَإِنْ شَرًّا فَشَرًّا » (١).

عن علي عليه السلام : « إِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يَجْرِي اللَّهُ لَهُمْ عَلَى السُّنَنِ عِبَادِهِ » (٢).

إن ما يقوله الناس البعيدون عن التعصب والأحقاد الشخصية حول شخص معين بالذات ، ليس جزافاً وعبثاً ، بل إنه يرتبط بطبيعة أفعال وأقوال هذا الشخص في المجتمع الذي يعيش فيه . فالذين يلتزمون بمبادئ الفضيلة والصدق والأمانة ويراعون الحقوق القانونية والقيم الأخلاقية لجميع الذين يعيشون معهم . هؤلاء محبوبون ويحظون بمكانة خاصة في المجتمع وفي قلوب الناس الذين يذكرونهم بكل خير وحسن . أما الذين لا يلتزمون بمبادئ الفضيلة والصدق ولا يراعون حقوق الآخرين ، بل وينتهكون هذه الحقوق فإن المجتمع ينبذهم ويطردهم ويذكرهم الناس بالسوء وينظرون إليهم نظرة ازدراء وتذمر

(١) بحار الأنوار ، المجلد ١٧ ، صفحة ١٧٠ .

(٢) سفينة البحار ، المجلد ٢ ، (مادة : صلح) .

واستياء . إذن فإن ما يقوله الناس (من خير أو شر) عن الشخص المتوفى يدرج في صحيفة أعماله لأن الناس عندما يذكرون الميت بالخير فإن ذلك دليل على صلاح هذا الشخص المتوفى وصدقه وصواب أعماله التي قام بها في الدنيا . ولهذا السبب أوصى الأئمة عليهم السلام الناس بأن يتصرفوا ويعملوا خلال حياتهم الدنيوية بطريقة تجعلهم يحظون بمحبة الناس، وتجعل هؤلاء الناس يذكرونهم بالخير والحسن في حياتهم وبعد مماتهم .

عن علي عليه السلام قال : « خَالِطُوا النَّاسَ مَخَالِطَةً إِنْ مِتُّمَ مَعَهَا بَكُوا عَلَيْكُمْ وَإِنْ عِشْتُمْ حَنَوْا إِلَيْكُمْ »^(١).

نهاية دار التكليف (الدنيا) :

الدنيا هي دار التكليف (أي إن الدنيا هي مكان يجب على الإنسان أن يؤدي ما كُلف به من واجبات)^(٢) أما البرزخ والآخرة فهما دارا ثواب وعقاب ، والموت هو الحد الفاصل بين هذين العالمين (عالم الدنيا وعالم البرزخ والآخرة) . وعندما يقع الموت ويحين أجل المرء فإن مرحلة السعي والعمل تتوقف وتنتهي ويتوقف الإنسان عن العمل والسعي ، وتنزع منه القدرة على القيام بالأعمال الصالحة أو السيئة ، ولهذا فإنه بعد أن يقع الموت فإن أي أحد لا يستطيع أن يغير وضعه الراهن ويجري تغييراً على صحيفة أعماله .

يقول علي عليه السلام : « لَا عَنْ قَبِيحٍ يَسْتَطِيعُونَ انْتِقَالاً وَلَا فِي حَسَنٍ يَسْتَطِيعُونَ ازدياداً »^(٣).

الفرق بين عالم البرزخ وعالم الآخرة :

رغم أن عالمي البرزخ والآخرة كلاهما دارا ثواب وعقاب ولكنهما يختلفان

(١) نهج البلاغة ، الكلمة العاشرة .

(٢) المترجم .

(٣) نهج البلاغة ، الخطبة ١٨٨ .

من جهات عديدة ، منها أنه مع وجود عالم البرزخ فإن عالم الدنيا موجود أيضاً ومستمر، حيث تموت في كل يوم مجموعة من البشر وينتقلون إلى عالم البرزخ وفي نفس الوقت يولد الكثيرون ويبدأون حياتهم في هذه الدنيا . أمّا بالنسبة لعالم الآخرة فإن الأمر ليس كذلك لأن إرادة الله (سبحانه وتعالى) شاءت أن ينتهي هذا العالم وتنتهي الحياة فوق هذه الأرض قبل حلول يوم القيامة، حيث تتفتت المنظومة الشمسية وتتلاشى الكرة الأرضية ويموت البشر وجميع الكائنات الحية دفعة واحدة . والخلاصة أنه قبل يوم القيامة لا يبقى هناك إنسان ولا دار تكليف^(١) وهذه هي مشيئة الله . وعلى ضوء هذا الاختلاف بين عالم الدنيا وعالم البرزخ فإن العلاقة بين أهل البرزخ وأهل الدنيا تبقى قائمة إلى حد ما طالما لم تقم القيامة . وعلى هذا الأساس فإن البعض الذين يعيشون في نعيم البرزخ قد يرفعون إلى درجات أعلى ونعيم أكبر نتيجة بعض العوامل والظروف ، كما أن بعض الذين يتعرضون للعذاب في البرزخ قد يخفف عنهم العذاب أو يرفع عنهم نهائياً، أو بالعكس قد يشدد عليهم العذاب لأسباب وظروف معينة (ترتبط بدار الدنيا) .

البرزخ وزيادة النعيم أو العذاب :

إن تغيير أوضاع بعض المتنعمين أو المعذبين في عالم البرزخ وردت فيه كثير من الروايات المنقولة عن الأئمة عليهم السلام ونشير فيما يلي إلى بعض منها : قرر أحد الوجهاء الخيرين المحسنين المساهمة في مشروع لتزويج الشباب والفتيات من جيرانه ممن لا يملكون المال اللازم لذلك . وبالفعل قام هذا الشخص بتزويج عدد من الشباب ودفع مصاريف زواجهم، وقد أدرك هذا الشخص قيمة هذا العمل الكبير وهذه الخدمة العظيمة من الناحية الأخلاقية وأيضاً من الناحية الإجتماعية ، لذلك قرر توسيع هذا المشروع الخير ليشمل كافة الشبان والفتيات

(١) المقصود بدار التكليف : الدنيا حيث الإنسان فيها مكلف بالقيام بالواجبات التي فرضها الله عليه .

في مدينته والذين يرغبون في الزواج ولكنهم لا يملكون المال اللازم لذلك . ولتنفيذ هذا المشروع قام هذا الشخص بإنشاء مؤسسة لهذا الغرض وجعل جزءاً كبيراً من ممتلكاته وعقاراته وقفاً لهذه المؤسسة، وقرر أيضاً أن يتولى بنفسه إدارة شؤون هذه المؤسسة على أن يتولاها أبنائه من بعده . وتواصل هذه المؤسسة الخيرية عملها حيث تقوم في كل عام بدفع نفقات زواج عدد من الشبان والفتيات، ولم يمر وقت طويل حتى تعطي هذه المؤسسة ثمارها ويتضح دورها في الحفاظ على سلامة المجتمع من الناحيتين الأخلاقية والاجتماعية والحد من انتشار الفساد الخلقي بين الشباب . وشيئاً فشيئاً ينتشر صيت هذه المؤسسة في جميع المدن ويبدأ الأفراد الخيرون المتمكنون مادياً في كل مدينة بالتفكير في إنشاء مؤسسات مماثلة في مدنهم وتسهيل أمر الزواج بالنسبة للشبان والفتيات ممن لا يملكون القدرة المالية على ذلك . وبالفعل أعلن هؤلاء المحسنون بأنهم على استعداد لدفع نفقات الزواج مساهمة منهم في منع انحراف الشباب وسقوطهم الأخلاقي . وجاء في الروايات المنقولة عن الأئمة عليهم السلام أن من سنَّ سنةً حسنةً في المجتمع وحذا الآخرون حذوه ، ففي كل مرة يعمل فيها بتلك السنة الحسنة يحصل واضع هذه السنة ومؤسسها على أجر وثواب جديدين سواء كان واضع هذه السنة حياً أو ميتاً .

الذين يستنون سنة حسنة :

عَنْ الْحُسَيْنِ عليه السلام قَالَ : « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْئاً » (١) .

ونفس الشيء بالنسبة للذي يسنُّ سنة سيئة أو سنة ضلالة ، فإن العقاب يلحق به سواء كان حياً أو ميتاً ، وكل مرة يعمل فيها بهذه السنة السيئة يسجل

(١) تحف العقول ، صفحة ٢٤٣ .

ذنب وعقاب جديد في صحيفة أعمال من وضع هذه السنة السيئة سواء كان حياً أو ميتاً .

عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال : «أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ سَنَّ سُنَّةَ ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ وَزْرٌ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ» (١) .

من يسن سنة ضلالة :

ويظهر من خلال هاتين الروايتين بأن أثر سنّ السنة دائم ومستمر وكل مرة يعمل فيها بالسنة الحسنة من قبل الآخرين فإن وازع هذه السنة ينال ثواب الذي عمل بهذه السنة، وهذا الثواب يحصل عليه وازع السنة سواء في الدنيا أو في عالم البرزخ . وكذلك بالنسبة لسنة الضلالة فكل من يعمل بها من الناس يسجل عقاب ذلك في صحيفة أعمال وازع سنة الضلالة هذه سواء كان حياً أو ميتاً . والإنسان لا يحصل فقط بعد مماته على أجر وثواب السنة الحسنة التي وضعها بل يحصل أيضاً على ثواب الصدقات الجارية التي أوجدها أثناء حياته في الدنيا .

وظالما أن هذه الصدقات الجارية موجودة ويستفيع بها الناس فإن الأجر والثواب يصل إلى صاحبها في عالم البرزخ .

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : «لَيْسَ يَتَّبِعُ الرَّجُلَ بَعْدَ مَوْتِهِ مِنَ الْأَجْرِ إِلَّا ثَلَاثُ خِصَالٍ : صَدَقَةٌ أَجْرَاهَا فِي حَيَاتِهِ فَهِيَ تَجْرِي بَعْدَ مَوْتِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . صَدَقَةٌ مَوْقُوفَةٌ لَا تُورَثُ . أَوْ سُنَّةٌ هَدَى سَنَهَا فَكَانَ يَعْمَلُ بِهَا وَعَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ غَيْرُهُ . أَوْ وَلَدٌ صَالِحٌ يَسْتَغْفِرُ لَهُ» (٢) .

الصدقة الجارية التي ورد ذكرها في الأحاديث والروايات لها معنى واسع وتدخل في إطارها أمور كثيرة جاء ذكر بعضها في الحديث الشريف التالي :

(١) سفينة البحار ، باب السنن ، صفحة ٦٦٥ .

(٢) الخصال ، للشيخ الصدوق ، صفحة ١٥١ .

المتوفى والثواب المستمر :

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «سَبْعَةٌ أَسْبَابٌ يُكْتَبُ لِلْعَبْدِ ثَوَابُهَا بَعْدَ وَفَاتِهِ رَجُلٌ غَرَسَ نَخْلًا أَوْ حَفَرَ بَيْتًا أَوْ أَجْرَى نَهْرًا أَوْ بَنَى مَسْجِدًا أَوْ كَتَبَ مَصْحَفًا أَوْ وَرَّثَ عِلْمًا أَوْ خَلَّفَ وَلَدًا صَالِحًا يَسْتَغْفِرُ لَهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ» (١).

إذا قام شخص آخر بعمل صالح للمتوفى ، فإن المتوفى ينتفع به في عالم البرزخ ، كما إذا خصص صدقة جارية باسم المتوفى . فطالما أن هذه الصدقة الجارية ينتفع بها الناس فإن ثوابها يعود إلى المتوفى .

التصدق عن الموتى :

إِنَّ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ قَالَ : «إِنَّ بَكْرًا أَخَا بَنِي سَاعِدَةَ تَوَفَّيَتْ أُمُّهُ وَهُوَ غَائِبٌ عَنْهَا فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمِّي تَوَفَّيَتْ وَأَنَا غَائِبٌ عَنْهَا فَهَلْ يَنْفَعُهَا إِنْ تَصَدَّقْتُ بِشَيْءٍ عَنْهَا قَالَ : «نعم» قَالَ : فَإِنِّي أَشْهَدُكَ أَنَّ حَائِطَ الْمَخْرِفِ صَدَقَةٌ عَلَيْهَا» (٢).

الوالدين والولد الصالح :

الولد الصالح هو كالصدقات الجارية مصدر أجر وثواب للوالدين في عالم البرزخ . فالولد الصالح يستغفر أحياناً لوالديه وهذا الأمر يجعل الوالدين يتمتعان بالعضو الإلهي والرحمة الإلهية في عالم البرزخ ، أو أن الولد الصالح يقوم بعمل خير دون أن يذكر أمه وأباه أثناء قيامه بهذا العمل الصالح ، ونظراً لأن تربية هذا الولد تربية صالحة من قبل أبويه هي التي جعلته يقوم بهذا العمل الصالح الحسن ، فإن ثواب وأجر هذا العمل الصالح الذي قام به الولد يعود إلى والديه في عالم البرزخ .

(١) مجموعة ورام ، المجلد ٢ ، صفحة ١١٠ .

(٢) المجالس الفاخرة ، للسيد شرف الدين ، صفحة ٤١ .

السيد المسيح والوحي الإلهي :

عن النبي ﷺ قال : « مَرَّ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِقَبْرِ يُعَذَّبُ صَاحِبُهُ ثُمَّ مَرَّ بِهِ مِنْ قَابِلٍ فَإِذَا هُوَ لَيْسَ يُعَذَّبُ فَقَالَ يَا رَبِّ مَرَرْتُ بِهَذَا الْقَبْرِ عَامَ أَوَّلِ فَكَانَ صَاحِبُهُ يُعَذَّبُ فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ يَا رُوحَ اللَّهِ إِنَّهُ أَدْرَكَ لَهُ وَلَدٌ صَالِحٌ فَأَصْلَحَ طَرِيقاً وَآوَى يَتِيماً فَغَفَرْتُ لَهُ بِمَا فَعَلَ ابْنُهُ » (١).

النفع الذي يعود على المتوفى في عالم البرزخ :

وخلاصة الكلام أن الشخص الذي ترك في هذه الدنيا بعد وفاته سنة هدى أو صدقة جارية أو ولداً صالحاً، فإنه يحصل على منافع وفوائد من ورائها في عالم البرزخ طالما أن الخيرات المترتبة على تلك السنة الحسنة أو الصدقات الجارية أو ذلك الولد الصالح باقية ومستمرة . وعلى أن تلك الفوائد التي يجنيها المتوفى من الصدقات الجارية أو السنة الحسنة في الدنيا ، هذه الفوائد تتمثل في تخفيف العذاب عنه في عالم البرزخ أو نجاته من العذاب نهائياً أو زيادة نعيمة في البرزخ أو رفع درجته . إن أهم سبب يجعل الفرد المسلم يواجه العذاب في عالم البرزخ هو حقوق الناس التي بذمته وهو لا ينجو من العذاب من البرزخ حتى تبرأ ذمته من أموال الناس وحقوقهم وأعراضهم وأنفسهم . وأحياناً يسعى أصدقاء المتوفى الأوفياء المخلصون له ، والذين يعرفون ما للآخرين من حقوق بذمته يسعون ما باستطاعتهم لتخليص ذمة صديقهم المتوفى من حقوق الإنسان (على اختلاف أنواعها) ويحاولون كسب رضى الآخرين الذين لهم حقوق بذمة المتوفى، وجعلهم يتنازلون عن هذه الحقوق وبالتالي يرضون عن المتوفى وهذا من شأنه أن يخفف عن كاهل المتوفى ويخلصه من المسؤولية التي يتحملها تجاه من لهم حقوق بذمته . ولكن هل يستطيع أصدقاء أو أوصياء المتوفى حل جميع مشاكله وتسديد كافة ديونه ويبرئوا ذمته تماماً وينقذوه من العذاب ؟ إن هذا الأمر

(١) بحار الأنوار ، المجلد ٣ ، صفحة ١٥٣ .

يبدو مستبعداً. إذن من الأفضل أن يبادر كل إنسان إلى إصلاح أموره وتسوية جميع حساباته مع الآخرين بنفسه ، واسترضاء أصحاب الحقوق والطلب منهم أن يسامحوه ويرضوا عنه ، طالما هو موجود على قيد الحياة في الدنيا .

إن كل إنسان عليه أن يقوم بنفسه بجميع تلك الأعمال التي يريد أن يقوم بها أوصياؤه بعد مماته ، وهذا ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام في إحدى خطبه .

عن علي عليه السلام قال : يَا بَنَ آدَمَ كُنْ وَصِيَّ نَفْسِكَ فِي مَالِكَ وَاعْمَلْ فِيهِ مَا تَوَثَّرُ أَنْ يُعْمَلَ فِيهِ مِنْ بَعْدِكَ ^(١).

(١) نهج البلاغة ، الكلمة ٢٥٤ .

المحاضرة التاسعة

الغيب المطلق والغيب النسبي . الارتباط مع الأرواح

بسم الله الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ

﴿ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ (١).

الأساس الذي تقوم عليه الأديان السماوية :

إن الأديان السماوية التي هي مصدر سعادة البشر ، تقوم على أساس الإيمان الباطني واليقين القلبي ، فالأنبياء جميعاً وعلى مرّ العصور والأزمان دعوا الناس من خلال تعاليمهم الدينية إلى الإيمان بخالق الكون وصفاته والإيمان بالملائكة وبالوحي ونبوة الأنبياء والقيامة وبعث الموتى وحساب الأعمال ومبدأ الثواب والعقاب الإلهي . ونحن نعلم بأن كل هذه الحقائق هي أمور غيبية لا يعلمها جميع الناس ، والإنسان بدون توجيه إلهي لا يستطيع أن يعرف الله حق المعرفة باعتباره ليس جسماً وليست له أعضاء وجوارح ، كما أنه لم يكن بوسعه أن يدرك كافة الصفات الإلهية ويتعرف على كل صفة من هذه الصفات بواقعية ، لولا هداية الأنبياء له .

(١) سورة يس ، الآيتان : ٢٦ و ٢٧ .

الحقائق غير الملموسة :

فعلى سبيل المثال ان الإنسان لا يستطيع أن يدرك بفكره (القاصر)، بأن الله في مجال العفو والرحمة هو أرحم الراحمين ، وفي مجال العقاب أشدّ المعاقبين ، فهذه الصفة وغيرها من الصفات الإلهية جاء ذكرها على لسان الأنبياء . كما أن الإنسان لا يعرف شيئاً عن الوحي الإلهي والملائكة ونبوة الأنبياء وعالم الآخرة وقيام الساعة (يوم القيامة) وبعث الموتى (عودة الموتى إلى الحياة يوم القيامة) والحساب والجنة والنار وأمور أخرى من هذا القبيل . والخلاصة أن جميع الأديان الإلهية تتضمن مجموعة من الأمور الغيبية والحقائق الالاملموسة وأن اتباع الديانات السماوية الحقيقيين في جميع العصور والأزمان اعتبروا أن ما جاء به الأنبياء من تعاليم وارشادات دينية تدخل كلها في إطار الوحي الإلهي المنزل عليهم، وبالتالي فهم آمنوا واعتقدوا بكل الأمور الغيبية التي جاءت بها هذه الأديان .

والقرآن الكريم يصف المؤمنين بالإسلام والمتقين الحقيقيين فيقول :

﴿ ذَلِكِ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾^(١)

الغيب المطلق في الدين :

النقطة التي يجب التمعّن فيها هي أن الغيب في دين الله على نوعين : الغيب المطلق والغيب النسبي . الغيب المطلق هو تلك الحقيقة المجهولة التي لا تنكشف طبيعتها أمام الإنسان أبداً وتحت أي ظرف من الظروف ، كالغيب المرتبط بذات الله وصفات الباريء (جلّ وعلا)، فالإنسان الذي هو كسائر الموجودات في العالم مخلوق من قبل الله كيف يستطيع بقوة فكره وعقله أن يدرك حقيقة خالقه ويستوعب علمياً حقيقة الذات الإلهية وصفات الله الالامحدودة ؟ .

(١) سورة البقرة ، الآيةان : ٣و٢ .

قصور العقل البشري :

« كَلَّتِ الْأَلْسُنُ عَنْ غَايَةِ صِفَتِهِ وَالْعُقُولُ عَنْ كُنْهِ مَعْرِفَتِهِ »^(١).

« أَنْتَ الَّذِي قَصُرَتْ الْأَوْهَامُ عَنْ ذَاتِيَّتِكَ وَعَجَزَتْ الْأَفْهَامُ عَنْ كَيْفِيَّتِكَ »^(٢).

الغيب النسبي من وجهة نظر الدين :

الغيب النسبي من وجهة نظر الدين عبارة عن تلك الحقائق المجهولة بالنسبة للإنسان لأسباب معينة وهي في نفس الوقت معلومة ووضاحة بالنسبة للإنسان أيضاً لأسباب معينة ، مثل عوالم بعد الموت فهذه العوالم غير قابلة للرؤية والمشاهدة بالنسبة للإنسان في الحياة الدنيا وبالتالي فهي مجهولة بالنسبة له . ولكن بمجرد أن يصبح الإنسان على عتبة الموت يرى تلك الأمور الغيبية الواحد بعد الآخر، حيث يرى الإنسان لحظة موته الملائكة وأرواح السابقين ويطلع على نعيم وعذاب البرزخ ، والخلاصة فإنه يطلع على الحقائق المجهولة المرتبطة بعالم بعد الموت . فإذا كان الشخص المتوفى إنساناً صالحاً من أهل الخير وكان ممن عفا الله عنهم وشملهم برحمته ونعمه فإنه يتمنى لو أن أهله وأقاربه يطلعون على الوضع الذي هوفيه، والذي يعتبر بالنسبة لهم من الأمور الغيبية المجهولة ويقفون بالتالي على الرحمة الإلهية التي شملته .

ما يرجوه المؤمن في عالم البرزخ :

وفي هؤلاء يقول القرآن الكريم : ﴿ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾^(٣) . أما الشخص الفاسق الذي ارتكب مختلف المعاصي والذنوب في الدنيا فإنه يتألم كثيراً عندما يطلع على سيئاته وخطاياها في

(١) الصحيفة السجادية ، للإمام علي بن الحسين (السجاد)، دعاء يوم الإثنين .

(٢) الصحيفة السجادية ، دعاء يوم عرفة .

(٣) سورة يس ، الآيتان : ٢٦ و ٢٧ .

عالم البرزخ . ومثل هذا الشخص يريد أيضاً من أهله وأقاربه أن يطلعوا على الوضع السيء الذي هو فيه لكي لا يسلكوا الطريق المعوج والخاطئ الذي سلكه هو وبالتالي لا يسودوا صحيفة أعمالهم .

الجشعون في عالم البرزخ :

«وَهُوَ يُنَادِي يَا أَهْلِي يَا وَلَدِي لَا تَلْعَبَنَّ بِكُمْ الدُّنْيَا كَمَا لَعِبْتَ بِي فَجَمَعْتُ الْمَالَ مِنْ حِلِّهِ وَغَيْرِ حِلِّهِ ثُمَّ خَلَفْتُهُ لِغَيْرِي فَالْمَهْنَةُ لَهُ وَالتَّبِعَةُ عَلَيَّ فَاحْذَرُوا مَا حَلَّ بِي»^(١) .

غيب القيامة بالنسبة لأهل البرزخ :

الذين يغادرون هذه الدنيا تتكشف وتظهر أمامهم الأمور الغيبية المرتبطة بعالم البرزخ الذي هو جزء من عالم بعد الموت، ولكن أموراً أخرى كانقراض وزوال العالم وقيام الساعة (حلول يوم القيامة) وبعث الموتى والحساب وتقرير مصير البشر وأموراً أخرى تتعلق بالقيامة الكبرى ، هذه كلها لا تتكشف أمام المتوفى بل تبقى في عالم الغيب . وإن الأرواح التي تعيش حالياً في عالم البرزخ لا تعلم ماذا سيكون وضعها في المستقبل ولا تدري ما الذي سيجري لها يوم المحشر . على أن غيب القيامة بالنسبة لأهل البرزخ هو كغيب البرزخ بالنسبة لأهل الدنيا ، فقد قلنا إن الإنسان عندما يموت فإنه يشاهد الأمور الغيبية المرتبطة بعالم البرزخ ، وكذلك عندما ينتهي عمر الدنيا وتقوم القيامة يشاهد أفراد البرزخ الأمور الغيبية المرتبطة بالآخرة . ففي يوم القيامة يتبين للمؤمنين وللكفار - على حد سواء - صحة وصدق ما قاله الأنبياء وثبت لهم صحة ما أخبر به الأنبياء الناس من أبناء الغيب التي كانت تصلهم عن طريق الوحي ، كما يرى الناس في البرزخ الحساب والميزان والجنة والنار ويطلعون على كافة جوانب الثواب والعقاب الإلهي .

(١) بحار الأنوار ، المجلد ٣ . صفحة ١٣٦ .

نداء أهل الجنة إلى أهل النار :

﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأُذِّنْ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾^(١).

الدنيا التي نعيش فيها ، تضم الكثير من الأمور والقضايا الغيبية ولكنها في معظمها تدخل في إطار الأمور الغيبية النسبية مثل الأمور الغيبية بعد الموت ، حيث أن هذه الأمور الغيبية تتكشف وتظهر للعيان وتصبح مشهودة بمرور الزمن . لقد أغلق الله (سبحانه وتعالى) واستناداً إلى علمه وحكمته ، أغلق أبواب المستقبل بسوجه الناس وأخفى (سبحانه وتعالى) عن الناس ما يحمله المستقبل وما تحمله الأيام والأشهر والسنوات اللاحقة من أحداث ووقائع وأسس نظام العالم بطريقة لا يستطيع معها الناس الإطلاع على ما سيجري لهم وللآخرين في المستقبل وعلى الأمور الغيبية في هذا العالم .

الناس يجهلون مستقبلهم :

﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾^(٢).

إن جهل الإنسان لمستقبله هو في حقيقته لمصلحة الحياة الفردية والاجتماعية للإنسان، ولو كان الأمر غير ذلك (أي لو كان الإنسان يعرف مستقبله ومصيره وما سيحدث له في المستقبل) لفقد الأمل في الحياة، هذا الأمل الذي هو مصدر تحرك الإنسان وسعيه ونشاطه في هذه الدنيا (وهو الذي يحفزه على العمل وبذل الجهد) ولاختلت حياة الناس واضطربت - إلى حدٍ بعيد - ولواجه البشر القلق والاضطراب .

(١) سورة الأعراف ، الآية : ٤٤ .

(٢) سورة لقمان ، الآية : ٣٤ .

النشاط والفرح نتيجة عدم العلم بالمستقبل :

وعلى سبيل المثال فإن الإنسان لا يدري متى يموت وعلى هذا الأساس فإنه يواصل حياته في هذه الدنيا بجدّ ونشاط وسعادة وفرح وإذا افترضنا أنّ هذا الشخص لم يبق من عمره سوى يومين ، وهو لا يدري بهذا الأمر ، فإننا نجده في هذه الحالة أيضاً فرحاً مسروراً يعمل بجد ونشاط وكله أمل بأن يعيش عمراً طويلاً . ولكن هذا الشخص إذا تيقّن أنه لن يعيش في هذه الدنيا سوى يومين أو عامين وأنه سيموت في اليوم الفلاني وفي الساعة الفلانية بصورة مؤكدة ، فإن هذا الشخص يعتبر نفسه ميتاً من هذه اللحظة فينتابه اليأس ويسيطر عليه الحزن حيث يعيش ما تبقى من أيام حياته بمرارة وفي غاية الكآبة . وقد يقول البعض بأننا لو كنّا نعلم الغيب وعلى علم بالمستقبل لكنّا قد استفدنا كثيراً ولكنّا قد تجنبنا الضرر والخسارة . وعلى سبيل المثال بإمكاننا (لو كنّا على علم بالمستقبل) أن نشترى سلعة معينة لكي يرتفع سعرها في المستقبل أو لكنّا بعنا سلعةً ينخفض سعرها في المستقبل .

تمني علم الغيب :

ولهذا الشخص الذي يتمنى لو أنه كان يعلم الغيب نقول إذا كان ما تريده هو علم الغيب العام أي أن الله يخلق البشر بحيث يجعله يعلم الغيب ، فإن هذا الأمر أيضاً ليس في صالحك ولا يحقق لك النفع الذي تريده والأمل الذي تبتغيه لأنك لست أنت وحدك الذي تسعى إلى المنفعة والربح وتجنب الخسارة والضرر بل إنّ الآخرين هم مثلك ونظراً لأنهم يعلمون الغيب فإنهم سيقومون بنفس العمل الذي تقوم به أنت . إذن فإن الشخص الذي عنده سلعة معينة وهو يعلم أن سعرها سيرتفع غداً فإنه لا يبيعها لك ويحتفظ بها لنفسه ليستفيد هو من ربحها . وكذلك الأمر بالنسبة للشخص الذي يعلم بأن السلعة الموجودة عندك سينخفض سعرها في المستقبل فإنه لا يشتريها منك ، بل إنه ينتظر حتى ينخفض سعرها لكي يشتريها بسعر أقل . أما إذا كان المقصود بأن تكون أنت وحدك

تعلم الغيب والآخرين غافلون يجهلون ما يخفيه المستقبل حتى تستطيع أنت وحدك أن تحقق مصالحك بأفضل وجه وتتجنب الخسارة والضرر ففي هذه الحالة كان من الممكن أن يتحقق هدفك .

توقع في غير محله :

ولكن تفكيرك هذا يعني أنك تقول : حبذا لو أن الله استثناني من نظام الخلقة الحكيم الذي خلق جميع البشر على أساسه ، وجعلني أعلم الغيب من دون سائر أبناء البشر ، فهل أن مثل هذا التوقع من الله الحكيم صحيح ؟ وهل أن مثل هذا الطلب في محله ؟ وهل أن مثل هذا التفكير الإنساني عقلاني ومنطقي ؟ .

إن علم الغيب في هذا العالم بأسره يختص به وحده وإن أي موجود آخر أرضياً كان أو سماوياً بشراً كان أو من غير البشر لا علم له بالغيب ولا يمكنه الدخول في هذا المجال المقدس بصورة مستقلة من تلقاء ذاته .

علم الغيب يختص بالله وحده :

﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ (١).

ولكن هناك بعض الأشخاص يحظون - إلى حد ما - بمعرفة بعض الأمور الغيبية وذلك وفقاً لما تسمح به مشيئة الله (سبحانه وتعالى) وإرادته . وهذا ما نصّت عليه بعض آيات القرآن الكريم : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ (٢).

الإطلاع على الغيب بإذن الله :

﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ

رَسُولٍ ﴾ (٣).

(١) سورة النمل ، الآية : ٦٥ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ١٧٩ .

(٣) سورة الجن ، الآيتان : ٢٦ و ٢٧ .

إذن فالطريقة الأولى للإطلاع على غيب العالم هي أن يأذن الله بذلك .
فهناك أشخاص مقربون من الله وأوليائه المتجيبين الكرام تحدثوا خلال فترة
وجودهم في هذه الدنيا عن الأمور الغيبية ، وهذا كان بإذن من الله (سبحانه
وتعالى) واستناداً إلى الإلهام الرباني .

الرؤيا الصادقة والإطلاع على الغيب :

الطريقة الأخرى للإطلاع على الأمور الغيبية التي يسمح الله (سبحانه
وتعالى) بالإطلاع عليها ، هي الأحلام أو الرؤيا الصادقة التي يراها الإنسان في
منامه . فالشخص يرى أحلاماً كثيرة خلال حياته ولكن معظم هذه الأحلام إما
أنها تعكس محتويات الضمير الباطني للشخص وأفكاره والقضايا التي تجول في
خاطره حيث تبرز هذه الأفكار وتظهر أثناء النوم على شكل أحلام ، وإما أن هذه
الأحلام هي عبارة عن أوهام وتخيلات عابرة يتعرض لها الناس أثناء النوم أو أثناء
اليقظة أحياناً فتسبب الإزعاج والقلق لمن يراها . ولكن هناك بعض أنواع الرؤيا
مصدرها الإلهام الرباني ويريد الله من خلالها أن يبشر صاحب الرؤيا بأمر ما ،
ومثل هذه الرؤيا تعكس أحياناً الحقائق المجهولة والمخفية بصورتها الحقيقية .
وأحياناً تضع الرؤيا هذه الحقائق المجهولة في قالب آخر وتظهرها على شكل
رمز ، حيث يستطيع أولئك الأشخاص الذين لهم القدرة على تفسير الأحلام
ومطلعون على أسرار الرؤيا وخفاياها ، يستطيعون تفسير هذه الرؤيا وتوضيح
مضمونها واكتشاف الجانب الغيبي الكامن فيها .

وفيما يلي نشير إلى رؤيا صادقة رآها عبد المطلب جدّ الرسول
الأكرم ﷺ قبل خمسة عشر قرناً (حيث كانت هذه الرؤيا بمثابة إلهام رباني له
جعلته يعثر على مكان بئر زمزم) .

شح المياه في مكة وحفر بئر زمزم :

لقد قام إبراهيم الخليل وابنه اسماعيل وبأمر من الله ببناء الكعبة وإقامة
ذلك البيت المقدس . وأقام اسماعيل في مكة ، وكان إبراهيم ﷺ يأتي إلى
مكة في مواسم الحج ، وكان اسماعيل يشكو لوالده من شح المياه وطلب منه

أن يساعده للتغلب على هذه المشكلة ، فأوحى الله إلى إبراهيم بأن يقوم بحفر بئر لتأمين مياه الشرب للحجاج وتوفير سبل الراحة لهم . وبالطبع فإن عملية حفر البئر في تلك المنطقة والوصول إلى الماء لم تكن عملية سهلة . فأمر الله جبرائيل أن يحدد نقطة معينة أو مكان معين يحفر فيه البئر، وهذا المكان هو الذي يقع فيه اليوم بئر زمزم .

حفر البئر وتدفق الماء منه :

وقاموا بحفر البئر وخلافاً لكل التوقعات وصلوا إلى الماء على عمق قليل وفرحوا كثيراً لهذا العناية الإلهية . بعد ذلك طلب جبرائيل من إبراهيم أن ينزل إلى داخل البئر وتبعه جبرائيل الذي طلب من إبراهيم أن يضرب بفأسه في كل زاوية من الزوايا الأربع في قعر البئر وأن يذكر اسم الله في كل مرة يضرب فيها بمعوله أو فأسه، وكان إبراهيم يفعل ذلك فكان الماء يتدفق من كل زاوية من زوايا البئر فقال جبرائيل : يا إبراهيم، اشرب الآن من ماء البئر وادعُ لولدك بالبركة، ثم خرج إبراهيم وجبرائيل من البئر^(١) .

وفي تلك الفترة كانت قبيلة «جرهم» تسيطر على مدينة مكة وتتولى سدانة الحرم الإلهي ، حيث كان المسؤولون عن شؤون الكعبة يستلمون الهدايا والقرايين التي كان (الناس في الجاهلية يهدونها ويقدمونها إلى آلهتهم التي كانت موجودة في داخل الكعبة) ويحتفظون بها في مكان خاص يخضع لإشرافهم .

قبيلة جرهم تغلق بئر زمزم :

كان في الكعبة غزالان من ذهب وخمسة أسياف فلما غلب «خزاعة» على «جرهم» على الحرم ، ألقت «جرهم» الأسياف والغزالين في بئر زمزم وألقوا فيها الحجارة وطموها وعموا أثرها ، فلما غلب قصي على خزاعة لم يعرفوا موضع زمزم وعمى عليهم موضعها . وبقي مكان بئر زمزم مجهولاً لا يعرفه أحد حتى جاء دور السيادة لعبد المطلب (جد الرسول ﷺ) الذي كان يحظى بمكانة عظيمة وبموقع اجتماعي كبير (بين القبائل العربية في ذلك الوقت)، بحيث أنهم

(١) سفينة البحار ، (زمزم) صفحة ٥٥٥ .

كانوا يفرشون له البساط لكي يستريح عليه في ظلّ جدار الكعبة ولم يكونوا يفعلون ذلك لأحدٍ من قبله . وفي إحدى المرات عندما كان عبد المطلب نائماً عند جدار الكعبة رأى في المنام أن شخصاً جاء إليه وقال له : إحفر زمزم ، واعلم أنه يوجد في مكان زمزم غراب أبيض الجناحين ووكر للنمل . وكان بالفعل يوجد في مكان بئر زمزم صخرة تحتها وكر للنمل ، وفي النهار عندما كان النمل يخرج من وكره كان يأتي غراب أبيض الجناحين ويلتقط النمل بمنقاره ويأكله . وقد عرف عبد المطلب مكان بئر زمزم استناداً إلى تلك الرؤيا الحقيقية فقام هو وأبنائه بحفر ذلك المكان وأزالوا عنه الحجارة والرمال حتى عثروا على الماء فكبروا الله^(١) .

التعرف على المكان المجهول :

فمن خلال هذه الرؤيا ظهر مكان بئر زمزم الذي كان يجهله الناس في ذلك الوقت ، ظهر بصورة حقيقية كما هو وتعرف عبد المطلب بموجب تلك الرؤيا على مكان البئر المجهول ، وألهم بحقيقة كانت مخفية وغير معروفة دون أن تكون هناك حاجة إلى تفسير لهذه الرؤيا .

شجرة النور في رؤيا عبد المطلب :

أما الرؤيا الصادقة الثانية فهي أن عبد المطلب كان في إحدى الليالي نائماً إلى جانب الكعبة بالقرب من الحجر الأسود فرأى حلماً بدا عجباً وعظيماً بنظره ، حيث سيطر عليه الخوف والهلع فذهب إلى أحد مفسري الأحلام وأخبره بما رآه في المنام وقال : رأيت في المنام أن شجرة نبتت في ظهري امتدت أغصانها إلى عنان السماء وغطت أوراقها وأغصانها المشرق والمغرب ، ثم رأيت نوراً ينبعث من تلك الشجرة وهو أكثر بريقاً من نور الشمس وضوئها ، ورأيت الناس من العرب والعجم يسجدون لهذه الشجرة وكل يوم كان يمر كانت هذه الشجرة تزداد نوراً . ورأيت أن جماعة من قريش جاءت لكي تجتث تلك الشجرة وتقتلعها من جذورها ولكن كلما اقتربوا من تلك الشجرة بهدف الإساءة

(١) أصول الكافي ، المجلد ٤ ، صفحة ٢١٩ .

إليها كان يظهر شاب حسن الملبس والمظهر فيصدهم عنها ويقصم ظهورهم ويقتلع عيونهم . وقد مددت يدي لكي آخذ غصناً من أغصانها فصاح بي الشاب الوسيم قائلاً : أنت ليس لك نصيب من هذه الشجرة . فقلت له : ومن هم الذين لهم نصيب منها فقال : إن هذه الشجرة هي ملك للذين يتمسكون بها ويمسكون بأغصانها . فتغير وجه الشخص الذي كان يستمع إلى هذه الرؤيا من عبد المطلب واضطربت أحواله .

البشارة بولادة النبي (ص) :

ثُمَّ قَالَ : لَئِنْ صَدَقْتَ لَيُخْرِجَنَّ مِنْ صُلْبِكَ وَلَدٌ يَمْلِكُ الشَّرْقَ وَالْغَرْبَ وَنُبَأَ فِي النَّاسِ . . . وَكَانَ أَبُو طَالِبٍ يُحَدِّثُ بِهَذَا الْحَدِيثِ وَالنَّبِيُّ قَدْ خَرَجَ وَيَقُولُ : « كَانَتْ الشَّجَرَةُ وَاللَّهُ أَبَا الْقَاسِمِ الْأَمِينِ »^(١).

رؤيا واحدة وعدة أنباء عن الغيب :

ووفقاً لما قاله الشخص الذي فسر هذه الرؤيا فإن الرؤيا المذكورة تتضمن مجموعة من الأنباء الغيبية بدأت تتحقق بصورة تدريجية بعد ذلك بعشرات السنين . ففي بداية الأمر يرزق عبد المطلب بولد ، وثانياً : أن هذا الولد يحكم الشرق والغرب، وثالثاً : أنه يقوم بنشر وترويج التعاليم الإلهية بين الناس ورابعاً : أن هذا المولود يرتفع نجمه وتزداد شهرته وتتعرّز مكانته يوماً بعد يوم وخامساً : أن مجموعة من قريش تبدأ في مناهضة ومعارضة رسالته، وبالتالي فهي تسعى للقضاء عليه ، وسادساً : أن شاباً ينبري للدفاع عن هذه الشجرة ويقضي على المعارضين «وهذا الشاب ليس سوى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام» ، وسابعاً : أن يد عبد المطلب لا تصل إلى أغصان الشجرة لأنه يفارق الدنيا قبل أن يبعث الرسول ﷺ .

فهذه الأخبار لم ترد بوضوح وبشكل صريح في الرؤيا ولكن المفسر الذي عنده إلمام بأسرار الرؤيا والأحلام استطاع من خلال تفسير بعض رموز هذه الرؤيا

(١) الأمالي ، للشيخ الصدوق ، صفحة ١٥٨ .

أن يخبر عن بعض الحقائق الغيبية .

الرؤيا الصادقة تعني الإلهام الرباني :

لقد وردت في القرآن الكريم والروايات الإسلامية نماذج وأمثلة للرؤيا الصادقة،^(١) كما شهدت القرون الماضية وكذلك عصرنا الحاضر ، الكثير من هذه الرؤيا الصادقة التي تتضمن بشارة ربانية ولها طابع إلهامي يخبر عن أمور غيبية ويكشف عن حقائق مجهولة، ولهذا فإن مثل هذه الرؤيا تعتبر مصداقاً للروايات والأحاديث المنقولة عن النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام . فقد جاء في الحديث الشريف: أن الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة^(٢).

كلام من الله في عالم الرؤيا :

عن (عبادة بن الصامت) عن النبي ﷺ في قوله تعالى : ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ سورة يونس ، آية : ٦٤ .

قال : « هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن لنفسه أو ترى له وهو كلامٌ يُكَلِّمُ بِهِ رَبُّكَ عَبْدَهُ فِي الْمَنَامِ »^(٣).

وعنه ﷺ قال : « إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ بَعْدَهُ مِنَ النَّبَوَةِ إِلَّا الْمُبَشِّرَاتِ وَهِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ »^(٣).

رغبة البشر في معرفة الأمور الغيبية :

إن الإنسان يرغب كثيراً في معرفة الأمور الغيبية وهو يريد الإطلاع على المزيد من القضايا المرتبطة بالمستقبل لكي يتمكن من أقلمة نفسه مع الظروف التي تكفل له النجاح والموفقية في كل زمان ومكان، ويختار - بالتالي - الطريق الذي

(١) تفسير مجمع البيان للعلامة الطبرسي الجزءين ٥ و ٦ صفحة ٢٣٣ .

(٢) السماء والعالم ، صفحة ٤٤٢ .

(٣) الفصل لابن حزم ، القسم الخامس ، صفحة ١٤ .

يؤدي به في النهاية إلى العز والكرامة والجاه في هذه الحياة الدنيوية بما يحقق له مصالحة كاملة وعلى كافة المستويات . فالشخص يرغب في مصادقة من لهم مستقبل مشرق لكي يتمكن من أن يستفيد من مناصبهم وموقعهم الاجتماعي . كما أنه يرغب في معرفة بواطن الآخرين وما يجول في ضمائرهم لكي يعرف من هو الصديق ومن هو العدو وبالتالي لا ينخدع بظواهر الأفراد وكلامهم المعسول . على أن الرؤيا الصادقة التي قد يراها الإنسان مرة أو مرتين أو ثلاث مرات طيلة حياته وتكشف عن جانب من الحقائق الواقعية الضرورية أو غير الضرورية للإنسان ، هذه الرؤيا لا تستجيب للطموحات والآمال البشرية اللامحدودة ولا تستطيع إقناعه وإطفاء ظمأه الشديد لمعرفة الغيب ، ولهذا فهو يفكر دائماً في المستقبل وهو لن يتوانى عن اللجوء إلى أية وسيلة لمعرفة ماذا سيحدث غداً وماذا سيقع من أحداث في المستقبل وماذا سيكون مصيره ومستقبله .

الذين يدعون معرفة الغيب والمستقبل :

وهناك من استغلوا رغبة البشر الشديدة في معرفة الغيب وما سيحدث في المستقبل فقاموا بخداع الناس والإيقاع بهم . وقد ظهر على مرّ العصور والأزمان وحتى في يومنا هذا أفراد كثيرون في شتى أرجاء العالم سمو أنفسهم كهنة أو منجمون أو سحرة أو عرافون أو فتاحو الفأل أو قارئو الكف وغيرها من التسميات ، وادعوا بأنهم يستطيعون معرفة الغيب والتنبؤ بالمستقبل باستخدام طرق وأساليب معينة . كما ادعى هؤلاء أن بإمكانهم أن يغيروا ما هو مقدر للأفراد وأن يزيلوا ويمحوا حوادث السوء والمخاطر الأخرى التي يواجهها الأفراد في المستقبل . ولكن هذه الخزعبلات والخرافات والأعمال غير الصحيحة التي تستند جميعها إلى الأوهام والتخيلات لم تستطع أن تكتشف عالم الغيب وتغير المستقبل المظلم لبعض الأفراد وتجعله مستقبلاً مشرقاً ، ولم تحقق النفع للناس من خلال الأنبياء المفرحة (التي كان هؤلاء المخادعون الذين يدعون معرفة الغيب ينقلونها للآخرين) بل إنها على العكس من ذلك زادت من قلق الناس واضطرابهم وسلبتهم راحة البال وجعلتهم يسيئون الظن ببعضهم البعض ، وبالتالي

فقد نشأت العداوات وانتشرت الأحقاد بين الناس وعم الفساد وانهارت الصداقات وحل محلها العدا والضعينة وهدرت الكثير من الأموال والثروات وأريقَت الكثير من الدماء البريئة وتسببت في تدمير حياة الأفراد وإيجاد البؤس والشقاء لهم . ولهذا السبب فإن الإسلام حرّم مثل هذه الأعمال المضرة والمؤذية واعتبر المكسب الذي يحصل عليه الفرد من هذه الأعمال مكسباً حراماً وغير مشروع .

سؤال من الإمام الصادق (ع) :

عَنْ الْهَيْثَمِ بْنِ وَاقِدٍ قَالَ : قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الصَّادِقِ عليه السلام : إِنْ عِنْدَنَا بِالْجَزِيرَةِ رَجُلًا رُبَّمَا أَخْبَرَ مَنْ يَأْتِيهِ يَسْأَلُهُ عَنِ الشَّيْءِ يُسْرِقُ أَوْ يَشْبَهُ ذَلِكَ أَفَنَسْأَلُهُ ؟ فَقَالَ : « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ مَشَى إِلَى سَاحِرٍ أَوْ كَاهِنٍ أَوْ كَذَّابٍ يُصَدِّقُهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ » (١) .

عندما أعدّ علي عليه السلام جنوده لمحاربة الخوارج واستعد للإنتلاق تقدم إليه رجل وقال له : إذا ذهبت إلى جبهة الحرب في هذا الوقت بالذات أخاف أن لا تحقق هدفك وتعود منهزماً وإني قد عرفت ذلك عن طريق الحسابات الفلكية والتدقيق في أوضاع الكواكب والنجوم في السماء .

تصديق المنجم يعني تكذيب القرآن الكريم :

فَقَالَ عليه السلام : أَتَزْعُمُ أَنَّكَ تَهْدِي إِلَى السَّاعَةِ الَّتِي مِنْ سَارَ فِيهَا صُرِفَ عَنْهُ السُّوءُ وَتُخَوِّفُ مِنَ السَّاعَةِ الَّتِي مِنْ سَارَ فِيهَا حَاقَ بِهِ الضُّرُّ ؟ فَمَنْ صَدَّقَكَ بِهَذَا فَقَدْ كَذَّبَ الْقُرْآنَ وَاسْتَغْنَى عَنِ الْإِسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ فِي نَيْلِ الْمَحْبُوبِ وَدَفَعَ الْمَكْرُوهَ وَتَبَتَّغَى فِي قَوْلِكَ لِلْعَامِلِ بِأَمْرِكَ أَنْ يُؤَلِّكَ الْحَمْدَ دُونَ رَبِّهِ لِأَنَّكَ بَزَعَمَكَ أَنْتَ هَدَيْتَهُ إِلَى السَّاعَةِ الَّتِي نَالَ فِيهَا النُّفْعَ وَأَمِنَ الضُّرُّ (٢) .

(١) سفينة البحار ، المجلد ٢ ، صفحة ٥٠٠ .

(٢) نهج البلاغة ، الخطبة ٧٩ .

تجنب التنجيم من أجل الإطلاع على الغيب :

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ : « أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا كُمْ وَتَعَلَّمُ النُّجُومَ إِلَّا مَا يُهْتَدَى بِهِ فِي بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ فَإِنَّهَا تَدْعُو إِلَى الْكُهَانَةِ وَالْمُنَجِّمِ كَالكَاهِنِ وَالْكَاهِنِ كَالسَّاحِرِ وَالسَّاحِرُ كَالْكَافِرِ وَالْكَافِرُ فِي النَّارِ سِيرُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ » (١).

والخلاصة أن العلم بغيب هذا العالم والأمور الغيبية المرتبطة بسائر عوالم الوجود ، هو من اختصاص الله (سبحانه وتعالى) الذي يختص وحده بهذا العلم .
أما عندما يتحدث الأنبياء والأئمة في اليقظة عن أمور غيبية فهذا يكون بإذن من الله . أي أن الله في الحالات التي يشاء ذلك يلهم بعض الأفراد المؤهلين والجديرين بحقائق مجهولة وغير معروفة ويطلعهم على أمور غيبية نسبية، وقد يكون هذا الإلهام الرباني أثناء النوم ومن خلال الرؤيا الصادقة، حيث ينكشف أمام الشخص جانب من عالم الغيب وتتضح أمام صاحب الرؤيا حقيقة مجهولة .
ولكن الطرق والأساليب التي يتبعها المحتالون المخادعون لإغفال الناس والإيقاع بهم مثل الكهانة والسحر والتنجيم وغيرها فهذه كلها ليست مفتاح علم الغيب، وليس هذا فحسب بل إنها مصدر للضلال والفساد ولذلك فهي محرمة في الإسلام . إن الله وحده هو المطلع على العوالم المجهولة ما بعد الموت وهو الذي يعلم غيب هذا العالم وهو الذي أطلع رسوله عن طريق الوحي ، على أوضاع البرزخ والكيفية التي تعيش فيها أرواح المؤمنين والكافرين في عالم البرزخ . والله (سبحانه وتعالى) هو الذي أخبر الناس من خلال القرآن الكريم بانقراض وزوال هذا العالم وقيام القيامة وبعث الموتى من قبورهم وحضور البشر في المحشر والحساب والشفاعة ومصير أهل الرحمة وأهل العذاب، كما بين الأئمة عليهم السلام في العديد من الروايات والأحاديث المنقولة عنهم بينوا حقائق أكثر تفصيلاً عن عالم الآخرة وذلك من خلال الإلهام الرباني .

(١) نهج البلاغة ، الخطبة ٧٩ .

الموت ومشاهدة عالم البرزخ :

إن مشاهدة عالم البرزخ ورؤية أرواح الناس الذين فارقوا الدنيا ، هي من الأمور الغيبية النسبية في مرحلة ما بعد الموت والتي تتضح معالمها وتكشف مجاهيلها أمام الناس . ولكن هل يتمكن الإنسان قبل موته أن يتصل بأرواح الموتى أثناء اليقظة أو في عالم الرؤيا وأن يطلع على أوضاع هؤلاء الموتى ؟ الجواب بشكل عام هو، نعم من الممكن ذلك، ولكن توضيح هذا الأمر يحتاج إلى مزيد من الشرح والتفصيل .

إن الإتصال بأرواح الموتى ليس أمراً مستحيلاً وغير ممكن الحدوث من وجهة النظر الدينية ، فقد جاء في بعض الروايات أن بعض الأئمة عليهم السلام اتصلوا بأرواح الموتى وهم في حالة اليقظة وتكلموا معها ، كما أن بعض الأشخاص الصالحين من غير المعصومين تكلموا أيضاً في اليقظة (وليس في المنام) مع أرواح الموتى .

ولتأكيد هذا الموضوع فإننا ننقل فيما يلي الحادثتين التاليتين :

علي (ع) في وادي السلام :

عَنْ حَبَّةِ الْعُرْنِيِّ (١) قَالَ : خَرَجْتُ مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام إِلَى الظَّهْرِ فَوَقَفَ بِوَادِي السَّلَامِ كَأَنَّهُ مُخَاطَبٌ لِأَقْوَامٍ فَقُمْتُ بِقِيَامِهِ حَتَّى أُعِيْتُ ثُمَّ جَلَسْتُ حَتَّى مَلَلْتُ ثُمَّ قُمْتُ حَتَّى نَالَنِي مِثْلُ مَا نَالَنِي أَوَّلًا ثُمَّ جَلَسْتُ حَتَّى مَلَلْتُ ثُمَّ قُمْتُ وَجَمَعْتُ رِدَائِي فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي قَدْ أَشْفَقْتُ عَلَيْكَ مِنْ طَوْلِ الْقِيَامِ فَرَاحَةً سَاعَةً ثُمَّ طَرَحْتُ الرِّدَاءَ لِيَجْلِسَ عَلَيْهِ فَقَالَ لِي يَا حَبَّةُ إِنَّ هُوَ إِلَّا مُحَادَثَةُ مُؤْمِنٍ أَوْ مُؤَانِسَتُهُ ، قَالَ قُلْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِنَّهُمْ لَكَذَلِكَ قَالَ نَعَمْ وَلَوْ كُشِفَ لَكَ لِرَأْيَتِهِمْ حَلَقًا حَلَقًا مُحْتَبِينَ يَتَحَادَثُونَ فَقُلْتُ أَجْسَامٌ أَمْ أَرْوَاحٌ فَقَالَ : أَرْوَاحٌ وَمَا مُؤْمِنٌ يَمُوتُ فِي بُقْعَةٍ مِنْ بَقَاعِ الْأَرْضِ إِلَّا قِيلَ لِرُوحِهِ إِنْ هُوَ فِي بَوَادِي السَّلَامِ وَإِنَّمَا لِبُقْعَةٍ مِنْ جَنَّةِ عَدْنٍ (٢).

(١) حَبَّةُ الْعُرْنِيِّ : هو أحد أصحاب أمير المؤمنين علي عليه السلام .

(٢) أصول الكافي ، المجلد ٣ ، صفحة ٢٤٣ .

عَيْن أمير المؤمنين عليه السلام سلمان الفارسي والياً على المدائن . يقول «اصبغ بن نباتة» : كنت مع سلمان في المدائن وكنت أكثر من زيارته ولقائه . وفي أحد الأيام ذهبت لعيادته عندما كان مريضاً وهو الممرض الذي أودى بحياته في نهاية الأمر . وكنت أعوده باستمرار وأسأل عن حاله ، وشيئاً فشيئاً اشتد به المرض وأيقن بالموت .

ما قاله النبي (ص) لسلمان الفارسي :

فالتفت إليّ وقال لي : يا «اصبغ» عهدي برسول الله يقول : يا سلمان سيُكَلِّمُكَ ميت إذا دُنت وفاتك ، وقد اشتَهِتُ أن أدري وفاتي دُنت أم لا .

سلمان في المقبرة :

فقال «اصبغ» : يا سلمان أطلب ما تريده فسأنجزه لك . فقال : تذهب الآن وتحضر لي تابوتاً وتفرش في داخله نفس البساط الذي يفرش عادة للموتى عندما يوضعون داخل التابوت ومن ثم تحضر معك أربعة أشخاص فتحملونني إلى المقبرة . فقام «اصبغ» على عجل وعاد بعد ساعة وقد أحضر كل ما طلبه منه سلمان الفارسي وفعل كل ما أمره به وحمله إلى المقبرة وعندما وصل إلى هناك وضع التابوت أو النعش على الأرض ، فقال سلمان : ضعوني أمام القبلة ، ففعلوا ذلك عندها نادى سلمان بأعلى صوته :

السَّلَامُ عليكم يا أهل عرصة البلاء . السلام عليكم يا محتجبين عن الدنيا .

فلم يسمع جواباً ، ثم كرر السلام عليهم قائلاً : اقسمتكم بالله وبرسوله الكريم أن يجيبني واحدٌ منكم ، فأنا سلمان الفارسي صاحب رسول الله وهو الذي أخبرني بأنه إذا دنا أجلي فإن أحد الموتى سيكلمني ، وإنّي أريد أن أعرف هل دنا أجلي أم لا ؟ .

الروح يكلم سلمان الفارسي :

عندها سمع سلمان الجواب من الروح الذي ردّ السلام وقال لسلمان : لقد سمعنا كلامك فاسأل ما تريد ؟ فسأل سلمان الروح قائلاً : هل أنت من أهل الجنة أم من أهل النار ؟ فقال الروح : بل أنا من الذين شملتهم الرحمة والمغفرة الإلهية وفازوا بالجنة . ثم سأل سلمان الروح عن كيفية مفارقتها الدنيا وعن الأوضاع بعد الموت وكان الروح يجيب على أسئلة سلمان الفارسي واحداً واحداً ، وبعد أن انتهى الحديث بين سلمان والروح ، أخرجوه من التابوت ووضعوه على الأرض فتوجه سلمان إلى الله قائلاً :

ما قاله سلمان في اللحظات الأخيرة من حياته :

يَا مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ، بِكَ أَمَنْتُ وَلِنَبِيِّكَ أَتَّبَعْتُ وَبِكِتَابِكَ صَدَّقْتُ وَقَدْ أَتَانِي مَا وَعَدْتَنِي يَا مَنْ لَا يُخْلَفُ الْمِيعَادُ اقْبِضْنِي إِلَى رَحْمَتِكَ وَأَنْزِلْنِي دَارَ كَرَامَتِكَ^(١) .
ويتضح من هاتين الواقعتين المذكورتين آنفاً بأن الإتصال بالأرواح أثناء اليقظة أمر ممكن الحدوث من وجهة نظر الدين ولكن هذا لا يعني أن أي شخص متى ما أراد ذلك يستطيع إحضار أي روح من الأرواح والتحدث معه وتوجيه الأسئلة إليه .

شائعة تحضير الأرواح :

قبل فترة من الزمن انتشرت قضية تحضير الأرواح ، كالمرض المعدي . انتشرت هذه الظاهرة في بداية الأمر في الغرب ومن ثم انتقلت إلى الشرق وألغوا حول هذا الموضوع كتباً كثيرة وكُتبت الكثير من المقالات والبحوث حول مسألة إحضار الأرواح في مختلف المجلات والصحف . وقد استغل البعض من فاتحي الفأل وقارئ الكف (وغيرهم من الدجالين والمشعوذين) استغلوا هذه الفرصة وادعوا أن بإمكانهم أن يتصلوا بالأرواح . ونظمت جلسات تحضير الأرواح في أماكن عديدة، حيث كان الشخص الذي يتصل بالروح ويطلق عليه

(١) بحار الأنوار المجلد ٦ ، صفحة ٧٦٢ .

اسم الوسيط ، كان ينصب طاولة متحركة دواره ويجمع الأشخاص السذج البسطاء حول هذه الطاولة ويضع يده عليها ويطلب من الحاضرين أن يضعوا بدورهم أيديهم على الطاولة ، حيث كان يوحى لهم بأن الطاولة تدور والحقيقة أن الدوران البطيء للطاولة ناجم عن حركة يد الوسيط الذي يحرك الطاولة بطريقة غير محسوسة لا يشعر بها الحاضرون . وبعد ذلك كان هذا الوسيط يستلم اسئلة الحاضرين ويجيب عليها في غضون خمس أو ست ثوانٍ أو أكثر ويوهم الحاضرين بأن الروح هي التي أجابت على أسئلتهم .

جمعية الاتصال بالأرواح :

لقد كنت أرغب كثيراً أن أشارك في مثل هذه الجلسات الخاصة بتحضير الأرواح ولو لمرة واحدة لأرى عن كثب طريقة القيام بهذا العمل ، ولحسن الحظ فقد تحقق ما أردته بصورة طبيعية . ففي أحد الأيام جاءني إلى البيت عدد من الأشخاص ودعوني لكي أتحدث في مجلس فاتحة الدكتور . . . حيث استعرضوا لي تاريخ حياة هذا المتوفى ومستواه العلمي وقالوا لي بأن هذا الدكتور هو رئيس جمعية علم النفس ونحن أعضاء في هذه الجمعية التي تعنى بالارتباط أو الإتصال بالأرواح .

فسألتهم : ماذا تفعلون في هذه الجمعية ، فقالوا بأن هذه الجمعية تقوم بالاتصال بالأرواح . فقبلت الدعوة ووعدتهم بحضور مجلس الفاتحة وإلقاء كلمة أمام الحاضرين .

وفي اليوم المحدد ذهبت إلى المسجد (الذي يقام فيه مجلس الفاتحة) وكان عدد كبير حاضرين في المسجد فارتقيت المنبر وتحدثت بالمناسبة عن الروح . وبعد أن أنهيت كلامي ونزلت من على المنبر اجتمع حولي عدد من الأشخاص وقالوا لي ، إنك وسيط ماهر جداً وباستطاعتك أن تكون وسيطاً جيداً بين الناس والأرواح ، فتطرح اسئلة الناس على الروح وتستلم منها الأجوبة . لقد كنت أعرف نفسي بأنني لست قادراً على مثل هذا العمل ولكن بما أن أعضاء الجمعية تعجبوا من كلامي عن الروح ، فقد أدركت بأن الجمعية لا تقوم

بعمل ذي قيمة، ولكنني رغم ذلك التزمت الصمت وطلبت منهم أن يسمحوا لي بحضور جلسة تحضير الأرواح إذا كان ذلك ممكناً ، فوافقوا على طلبي هذا بكل رحابة صدر وقام أحدهم على الفور بكتابة مواعيد عقد مثل هذه الجلسات على ورقة وسلمها لي . وفي اليوم المحدد ذهبت إلى المكان الذي تقام فيه جلسات تحضير الأرواح حيث وصلت قبل عدة دقائق من الوقت المحدد حيث لم يكن قد وصل بعد أي من أعضاء هذه الجمعية ، فجلست قليلاً فبدأ الأعضاء بالوصول شيئاً فشيئاً، فاستضيف الحاضرون بفناجين من الشاي بعدها دعي الحاضرون إلى قاعة تحضير الأرواح . وكان يوجد في وسط القاعة بدل الطاولة الصغيرة الدوارة ، طاولة كبيرة ثابتة طولها خمسة أمتار وعرضها متر وعشرون سنتيمتراً تقريباً ، وكانت الطاولة مغطاة بقطعة قماش زرقاء اللون جميلة كما وضعت الكراسي بشكل منتظم حول هذه الطاولة، وأمام كل كرسي وضعت مجموعة أوراق مسودة مع قلم للكتابة . وبعد ذلك جلس الحاضرون على الكراسي وكان الوسيط بين الروح والحاضرين رجل عمره حوالي خمسة وثلاثون عاماً. وبدأ عمل الجمعية أحد الحاضرين كتب على الورقة عبارة : أحضروا روح الدكتور واسألوه عن وضعه واسألوه أيضاً عن مجلس الفاتحة الذي أقيم على روحه . قُرئت المذكرة المكتوبة على الورقة بصوت مرتفع سمعها كل الحاضرين ، بعدها أغمض الوسيط عينيه لعدة لحظات وطأطأ برأسه وكأنه منهمك في تفكير عميق ، ثم رفع رأسه وكتب على الورقة ما يلي : الدكتور حاضر وهو يقول : «إنّ وضعي جيد في هذا العالم ، وإنّي مسرور جداً ، مجلس الفاتحة كان جيداً ، واشكر الأصدقاء على ذلك » وقد قُرئت هذه العبارات المكتوبة بصوت عالٍ .

إحضار روح الشاعر سعدي^(١) :

ثم التفت إليّ أحد أعضاء الجمعية وقال : منذ مدة ونحن نحضر في

(١) الشيخ مصلح الدين سعدي الشيرازي (نحو ١١٩٣ - ١٢٩١ هجري) : هو شاعر ونائب إيراني كبير ولد في شيراز ، تعلم في نظامية بغداد وله «بوستان» و« غلستان» و« الديوان» وقد نقلت إلى لغات عديدة (المترجم عن منجد الأعلام).

جلساتنا هذه روح «سعدي» بعدها قال للوسيط ، أرجو أن تحضر روح «سعدي» هنا . وبعد لحظات كتب الوسيط على المذكرة أن روح سعدي حاضرة وقرئت المذكرة على الحاضرين الذين بدأوا يكتبون أسئلتهم على أوراق المسودة الموجودة أمامهم ، وكان الوسيط يكتب عن لسان سعدي جواب كل واحد من هذه الأسئلة ، ولكن أياً من تلك الأسئلة والردود ليست ذات قيمة من وجهة نظري ولا يمكن اعتبارها دليلاً على الإتصال بالروح . أحد الحاضرين سألني : هل اقتنعت؟ فقلت : لا ، هذه الأمور ليست مقنعة . فقالوا لي : ما هي الطريقة التي تجعلك تصدق بأننا أحضرنا روح سعدي الذي أجاب على الأسئلة الموجهة إليه ؟ فقلت : أريد أن أوجه عدة أسئلة لسعدي ، فوافقوا على ذلك .

السؤال الأول : قولوا لسعدي بأن هناك فرق مختلفة من الصوفية والبعض يقول بأنك تتسبب إلى إحدى هذه الفرق ، فهل أن التصوف حق أو باطل من وجهة نظر الدين ؟ وإذا كان التصوف حق فأني من فرق التصوف أقرب إلى الحق ؟ قرأ السؤال وبعد فترة تأمل قصيرة كتب الوسيط على الورقة ما يلي : «سعدي يقول : إنَّ الهدف هو الوصول إلى الله ومن أي باب تم ذلك فهو حق» ، وبالطبع فإنَّ هذا لم يكن جواباً بل تملّص من الرد ولكني رغم ذلك التزمت الصمت .

سعدي ونظم الشعر بالعربية :

سؤال الثاني هو : قولوا لسعدي بأنك نظمت أشعاراً جيدة باللغة العربية إلى جانب نظمك للشعر الفارسي ، بمناسبة وفاة السيد الدكتور (رئيس جمعية تحضير الأرواح) أطلبوا من سعدي أن ينظم رباعية باللغة العربية تتضمن الإشارة إلى ما يلي : الدكتور مات ، مجلس الفاتحة أقيم في المسجد ، فلسفي^(١)

(١) هو العالم الجليل والخطيب المعروف الشيخ محمد تقي فلسفي مؤلف هذا الكتاب ومجموعة أخرى من الكتب القديمة باللغة الفارسية .

صعد المنبر وأقيم مجلس الفاتحة بصورة جيدة . لقد فكرت في نفسي بأن هذا الشخص الوسيط يستبعد أن يعرف العربية ، هذا أولاً ، وثانياً حتى إذا كان يعرف العربية فمن المستبعد أن يستطيع نظم الشعر العربي وبهذه السرعة ، فإذا أجاب بشكل جيد على هذا السؤال ، عندها يجب إعطاء كامل الإهتمام لهذه الجلسة .

روح سعدي تتذمر :

بعدها بدأ الوسيط يفكر ، ثم ضغط القلم على الورقة وكتبت عبارة ، كان واضحاً أنها ليست رباعية ، قرئت هذه العبارة ، وكان مكتوباً على الورقة ما يلي : « أن سعدي انزعج وذهب » قلت لماذا انزعج ؟ إذ لم توجه له إهانة ، فسعدي نظم أبياتاً جيدة حول الرسول ﷺ يقول فيها :

بَلَغَ الْعُلَى بِكَمَالِهِ كُشِفَ الدُّجَى بِجَمَالِهِ
حَسُنْتَ جَمِيعُ خِصَالِهِ صَلُّوا عَلَيْهِ وَآلِهِ

فلماذا حرمتنا من شعره هذه المرة ، ما المانع أن ينظم لنا بيتين من الشعر العربي ونحن في هذا المجلس ؟ . والخلاصة أن هذه الجلسة انتهت بهذه الطريقة . ورغم أنني أعتبر أن الإتصال بأرواح السابقين أمر ممكن في حالة اليقظة ، من وجهة النظر الدينية وأناي أرغب كثيراً أن تتوفر وسيلة ما تمكيني من الإتصال بروح الشيخ الطوسي والشيخ الصدوق (رضوان الله تعالى عليهما) ، لكي أسألهم عن بعض الروايات والمواضيع التي ذكرها في كتبهما وأسألهم في أي كتاب وردت هذه الروايات وفي أي فصل أو باب ، ومع الأسف فإنني لم أوفق حتى الآن في هذا المجال ولم يُتَخَ هذا الأمر .

التنبؤ بالمستقبل والتحدث عن الغيب :

ويبدو أن الذين استهانوا بموضوع الإتصال بالأرواح وافرغوه من محتواه وجعلوه لا قيمة له ، ويدّعون بأن بإمكانهم بواسطة طاولة دوارة الإتصال بعالم

بعد الموت واحضار الروح التي يريدونها والتحدث معها والإطلاع منها على الأمور الغيبية المرتبطة بعالم البرزخ ، هؤلاء مثلهم كمثل أولئك الذين يريدون معرفة غيب هذا العالم والأخبار عن حوادث الغد وإطلاع الناس على ما سيواجههم في المستقبل ، وذلك من خلال قراءة الكف والنظر في داخل فنجان القهوة (وغيرها من الأساليب التي تدعو إلى السخرية والإستهزاء) . والحقيقة هي أنه لا يمكن الإتصال بعالم البرزخ وأرواح السابقين عن طريق الطاولة الدوّارة ، كما لا يمكن معرفة مستقبل الأفراد وما هو مقدر لهم (وما هو مكتوب على جبينهم كما يقولون) من خلال قراءة الكف والطالع وما إلى ذلك .

الرؤيا الصادقة :

إنّ إحدى طرق الإتصال بأرواح الموتى ومعرفة غيب عالم البرزخ (وما يجري فيه) وهو ما يقره ويؤيده العقل والشرع ، هي الرؤيا الصادقة ، فكما أن بعض الأمور الغيبية في هذا العالم تتكشف وتتوضح في عالم النوم من خلال الرؤيا الحقيقية ، كذلك فإنّ الجوانب الغيبية في عالم البرزخ تتوضح من خلال الرؤيا الصادقة وعن طريق الإتصال بأرواح السابقين . وهناك نقطتان جديرتان بالاهتمام في مجال الإتصال بأرواح الموتى عن طريق الرؤيا الصادقة ، النقطة الأولى هي أن مثل هذه الرؤيا هي بحد ذاتها دليل واضح على بقاء الروح والحياة بعد الموت . والنقطة الثانية هي أن بعض الأحلام هي حقاً مفتاح غيب البرزخ حيث أن مثل هذه الأحلام أو الرؤيا تكشف عن بعض الحقائق المخفية والمجهولة . وهاتان النقطتان تتلائمان وتتفقان فقط مع منطق الإلهيين (الذين يؤمنون بوجود الله) والمعتقدين بوجود عوالم غير مادية وأن هاتين النقطتين لا يمكن تفسيرهما وتبيانهما بمنطق الماديين المنكرين لعوالم ما وراء المادة (عوالم الغيب) .

المذهب المادي والمبادئ الأربعة :

وبتعبير واضح فإنّ النظرية المادية في نشوء العالم تقوم على أربعة أصول

ثابتة ، الأصل الأول يقول : إنَّ عالم الوجود بأكمله لا يحتوي سوى على المادة والقوة المادية ، الأصل الثاني يقول : إنَّ العالم بأسره لا يخرج عن كونه ظاهرة مادية مائة في المائة . الأصل الثالث يقول : إنَّ العالم وُجد نتيجة حركة المادة وبطريق الصدفة العمياء ونتيجة عوامل لا شعورية ولا يوجد وراء عالم المادة قدرة عليمه حكيمة غير مادية أنشأت هذا العالم وتقوم بتدبير شؤون هذا الكون .
الأصل الرابع يقول : إن كافة الظواهر في هذا العالم يمكن تفسيرها وتبيانها من خلال المنطق المادي .

رؤيا واقعية ونموذجية :

الرؤيا الصادقة التي تعني الإتصال بأرواح الموتى والإخبار عن أمور مجهولة وغير معروفة كثيرة الحدوث في العالم وهناك ألوف النماذج لمثل هذه الرؤيا وهي لا تنطبق أبداً مع الأصل الأول والأصل الرابع من مجموع الأصول الأربعة التي يقوم عليها المذهب المادي . وبالتالي فإن الماديين لا يمكنهم تفسير ظاهرة الرؤيا الصادقة على أساس مبادئ نظريتهم . وفيما يلي نشير إلى رؤيا صادقة تؤكد موضوع بقاء الروح وتخبر عن أمر غيبي مجهول . قبل سنوات عديدة كان يعيش في إحدى مدن إيران رجل شريف ومؤمن وكان ولده الأكبر أيضاً رجلاً صالحاً ومؤمناً كوالده . وكان الأب والإبن يعيشان في منزل عادي في وضع مادي صعب ، حيث كانا يقتصدان كثيراً في النفقات لكي يحافظا على سمعتهما ولا يمدأ يد الحاجة إلى الآخرين . وقد بلغ بهما الوضع حدّاً بحيث أنهما صارا يستعملان ماء الحنفية في المنزل للشرب والطبخ فقط . أما لغسل الملابس وملء الحوض الموجود في باحة المنزل وسقي حديقة المنزل فإنهما كانا يستعملان ماء البئر . كما أنهما قاما ببناء غرفة صغيرة فوق البئر (لكي تقي الأشخاص الذين يريدون إخراج الماء من البئر) الحَر وأشعة الشمس المحرقة في فصل الصيف والبرد والأمطار والثلوج في فصل الشتاء ، كما أن وجود مثل هذه الغرفة الصغيرة يمنع سقوط الأجسام الغريبة والقاذورات والأحجار وغيرها في

داخل البئر وبالتالي تحافظ على نظافة البئر .

لقد كان الأب وابنه يقومان بنفسهما بسحب الماء من البئر ولم يستأجرا أحداً للقيام بهذا العمل .

الحديث بين الأب والابن :

وفي أحد الأيام لاحظ الأب وابنه أن الطبقة الطينية التي تغطي سقف هذه الغرفة من الداخل يمكن أن تسقط على الأرض أو في داخل البئر أو يمكن أن تسقط على رأس أحد يصادف وجوده في الغرفة في تلك اللحظة، ونظراً لأنهما لا يملكان المال اللازم لاستخدام عمال بناء يقومون بصيانة السقف وترميمه ، لذلك فقد قررا أن يقوما بنفسهما بهذا العمل في يوم عطلة . وبالفعل قاما في اليوم المتفق عليه بتغطية فوهة البئر بقطع من الأخشاب وقطعة من البساط وبدأ بإزالة الطبقة الطينية من السقف وقاما بتجميع هذه القطع الطينية في باحة المنزل وصبا عليها الماء حتى أصبحت لينة طرية وأخذ الأب يقوم بعمل البناء وابنه يناوله الطين حتى انتهى الأب من تغطية سقف الغرفة بأكمله بالطين (المخلوط بالقش أو التبن) . وبعد انتهاء العمل لاحظ الأب أن خاتمه ليس موجوداً في إصبعه فاعتقد في بادئ الأمر أنه نسيه إلى جانب الحوض عندما كان يغسل يديه ولكنه لم يعثر عليه هناك وظل الأب يبحث عن خاتمه على مدى يومين في كل مكان ، ولكنه لم يعثر على أي أثر للخاتم وتأثر كثيراً لضیاع خاتمه ويئس من إمكانية العثور عليه . وظل لفترة من الوقت يتحدث مع أهله وعياله عن الخاتم المفقود وكان يتأسف كثيراً على ذلك . وبعد سنوات من هذه القضية توفي الأب إثر نوبة قلبية . يقول الابن : بعد فترة من وفاة والدي ، رأيته يوماً في المنام وكنت أعلم أنه ميت ، فاقترب مني وسلم عليّ وسألني عن أحوالي ثم قال لي : يا ولدي إنني مدين للشخص الفلاني بخمسمائة تومان ، فأرجو يا بني أن تخلصني من العذاب . فاستيقظ الولد من نومه ولم يكثر بالحلم الذي رآه ولم يعمل بما طلبه منه أبوه . وبعد فترة رأى الابن والده مرة أخرى في المنام وكرر ما سبق أن طلبه منه وعاتبه على عدم تلبية طلبه ، فقال له الابن وهو في المنام : ويعلم أن

والده ميت ، قال لوالده : أعطني علامة حتى اطمئن بأنك والدي . فقال له أبوه : أتذكر قبل عدة سنوات قمنا معاً بتغطية سقف غرفة البئر بالطين وبعدها اكتشفت أن خاتمي مفقود وبحثنا عنه في كل مكان فلم نعثر عليه ، فقال الابن : نعم ، أذكر ذلك . فقال له أبوه : إنَّ الشخص عندما يموت تتضح له كثير من القضايا والأمور المجهولة ، فلقد عرفت بعد موتي أن خاتمي أضعته داخل الطين الذي أصلحت به سقف الغرفة حيث انزلق الخاتم من اصبعي عندما كنت أعجن الطين وأقلبه .

ولكي تطمئن بأني أنا أبوك الذي أتحدث معك عليك أن تزيل الطين من السقف وتخلطه بالماء حتى يصبح طرياً عندها سوف تعثر على الخاتم .

وفي الصباح نفذ الولد ما قاله له أبوه دون أن يخبر أحداً بالأمر فعثر بالفعل على خاتم والده . يقول الابن : وبعد ذلك ذهبت إلى السوق عند الشخص الذي أخبرني به والدي فسلمت عليه وسألته عن حاله ثم قلت له : هل أن والدي مدين لك بمبلغ من المال ؟ فقال لي الرجل صاحب الدكان : لماذا تسأل مثل هذا السؤال ؟ فقلت : لا شيء أردت أن أعرف ذلك .

فقال صاحب الدكان : أطلب والدك خمسمائة تومان . فسألته كيف كان ذلك ؟ فقال : لقد جاءني أبوك يوماً إلى هنا وطلب مني قرضاً بمبلغ خمسمائة تومان فأعطيته المبلغ دون أن آخذ منه إيصالاً بذلك . وبعد ذلك بفترة توفي والدك بالنوبة القلبية . فقال الولد : لماذا لم تطالب بقرضك ؟ فقال الرجل : لأنني لم أكن أملك وثيقة أو إيصالاً ورأيت أن من غير المناسب أن أطلب بالمبلغ لأنهم قد لا يصدقوني . فسلم الولد المبلغ المذكور إلى الدائن صاحب الدكان ونقل له القصة من أولها إلى آخرها .

قصور منطق الماديين :

هذه الرؤيا لا يمكن تطبيقها مع نظرية الماديين ونظرية فرويد في علم النفس لأن الأب والابن كلاهما لم يكونا على علم بوجود الخاتم داخل الطين .

كما أن الإبن لم يكن على علم أبداً بالقرض الذي بذمه والده والرجل الدائن أيضاً لم يكن يعرف الإبن . فهذه الرؤيا وأمثالها لا يمكن تفسيرها إلا على أساس وجود الحياة بعد الموت والاتصال مع الأرواح عن طريق الرؤيا . أما «فرويد» وغيره من أصحاب النظريات المادية فهم لا يتطرقون لا من قريب ولا من بعيد إلى هذا النوع من الرؤيا الذي توجد منه نماذج كثيرة في كل أرجاء العالم، حيث أن هذا النوع من الرؤيا يثبت وجود عالم وراء المادة ، فهؤلاء الماديون متطرفون في أفكارهم ومبادئهم المادية وهم لا يريدون التخلي عن ميولهم المادية .

الاتصال بالأرواح في عالم الرؤيا :

في الرؤيا التي أشرنا إليها من قبل نرى أن روح المتوفى اتصلت بروح إنسان حي في عالم النوم وأخبرك عن عدة حقائق غيبية بشكلها الواقعي وكما هي وبدون تلميح أو تغيير في الشكل ، ولكن نجد في بعض الأحيان أن روح الشخص المتوفى اتصل بروح الشخص الحي أثناء النوم وتخبره عن أمر غيبي مجهول ولكن ليس بشكله الحقيقي وكما هو في واقعه وحقيقته، بل إن الروح تخبر عن هذا الأمر الغيبي بشكل تلمحي أو بشكل إشارة ورمز، حيث يتضح مفهوم الرؤيا بعد تفسيرها وتأويلها وفك رموزها من قبل شخص مطلع يتولى تفسير الرؤيا .

الرؤيا التي فسرها الإمام الصادق (ع) :

جاء موسى العطار إلى أبي عبد الله (الصادق) عليه السلام فقال له : يا بن رسول الله رأيت رؤيا هالتني ، رأيت صهراً لي ميتاً وقد عانقني وقد خفت أن يكون الأجل قد اقترب فقال : يا موسى توقع الموت صباحاً ومساءً فإنه ملائنا ومُعانقةُ الأمواتِ لأحياء أطول لأعمارهم فما كان اسمُ صهرك قال : حسين، فقال : أما إن رؤياك تدلُّ على بقاءك وزيارتك أبا عبد الله (الحسين) عليه السلام (١) .

(١) السماء والعالم ، صفحة ٤٣٣ .

عالم البرزخ والغيب النسبي :

ونستنتج من كلامنا أن عالم البرزخ ، والثواب والعقاب في ذلك العالم هو من الغيبات بالنسبة لمن يعيش في الدنيا وبمجرد أن يموت الإنسان فإن ذلك الغيب ينكشف أمامه ولم يعد غيباً بالنسبة له ويبدأ سريان مفعول الثواب بالنسبة للصالحين والعقاب بالنسبة للأشرار والفاسقين ، حيث يبدو الصالحون مسرورين وفرحين بما آتاهم الله من فضله وبحصولهم على ثواب أعمالهم ، أما الأشرار المذنبون فهم في عذاب ومحنة لسببين .

الأول : لكثرة ما ارتكبوه من ذنوب ومعاصٍ في دار الدنيا حيث عليهم الآن أن ينالوا عقابهم .

والثاني : هو تأسفهم على حياتهم في الدنيا وعمرهم الذي ذهب هدرًا وضياًعاً وهذا ما يجعلهم يتألمون كثيراً ويعيشون في عذاب ومحنة ، لاسيما عندما يتذكرون بأنهم تعلقوا وتمسكوا بالدنيا الفانية دون طائل ودون جدوى، ولم يستغلوا فرصة الحياة الدنيا ولم يحملوا منها زاداً لأخرتهم ولما بعد مماتهم . وهذا الأسف والحزن والندم هو عذاب بحد ذاته ، عذاب شديد ومؤلم .

صفات الإنسان العاقل :

الإنسان العاقل هو الذي لا يغتر بالمال والمنصب والجاه الدنيوي المؤقت خلال أيام حياته القصيرة في هذه الدنيا ولا ينخدع باللذات والشهوات الدنيوية العابرة ولا ينسى نفسه وموقعه كإنسان عليه أن يتحلّى بالصفات الإنسانية ويتزود من الدنيا لغده ولا يستقبل الموت وهو صفر اليدين لا يملك شيئاً في جعبته . فالشاعر الفارسي يقول ما معناه :

«في هذه الدنيا الموحشة والدار الفانية ، لا أحد يبقى خالداً إلى الأبد ، فالدنيا ليس فيها سوى الفناء ، والله وحده هو الباقي والبقية تفنى ، فلم يبق لا

فرعون ولا كنز ولا قارون ، كما لم تبق في يد موسى عصا الراعي : .

القرآن ينصح الإنسان:

والقرآن الكريم نبه الإنسان في موارد كثيرة وبتعابير مختلفة إلى هذه الحقيقة ودعاه إلى التفكير بمستقبله ومصيره والمسؤوليات الخطيرة التي ستقع على عاتقه (بعد مماته)، والسعيد هو من فتح عين بصيرته واستخدم عقله وأفاق من غفوته للحظة وأزاح عن نفسه ستار الغفلة وسار في طريق السعادة والسمو الإنساني . ﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ * أن تقول نفس يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين ﴿ (١) .

الأنبياء والأئمة (ع) وتوجيهاتهم الأبوية :

لقد كان النبي ﷺ والأئمة (عليهم جميعاً سلام الله)، بمثابة والد حنون، ومعلم رؤوف للمسلمين جميعاً، حيث كانوا يحثونهم ويشجعونهم على الالتزام بالقيم المعنوية، كما أنهم كانوا من خلال أحاديثهم ورسائلهم وكتاباتهم يطلبون من المسلمين أن لا يغفلوا عن واجباتهم ووظائفهم المعنوية ولا ينسوا آخرتهم ولا يصبحوا عبيداً للدنيا .

حديث للرسول الأكرم (ص) :

عن النبي ﷺ قال : « مَا لِي أَرَى حُبَّ الدُّنْيَا قَدْ غَلَبَ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ حَتَّى كَأَنَّ الْمَوْتَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا عَلَى غَيْرِهِمْ كُتِبَ وَكَأَنَّ الْحَقَّ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا عَلَى غَيْرِهِمْ وَجَبَ وَحَتَّى كَأَنَّ مَا يَسْمَعُونَ مِنْ خَبَرِ الْأَمْوَاتِ قَبْلَهُمْ عِنْدَهُمْ كَسَبِيلِ قَوْمٍ سَفَرَا عَمَّا قَلِيلٍ إِلَيْهِمْ رَاجِعُونَ » (٢) .

(١) سورة الزمر ، ٣٩ ، الآيتان : ٥٥ و ٥٦ .

(٢) تحف العقول ، صفحة ٢٩ .

كلام للإمام علي (ع):

في حديث أن أمير المؤمنين علي عليه السلام دخل سوق البصرة فنظر إلى الناس يبيعون ويشترون فبكى بكاء شديدا ثم قال : « يا عبيد الدنيا وعُمَّال أهلها إذا كنتم بالنهار تحلفون وبالليل في فراشكم تنامون وفي خلال ذلك عن الآخرة تغفلون فمتى تجهزون الزاد وتفكرون في المعاد^(١) .

(١) سفينة البحار ، المجلد ١ ، صفحة ٦٧٤ .

(للشيخ عباس القمي) .

المحاضرة العاشرة

عالم الوجود ليس أزلياً ولا أبدياً

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴾^(١).

نهاية الدنيا قبل يوم القيامة :

(استناداً إلى ما جاء في الآيات المذكورة) فإنَّ العالم يفنى ويزول وينقرض وتتكشف السموات وتختل وتضطرب المنظومة الشمسية وينتهي هذا العالم وتموت كافة الموجودات الأرضية والسماوية، وكل هذه الأحداث والوقائع العجيبة المدهشة والتي أشار إليها القرآن الكريم في العديد من الآيات الكريمة وأيضاً ورد ذكرها في الكثير من الأحاديث والروايات المنقولة عن الأئمة عليهم السلام ، نقول: كل هذه الأحداث والوقائع تحدث قبل قيام القيامة الكبرى، حيث يبعث الموتى جميعاً من الأولين والآخرين من قبورهم ليحضرُوا يوم الحساب ولينالوا بالتالي ثواب حسنات أعمالهم أو عقاب سيئات أعمالهم في الدنيا . وقد يحدث زلزال عنيف جداً يدمر منطقة واسعة من الأرض تدميراً كاملاً ويتسبب في سقوط عدد كبير من الضحايا ، كما أنه قد يقع تفجير نووي هائل يخلف دماراً واسعاً في

(١) سورة التكويد ، الآيات : ١ - ٣ .

منطقة واسعة من العالم ويقضي على كل البشر في تلك المنطقة وتموت جميع الحيوانات والحشرات والكائنات الحيّة في المنطقة المذكورة، كما تموت جميع النباتات والأشجار. ولكن أياً من هذين الحادّين الكبيرين المدمّرين لا يمكنهما أن يغيّرا من قوانين وسنن الخليقة ويحدثا تغييراً في أوضاع العالم، كما لا يمكنهما أن يخلّا بالنظام العام للمنظومة أو المجموعة الشمسيّة، بل إن هذين الحادّين لا يؤثرا على الوضع التكويني للكرة الأرضية، حيث تبقى الكرة الأرضية تتحرك في مدارها، كما أن سائر الكرات أو الأجرام في المنظومة الشمسيّة تواصل خط سيرها والتحرك ضمن مداراتها المحددة من قبل، والشمس تواصل شروقها وغروبها ونشر نورها على العالم.

زوال العالم وفنائه هو تطور أساسي وجذري :

إنّ مسألة انقراض العالم وزواله، قبل حلول يوم القيامة، هو تطور أساسي وجذري ولا يمكن مقارنته بالتغيرات التي تطرأ على جرم أو كوكب صغير مثل الأرض. فعندما يفنى العالم ويزول، يزول معه النظام الذي يتحكم حالياً بالعالم والكون بأسره وتختلّ تلك المعادلة، ويختل ذلك التوازن الدقيق القائم بين الأجرام السماوية، وبالتالي تنجم عن ذلك أوضاع وظروف غير قابلة للتصور من قبل البشر في وقتنا الحاضر. وقد أخبر القرآن الكريم في العديد من الآيات المباركة عن حوادث عظيمة ورهيبة تتزامن مع زوال الدنيا ونهاية عمر المنظومة الشمسيّة: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ *

﴿وَإِذَا الْكُوَاكِبُ انْتَشَرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ *﴾^(١)، أي عندما يُضم بعضها إلى بعض وتفقد نورها وضياءها، وتتلاشى الجبال وتتحرك كأنها رمال متحركة وتتساقط النجوم وتشتعل البحار، حيث تأخذ الأرض وضعاً آخر غير

(١) سورة الانفطار، الآيتان : ٣ و٢.

الذي هي عليه الآن .

والخلاصة أنه (عندما يحين يوم القيامة) تقع حوادث رهيبة وعجيبة في العالم . ولكي تتوضح الصورة أمام القارئ الكريم ، فإننا سوف نشير إلى آيات أخرى في هذه المحاضرة كما سنشير إلى آيات أخرى في المحاضرة القادمة .

في الإسلام ليس هناك شيء أزلي وأبدي بذاته إلا الله وحده فقط ، وليس هناك من شيء أو أحد يتمتع بهذه المزية وهذا الكمال سوى الله (جلّ وعلا) . وكل شيء ما عدا الله هو حادث ومجرد ظاهرة عارضة (تقع كسائر الظواهر الأخرى التي تحدث في هذا العالم) والجميع مخلوقون من قبل الله ، وهذا مبدأ أساسي في التوحيد (الذي هو أصل رئيسي من أصول الدين الإسلامي) .

﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾^(١) .

فالله هو الأول ، بدون بداية وهو موجود قبل جميع المخلوقات ، والكائنات وهو الآخر ، أي لا نهاية له وهو يبقى موجوداً بعد زوال جميع المخلوقات والكائنات وموته . وهو الظاهر من خلال الآيات والعلامات والدلالات الواضحة التي تدلّ عليه وتثبت وجوده (سبحانه وتعالى) . وهو في نفس الوقت باطن ومخفي نظراً لعجز المخلوق عن إدراك حقيقة الخالق الذي يحيط علماً بحقائق الأشياء والكائنات جميعاً .

عَنْ مَيْمُونِ الْبَانِ قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ (الصادق) عليه السلام وَقَدْ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ ﴾ فَقَالَ : « الْأَوَّلُ لَا عَنْ أَوَّلٍ قَبْلَهُ وَلَا عَنْ بَدءٍ سَبْقَهُ وَآخِرٌ لَا عَنْ نِهَآيَةٍ كَمَا يُعْقَلُ مِنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ وَلَكِنْ قَدِيمٌ أَوَّلٌ وَآخِرٌ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ بِلاَ بَدءٍ وَلَا نِهَآيَةٍ لَا يَقَعُ عَلَيْهِ الْحُدُوثُ وَلَا يَحُولُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ »^(٢) .

(١) سورة الحديد ، الآية : ٣ .

(٢) معاني الأخبار ، صفحة ١٢ .

بداية ونهاية المخلوقات :

ان المجرات العظيمة والأجرام والكواكب السماوية الكبيرة والصغيرة وكافة الموجودات الأرضية والسماوية وبشكل عام كل ما هو موجود في عالم الوجود ، قد ارتدت ثوب الوجود والحياة بمشيئة الله وإرادته الحكيمة، وكل هذه الكائنات والمخلوقات لها أجل معلوم ومحدد وذلك استناداً لما ورد بشكل صريح في القرآن الكريم . فهذه الكائنات والمخلوقات نشأت وظهرت إلى الوجود في يوم معين وينتهي وجودها أيضاً في يوم معين ومحدد : ﴿ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ ﴾ (١).

الخالق الذي لا أول قبله ولا نهاية له :

على أن الإسلام ليس هو وحده الذي يعتبر أن كافة العوالم الوجودية هي حادثة ومخلوقة، بل إن جميع الأنبياء متفقون ويعلمون من خلال الوحي الإلهي الذي كان ينزل عليهم بأن كل موجود في هذا الكون وفي هذا العالم الوجودي هو حادث ومخلوق ما عدا الله (سبحانه وتعالى)، (الأول قبل الإنشاء والإحياء والباقي بعد فناء الأشياء) وهو الأزلي والأبدي، وهو قديم بذاته لم تكن له بداية وليست له نهاية .

نظرية باطلة حول الكون :

وقد أبلغ الأنبياء اتباعهم على هذه الحقيقة ، وخلال القرون الماضية كان عدد كبير من الفلاسفة والعلماء المشهورين في العالم مثل «أرسطو» وهو من الفلاسفة القدماء و«أبو نصر الفارابي» وهو من الفلاسفة المتأخرين، حيث كان بعض هؤلاء الفلاسفة والعلماء يعاصرون بعض الأنبياء، نقول: إن عدداً كبيراً من هؤلاء الفلاسفة والعلماء كانوا يعتقدون بأن السموات بكل ما لها من صفات هي قديمة بذاتها ، إذ لم تكن لها بداية وليست لها نهاية . وهؤلاء قدموا هذه النظرية

(١) سورة الأحقاف ، الآية : ٣ .

الباطلة حول الكون من منطلق التصور والإعتقاد والحدس وليس من منطلق الدليل والبرهان ، وهذه النظرية تتعارض مع منطق الوحي الإلهي وما جاء به الأنبياء والمرسلون .

لقد تصوروا عالم الوجود وصفاته بأنه قديم بذاته وقد كتبت هذه النظرية غير الصحيحة في الكتب على مدى قرون متمادية على أساس أنها موضوع علمي ، وكانوا يدافعون عن هذه النظرية ويدرسونها في المدارس . أما اليوم فإن العلماء وفي ظلّ ما تحقق من تطور في العلوم الطبيعية والتعرف على أسرار الخليقة ، توصلوا إلى هذه النتيجة وهي أن النظام الكوني المدهش المحير للعقول ليس أزلياً ولا أبدياً . فالمجرات السماوية الهائلة التي لا يمكن مشاهدتها إلا بواسطة التلسكوبات أو أجهزة الرصد الفضائية القوية جداً كلها حادثة أو واقعة والأجرام السماوية المضيئة في هذا الكون السحيق ، هي ظواهر نشأت في زمن معين وهي سوف تنطفئ في يوم ما وينتهي ضياؤها ونورها وتصبح جرمًا ميتًا تائهاً في هذا الفضاء السحيق .

كلام الانبياء والعلم الحديث :

والخلاصة : فإن مسألة نشوء الكون وظهور العالم والتي استوعبها الأنبياء واطلعوا عليها خلال القرون الماضية من خلال الوحي الذي كان ينزل عليهم من الله حيث أبلغوا بدورهم أتباعهم بمسألة نشوء الكون والعالم ، نقول : إن هذه المسألة قد أصبحت اليوم أمراً ثابتاً ومسلماً به ولا مجال فيه للشك والترديد . وبالعكس نجد أن نظرية القدم الذاتي للكون وقدم صفات هذا الكون التي كانت مقبولة في الماضي من قبل عدد كبير من الفلاسفة المشهورين في العالم ، ثبت اليوم بطلانها من الناحية العلمية وبات يرفضها جميع المحققين والعلماء . ولتوضيح هذا الموضوع العلمي والديني المهم والذي يعتبر من القضايا الأساسية في موضوع المعاد ، علينا أولاً : أن نوضح معنى الأزلي والأبدي والذي يعبر عنهما الكتاب المعاصرون بـ « ما لا نهاية » كما علينا ثانياً : أن نشير إلى جانب من

أقوال علماء الأمس الذين اعتبروا الأجرام السماوية قديمة وأزلية، وأيضاً أقوال بعض علماء اليوم الذين يعتبرون العالم حادثاً (نشأ في فترة معينة) وبالتالي يرفضون نظرية فلاسفة الأمس .

ماذا نعني بالأزلي والأبدي :

الأزلي أو القديم هو الشيء الذي كان موجوداً قبل ما لا نهاية وليست له بداية ، والأبدي هو الشيء الذي يبقى إلى ما لا نهاية ولا ينتهي . ولكي نصوّر المالا نهاية في أذهاننا نضرب مثلاً بالأعداد . فنختار العدد ١ كعدد صحيح ونبدأ بوضع أصفار أمام العدد ١ فيصبح الواحد عشرة والعشرة مائة والمائة ألف وهكذا حتى نصل إلى المليون والمليار ونتخطى ذلك فنصل إلى ملايين المليار ومليارات المليار ثم نستمر ونضيف أصفاراً أخرى أمام الرقم الذي وصلنا إليه حتى يبلغ عدد الأصفار بمقدار طول محيط الأرض ، ورغم أنه ليس هناك من أحد ولا حتى أية آلة حاسبة يتمكن من قراءة هذا الرقم ولكن الطريق يظل مفتوحاً في عالم الذهن والخيال ، وبإمكاننا أن نضيف أصفاراً أخرى ليرتفع الرقم وهذا معنى اللانهاية في عالم الخيال أو التصوّر .

إذن فعندما يقال بأن الكوكب الفلاني عمره ملياري عام ، فرغم أن ملياري عام هي فترة طويلة جداً، إلا أن تحديد عمر كوكب معين مهما كان طويلاً جداً - بنظرنا وبالمقارنة مع عمر الإنسان - يعني أن هذا الكوكب أو الجرم السماوي ليس قديماً وأزلياً ولم يكن موجوداً قبل ما لا نهاية من السنين . وكذلك إذا قيل إن الكوكب الفلاني سيبقى بعد مئات الملايين من السنين يشع بأنواره ، فهذا يعني أن الكوكب المذكور ليس أبدياً ولن يشع بأنواره إلى ما لا نهاية (من السنين في المستقبل) .

وقد قام العلماء المعاصرون - ووفقاً لأسس ومعادلات خاصة - بتحديد العمر المنصرم والعمر المتبقي لبعض الأجرام السماوية وأثبتوا بأن كافة الأجرام السماوية هي مخلوقة وحادثة وبالتالي فهي ليست أزلية ولا أبدية .

« إن نور الشمس ينتج عن احتراق غاز الهيدروجين وتحوله إلى غاز

الهيليوم . ولكي ينتج هذا النور الساطع فإن عملية الإحتراق والتحول هذه يجب أن تتم على نطاق واسع . ويقول العلماء : إن ٦٣٠ مليون طن من الهيدروجين يتحول في كل ثانية إلى ٦٢٥,٤٠ مليون طن من الهيليوم ، أما الكمية الباقية من (غاز الهيدروجين) وهي ٤,٦٠ مليون طن فإنها تتلاشى على شكل طاقة ضوئية ، حيث أن كمية قليلة من هذه الطاقة تصل إلى الأرض وتجعل الحياة ممكنة فوق هذا الكوكب . وقد يتصور البعض بأنه على ضوء هذه الكمية من الهيدروجين التي تحترق وتستهلك في كل ثانية فإن الشمس لا تستطيع أن تستمر في وجودها لفترة طويلة ، ولكننا سوف نتخلى عن هذا التصور إذا أخذنا بنظر الإعتبار وزن الشمس وحجمها . إذ يبلغ وزن الشمس في مجمله (أكثر من اثنين بليون بليون بليون) طن .

وإذا تصورنا بأن كوكب الشمس بأكمله كان في بداية الأمر عبارة عن غاز الهيدروجين وأن عملية تحول الهيدروجين إلى هيليوم كانت تتم بصورة مستمرة وبمعدل ٦٣٠ مليون طن في كل ثانية وأن هذه العملية استمرت بهذا الشكل ، فيمكننا القول (عن طريق المحاسبات الرياضية) بأن الشمس تسطع بنورها منذ حوالي أربعين بليون عام وأنها يمكن أن تواصل عملها ونشر أنوارها لستين بليون عام أخرى قادمة»^(١).

من الممكن أن يخلق الله القادر شيئاً ويمنحه عمراً أبدياً . فمثل هذا المخلوق ليس قديماً وأزلياً ولكنه أبدي ودائمي ، ووجود هذا الكائن كانت له بداية ولكن ليست له نهاية ، كحياة البشر في عالم الآخرة ، ولكن إذا كان الشيء أزلياً وموجوداً في الماضي اللانهائي فإن هذا الشيء لا بد أن يكون أبدياً ويبقى موجوداً إلى ما لا نهاية في المستقبل، وإلا لكان هذا الشيء قد فني وزال

(١) سيري درجهان دانش، صفحة ٢٨ .

من الوجود خلال الماضي اللامتناهي .

«كلام لبعض فلاسفة الأمس من الذين تصوروا بأن الأجرام السماوية أزلية قديمة» .

النظريات المختلفة حول نشوء الأجسام :

يقول خواجه نصير الدين الطوسي^(١) : « اختلف أهل العالم في حدوث الأجسام والوجوه الممكنة لا تزيد على أربعة فإنه إما أن يكون محدث الذات والصفات أو قديم الذات والصفات أو قديم الذات محدث الصفات أو بالعكس .

أما القسم الأول : فهو قول الجمهور من المسلمين والنصارى واليهود والمجوس . (أي أنهم يقولون بأن السموات وما فيها من أجرام وكواكب ومجرات هي محدثة «مخلوقة في فترة معينة» بذاتها وصفاتها) . وأما القسم الثاني : فهو قول «أرسطاطاليس» و«ثاوفرسطس» و«تامطيوس» و«برقلس» ومن المتأخرين «أبي نصر الفارابي» و«أبي علي سينا» وعندهم أن السموات قديمة بذاتها وصفاتها المعينة إلا الحركات والأوضاع فإن كل واحد منها حادث ومسبق بآخر لا إلى أول»^(٢) .

أما القسمين الثالث والرابع : والذين ذكرهما «خواجه نصير الدين الطوسي» في كتاب «تلخيص المحصل» فلا لزوم لهما في هذا البحث ولذلك فإننا لا نتطرق إليها .

نظرية الدهريين :

وهؤلاء - أيّدك الله - هم القائلون بأن الدهر سرمديّة لا أول لها ولا آخر وأن كل حركة تحرك بها الفلك فقد تحرك قبلها بحركة قبلها حركة من غير نهاية

(١) هو من مشاهير العلماء والفلكيين في إيران .

(٢) ١ تلخيص المحصل ، صفحة ١٨٩ .

وسيتحرك بعدها بحركة بعد حركة لا إلى غاية ، وأنه لا يوم إلا وكان قبله ليلة ولا ليلة إلا وكان قبلها يوم ولا إنسان تكوّن إلا من نطفة ولا نطفة تكوّنت إلا من إنسان ولا طائر إلا من بيضة ولا بيضة إلا من طائر ولا شجرة إلا من حبة ولا حبة إلا من شجرة وأنّ هذه الحوادث لم تزل تتعاقب ولا تزال كلّ ليس للماضي منها بداية ولا للمستقبل منها نهاية .

قَدَم الصانع والمصنوع :

وهي مع ذلك صنعة لصانع لم يتقدمها وحكمة من حكيم لم يوجد قبلها وأن الصنعة والصانع قديمان لم يزالا^(١).

« كلام لبعض العلماء المعاصرين الذين يعتقدون بأن العالم حادث » .

« يقول - فرانك آين - أستاذ الفيزياء الحيوية : لقد أثبت قانون «ترموديناميك» (الديناميكا الحرارية) بأن العالم يسير دائماً نحو وضع تصل معه جميع الأجسام إلى درجة دُنيا متشابهة بحيث لم تعد هناك طاقة يمكن استخدامها، عندها تصبح الحياة غير ممكنة . وإذا كان العالم ليست له بداية وكان موجوداً منذ الأزل لكانت مثل هذه الحالة وهي حالة الموت والركود قد حدثت قبل ذلك . على أن الشمس المحرقة والأرض والنجوم التي تنبض بالحياة هي أكبر دليل على أن العالم ظهر ونشأ في فترة زمنية معينة»^(٢).

العلماء المعاصرون وما جاء به الأنبياء :

إنّ الباحثين والعلماء في عصرنا الحاضر يرفضون نظرية الحكماء والفلاسفة القدماء الذين كانوا يعتقدون بأن السموات والأجرام السماوية والمجرات هي قديمة الذات والصفات، فهؤلاء العلماء المعاصرين توصلوا من

(١) السماء والعالم ، صفحة ٥٩ .

(٢) إثبات وجود خدا ، صفحة ١٨ .

خلال العلوم الطبيعية والبحوث والتحقيقات والدراسات والتجارب ، توصلوا إلى هذه النتيجة المؤكدة والمسلّم بها وهي أن الكون والعالم ليس أزلياً ولا أبدياً، بل هو ظاهرة نشأت في فترة زمنية معينة وفي ظل ظروف خاصة وأن هذا الكون ينتهي في فترة زمنية معينة وفي ظل ظروف أخرى . وهذه هي نفس الحقيقة التي جاء بها الأنبياء والأوصياء في الماضي ويؤمن بها أتباع الديانات السماوية منذ قرون طويلة .

الأنبياء ونشوء المادة :

على أن الأديان السماوية (التي جاء بها الأنبياء) لا تعتبر فقط الأجرام السماوية والمجموعة الكونية بشكل عام بأنها حادثة (مخلوقة في فترة زمنية معينة) بل إنها تعتبر المادّة الأولى لهذا العالم وهي المادّة الرئيسية التي نشأ منها هذا الكون حادثة أيضاً ، وأنها وجدت وخلقت وجاءت إلى الوجود بإرادة من الله (سبحانه وتعالى) وهذا ما يقرّه ويؤيده عدد كبير من العلماء في الوقت الحاضر . وهؤلاء العلماء يعتبرون نظرية قدم المادّة (وأزليتها) كنظرية قديم الكون (وأزليته) هي نظرية باطلة ومرفوضة من وجهة النظر العلمية ، كما يعتبرون الكون موجوداً حادثاً (مخلوقاً في فترة زمنية معينة) .

«هل هناك إنسان عاقل ومطلع على حقائق الأمور ، يصدق بأن المادّة التي لا إحساس لها ولا شعور أوجدت نفسها بطريق الصدفة وأوجدت لنفسها نظاماً خاصاً وهي تواصل بقاءها في إطار هذا النظام ؟ لا شك أن الجواب هو بالنفي . فعندما تتحول الطاقة إلى مادّة (جديدة) ، فإنّ ذلك يتم وفقاً لقانون معين والمادّة التي تنتج عن ذلك تتبع نفس القوانين التي كانت تتبعها المواد السابقة .

المادّة ليست أزلية :

لقد ثبت في علم الكيمياء بأن المادّة تفنى يوماً ما ، ولكن فناء بعض المواد يتم بشكل بطيء جداً كما أن فناء مجموعة أخرى من

المواد يتم بشكل سريع جداً . إذن فإن وجود المادة ليس أزلياً ولا بد أن يكون له بداية ، وهناك دلائل في علم الكيمياء والعلوم الأخرى تشير إلى أن هذه البداية لم تكن بطيئة وتدرجية ، بل إن المادة نشأت بصورة مفاجئة حتى أن العلماء تمكنوا من تحديد الفترة الزمنية التي نشأت فيها المادة وذلك على وجه التقريب بطبيعة الحال . إذن يتضح من ذلك بأن العالم المادي نشأ وتكون في فترة زمنية معينة ومنذ ذلك الزمن والعالم يسير وفقاً لقوانين معينة وهو لا يخضع لعامل الصدفة»^(١) .

يقول أينشتاين : إنني لا أرى في هذا العالم مادة وقوة أزلية (موجدة منذ ما لا نهاية) ولا أرى بأن خلق العالم جاء بطريقة الصدفة . إنني أرى في خلق العالم ، مشيئة وإرادة الله القادر المتعال فقط»^(٢) .

المادة ظاهرة مخلوقة :

وجاء في النصوص والروايات الإسلامية بأن الله موجود قبل أي شيء (هو الأول قبل الإنشاء والإحياء)^(٣) وهو باقٍ بعد فناء وزوال كل شيء (والباقي بعد فناء الأشياء)^(٤) . إذن فالمادة كالمجموعة الكونية وكجميع الكواكب الثابتة والسيارة ، مخلوقة .

عن علي بن مهزيار قال : كَتَبَ أبو جعفر (الباقر) إلى رَجُلٍ بِخَطِّهِ في دعاءٍ كَتَبَ بِهِ أن يَقول : يا ذا الَّذي كَانَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ ثُمَّ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ثُمَّ يَبْقَى وَيَفْنَى كُلَّ شَيْءٍ^(٥) .

نظرية قدم الحركات السماوية :

القسم الثاني من كلام هؤلاء الفلاسفة هو أن الحركات السماوية (حركة

(١) إثبات وجود خدا ، صفحة ٤٤ .

(٢) إثبات وجود خدا ، صفحة ٧٦ .

(٣) و(٤) دعاء في الصحيفة السجادية .

(٥) بحار الأنوار ، المجلد ٣ ، صفحة ١٨٤ .

الكواكب والأجرام السماوية في الفضاء) والتطورات الذهرية هي من حيث نوعها وطبيعتها قديمة ولكن من الناحية الفردية فهي حادثة (ومخلوقة)، إذ أن كل حالة فلكية مسبقة بحركة تقع قبلها ، وكل ليل يسبقه نهار وكل نهار يسبقه ليل وكل نطفة تتكون من الإنسان وكل إنسان يتكون من نطفة . . . وهذه التطورات والحركات المتتالية رغم أن كل واحد منها يعتبر من الناحية الفردية حادثاً ولكن من الناحية النوعية يعتبر أزلياً وأبدياً . وهذا القسم من كلام الفلاسفة لا يتفق لا مع ما جاء في القرآن الكريم والتعاليم الدينية ولا مع العلوم الطبيعية ومبادئ علم الأحياء . إن أصحاب هذه النظرية يعتقدون بأن الإنسان والنطفة كلاهما أزليان في وعاء الدَّهر ولا يرون وجود بداية لذلك . ولكن القرآن الكريم يقول :

﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً ﴾^(١).

ورغم أن عملية خلق الإنسان كانت مقدرة قطعياً في العلم الإلهي ، وأن العناصر التي يتكون منها الإنسان كانت موجودة في الطبيعة على شكل مواد طبيعية وأملاح معدنية، ولكن الله لم يخلق الإنسان ويلبسه ثوب الوجود إلا بعد مضي فترة طويلة من عمر الدهر (الكون).

عن أبي جعفر (الباقر) عليه السلام قال : « كَانَ مَذْكُوراً فِي الْعِلْمِ وَلَمْ يَكُنْ مَذْكُوراً فِي الْخَلْقِ »^(٢).

وكان الإمام الباقر عليه السلام يتحدث عن تفسير الآية الكريمة : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً ﴾ عن أبي عبد الله (الصادق) عليه السلام قال : « كَانَ شَيْئاً مَّقْدُوراً وَلَمْ يَكُنْ مُكُوناً »^(٣).

وكان الإمام الصادق عليه السلام يتحدث عن تفسير الآية الكريمة المذكورة . هذه الآية والأحاديث الواردة حول تفسيرها تكشف حقيقة أن الإنسان ظاهرة حادثة وأن حياة الإنسان بدأت خلال فترة معينة من عمر الدَّهر . والنقطة الأخرى

(١) سورة الإنسان ، الآية : ١ .

(٢) تفسير نور الثقلين ، المجلد ٥ ، صفحة ٤٦٩ .

(٣) تفسير الصافي ، صفحة ٥٥٢ .

التي يجب أن نشير إليها حول الإنسان والنطفة هي أن القرآن الكريم يقول بكل وضوح :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾^(١).

خلق الإنسان من وحل متعفن :

أي من طين يابس كريحه الرائحة (وَحَل).

خلق النطفة والإنسان :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴾^(١).

أي من التراب الممزوج بالماء ثم جعلنا بقاء الجنس البشري عن طريق النطفة التي تستقر في رحم الأم .

إذن فإنَّ القَدَمَ النوعي للإنسان والنطفة هو كلام باطل لا أساس له من الواقعية من وجهة نظر القرآن الكريم ، إذ أن الإسلام يعتبر الإنسان والنطفة موجودين حادثين ليسا أزليين ولا أبديين ، إذ لم يكونا موجودين منذ ما لا نهاية ولن يظلا باقين وموجودين إلى ما لا نهاية . ومن الناحية العلمية فإن العلماء المعاصرون يعتبرون نظرية قَدَمِ النطفة وقَدَمِ الإنسان باطلة ومرفوضة لأنه قد ثبت علمياً بأن الأرض كانت في البداية جرمًا أو كوكبًا ناريًا ملتهبًا وبعد مرور فترة طويلة جدًا غير معروفة على وجه التحديد، ظهرت قشرة رقيقة كالوبر فوق الطبقة المشتعلة غطت سطح الأرض وبذلك أصبح سطح الأرض مهيبًا لاستقبال الكائنات الحية . ولا تزال المواد الملتهبة والمنصهرة من شدة الحرارة موجودة لحد الآن في أعماق الكرة الأرضية حيث تخرج هذه المواد أحياناً على شكل براكين من باطن الأرض .

(١) سورة الحجر، آية : ٢٦ .

(٢) سورة المؤمنون ، الآيتان : ١٢ و ١٣ .

المواد المنصهرة في أعماق الأرض :

كلما اقتربنا من مركز الأرض كلما ازدادت وارتفعت درجة الحرارة . وعندما نصل إلى عمق معين من باطن الأرض لا يتجاوز المائة كيلومتر فإن كافة الأجسام الصلبة تنصهر وتصبح سائلة ، وهذه القشرة الجامدة الصلبة التي يبلغ سمكها مائة كيلومتر تعتبر غشاءً رقيقاً إذا ما قورنت بقطر الأرض الذي يبلغ ١٢٧٥٦ كيلومتراً ، ولهذا السبب فإن القشرة الأرضية غالباً ما تشبه بقشرة البيض ^(١).

حرارة الأرض في بداية نشوئها :

والخلاصة أنه في بداية نشوء الكرة الأرضية كانت جميع الأشياء والمواد (الموجودة على سطحها) على شكل بخار من شدة الحرارة ، وبالتالي فإن تركيب العناصر المختلفة مع بعضها البعض كان أمراً غير ممكن في ظل هذه الحرارة الهائلة ، وبطبيعة الحال فإن ظهور الموجودات والكائنات الحية فوق سطح الأرض وفي مثل هذا الجو الملهب من شدة الحرارة هو أمر غير ممكن أيضاً .

« يقول كرسى موريسن : عندما بدأت الأرض والقطع والأجزاء المتناثرة منها تبرد شيئاً فشيئاً بدأت عملية التركيب بين العناصر المختلفة وتكونت بذلك النواة المركزية للأرض وهو ما يُعرف اليوم بمركز الأرض . إن عملية تركيب غازي الأوكسجين والهيدروجين لم تكن ممكنة إلى أن انخفضت درجة الحرارة على سطح الأرض إلى أربعة آلاف درجة فهرنهايت ، حيث حصلت عملية التركيب بين غازي الأوكسجين والهيدروجين بسرعة ونتج عن ذلك الماء . وإن ما نعرفه اليوم بشكل مؤكد هو أنه خلال هذه الفترة التكوينية للأرض فإن الجو المحيط بالأرض يجب أن يكون كثيفاً ومركزاً إلى أبعد الحدود .

(١) چه میدانم ؟ زمین و سرگذشت آن ، صفحه ٥٢ .

البحار معلقة في الهواء :

فجميع البحار كانت معلقة في السماء وكافة العناصر التي تفاعلت مع بعضها البعض كانت منتشرة ومنتشرة في الجو . والماء الذي تكون في الهواء الموجود في خارج جو الأرض بدأ يتجه نحو الأرض ولكن نظراً لأن درجة حرارة جو الأرض كانت أكثر بكثير من درجة الحرارة في خارج جو الأرض ، فإن هذا الماء يتبخر بمجرد أن يقترب من جو الأرض وبالتالي لم يصل شيء من هذا الماء إلى سطح الأرض . ولكن عندما بدأ جو الأرض والهواء المحيط بالأرض يبرد شيئاً فشيئاً بدأت المياه المعلقة في الهواء تنساب نحو الأرض ، فحدثت موجة رهيبية لا يمكن تصورها من الأمطار والسيول . وقد استمرت هذه التقلبات الجوية وهذا الطوفان العظيم وهذه السيول الهائلة ، استمرت لملايين السنين»^(١) .

الكون ظاهرة مؤقتة :

ونستنتج مما ذكرنا بأن الأنبياء والمرسلين أعلنوا للناس والبشر قبل قرون من الزمن ، أعلنوا لهم بكل ثقة وحزم بأن المجموعة الكونية وما تضمه من أجرام سماوية وكواكب ومجرات (ومنظومات شمسية وغيرها) هي ظاهرة مؤقتة لم تكن موجودة منذ الأزل ولن تبقى موجودة ومستمرة إلى الأبد وإلى ما لا نهاية . فهي وجدت في يوم ما بأمر من الله جلّت قدرته وستنتهي وتزول يوماً ما (وبأمر الله ومشيتته أيضاً) . وفي تلك العصور التي كان فيها الأنبياء يتحدثون عن نشوء العالم وحدثه كان بعض الفلاسفة من القدماء والمتأخرين يتحدثون عن نظرية قديم الكون بذاته وصفاته وكانوا لقرون سحيقة يتصورون هذا الوهم الذي لا أساس له من الصحة والواقعية ، يتصورون علماً ويناقشون ويتباحثون حوله كثيراً بل وإنهم ألفوا الكتب حول هذه النظرية ودرّسوها للطلاب في المدارس

(١) راز آفرينش إنسان ، صفحة ٢١ .

والجامعات . أما اليوم فقد أثبت العلم من خلال الأساليب العلمية الحديثة في البحث والتحقيق ، أثبت بأن العالم هو حادث وأن منظومتنا الشمسية التي هي جزء بسيط جداً من المجموعة الكونية ، ليست أزلية ولا أبدية حيث كانت لها بداية وستكون لها نهاية ، وسيأتي ذلك اليوم الذي يضطرب فيه هذا النظام العظيم وينتهي عمر المنظومة الشمسية وتنطفئ الشمس وينتهي العالم الذي نعيش فيه . وخلاصة الكلام أن ما جاء به الأنبياء عن طريق الوحي الإلهي وباعتباره من التعاليم الدينية وأبلغوه للناس ، قد ثبت اليوم للعلماء عن طريق الأدلة والتجارب العلمية الثابتة والمؤكدّة حيث يدرس اليوم في المدارس والجامعات . ونحن في هذا البحث نشير إلى بعض الآيات الكريمة التي وردت في القرآن الكريم حول انقراض العالم ونهايته ، ونظراً لأن المواضيع المذكورة في هذه الآيات ترتبط بالتطورات الطبيعية والأحداث التي يشهدها الكون والعالم فإننا - ومن أجل توضيح هذه المواضيع وشرحها - نستعين بالبحوث العلمية التي قام بها العلماء في هذا المجال والدراسات الواسعة والعميقة التي قام بها علماء الفلك ، لكي يتدبر القارئ الكريم في هذه الآيات ويتمعن فيها وينتبه أكثر فأكثر إلى القيمة العلمية لهذه الآيات المباركة . ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾^(١) كُوِّرَت الشمس : جمع ضوؤها وَلُفَّ كما تُلَفُّ العمامة^(٢) .

وكما تلاحظون فإن معنى التكوير يضم موضوعين ، الأول : هو أن نور الشمس وضيائها يخفت شيئاً فشيئاً وتسير الشمس نحو الإنطفاء والظلام ، والثاني : أن هذا الكوكب العظيم الهائل يلفّ كما تُلَفُّ العمامة وفي كل فترة تتداخل بعض أجزاء سطح هذا الكوكب . وهذا الأمر ينطبق مع ما يقوله العلماء الفلكيون حول مصير الشمس في نهاية الأمر .

يقول هؤلاء العلماء الخبراء :

« إن كمية الطاقة التي ترسلها الشمس يومياً إلى سطح الأرض تبلغ

(١) سورة التكوير ، الآية : ٢ .

(٢) كتاب لسان العرب ، (مادة : كَوَّرَ) .

٤, ٦٩٠, ٠٠٠ وحدة من وحدات قياس الطاقة لكل ميل مربع واحد ، وإن كمية الطاقة الإجمالية التي تصل إلى الأرض من الشمس في العام الواحد تزيد ملايين المرات عن مجمل الطاقة التي تنتج على سطح الأرض نتيجة احتراق الفحم وغيره من مواد الوقود الأخرى (كالنفط والكهرباء والطاقة النووية المستخدمة في المفاعلات وغيرها). ولكن الأرض لا تستقبل إلا جزءاً يسيراً من هذه الطاقة الشمسية التي تهرب في معظمها إلى أعماق الفضاء وتنتشر بين الكواكب والأجرام السماوية»^(١).

ما هو مصدر الطاقة الشمسية :

ولكن ما هو مصدر هذه الطاقة العظيمة الهائلة ؟ وما هي المادة التي تنتج عنها هذه الطاقة وتجعل الشمس ترسل نورها وأشعتها بعد مرور عشرات البلايين من السنين ؟ لقد توصل العلماء - إلى حدٍّ ما - إلى اكتشاف سرِّ الشمس وحقيقتها وأجابوا على هذه التساؤلات في حدود ما توصلوا إليه من معلومات :

« لو كانت الشمس مصنوعةً من الفحم لكانت قد احترقت وانتهت خلال خمسة أو ستة قرون ، ولكن الشمس التي تأخذ طاقتها من مصدر ما دون الذرة فيمكن أن تبقى وتواصل إرسال نورها وأشعتها لبلايين السنين»^(٢).

« والآن يمكننا قبول أقدم النظريات في هذا المجال والتي تقول بأن الطاقة الشمسية تنتج عن نوع من الاحتراق، وهذا الاحتراق هو احتراق نووي وقوده الهيدروجين وما يتبقى من عملية الاحتراق عبارة عن غاز الهيليوم»^(٣). « ان الهيدروجين هو من أبسط العناصر

(١) بيدايش ومرگ خورشيد ، صفحة ١٧ .

(٢) بيدايش ومرگ خورشيد ، صفحة ١١٤ .

(٣) چه ميدانم ؟ زندگي ومرگ ستارگان ، صفحة ٩٥ .

(الموجودة في الطبيعة) حيث تحتوي ذرة الهيدروجين على إلكترون واحد يدور حول نواة مركزية ، ويأتي بعده غاز الهيليوم من حيث الزيادة التدريجية في عدد الإلكترونات وهو غاز غير قابل للإشتعال . وتحتوي ذرة غاز الهيليوم على إلكترونين اثنين يدوران حول النواة المركزية^(١) .

الطاقة ما دون الذرية :

يعتقد علماء الفلك أن المصدر المهم للطاقة الشمسية هو غاز الهيدروجين الموجود على سطح الشمس ، وهذا العنصر يستعمل بشكل دائم وتنتج عنه الطاقة (الشمسية) . وعندما يستهلك الهيدروجين ينتج عنه (إضافة إلى الطاقة) غاز الهيليوم الذي ينتقل إلى داخل الشمس ويبقى هناك وتكرر هذه العملية حتى ينتهي الهيدروجين الموجود على سطح الشمس وبذلك ينتهي مصدر الطاقة ما دون الذرية في الشمس .

استهلاك الهيدروجين وإنتاج الهيليوم :

« إن الهيليوم الذي يتكوّن داخل الشمس نتيجة استهلاك الهيدروجين هو أكثر كثافة أو أقل شفافية من الهيدروجين الذي كان موجوداً في بداية الأمر ، وبالتالي فكلما ازداد استهلاك غاز الهيدروجين وتحوله إلى غاز الهيليوم كلما أصبح مركز الشمس أقل نوراً وأقل تألؤاً ، وبالتالي فإنّ مزيداً من الطاقة تتجمع في الأجزاء المركزية من الشمس .

من خلال ما ذكر آنفاً اتضح لنا ما يلي :

أولاً : كلما زادت كمية غاز الهيليوم في الغلاف أو الجو الداخلي للشمس كلما ازدادت الشمس ظلاماً .

(١) نجوم براي همه ، صفحة ٣٦ .

ثانياً : أن غاز الأوكسجين الموجود على سطح الشمس يستهلك بصورة مستمرة والطاقة الناتجة عن ذلك تنتشر في الفضاء اللامتناهي . وأن غاز الهيليوم الذي ينتج عن هذه العملية ينفذ وينتقل إلى داخل الشمس ، وبهذا فإن الشمس المشرقة تلتف داخل نفسها حيث أن قسماً من المواد الخارجية المحيطة بسطح الشمس تنفذ إلى الداخل وتتمركز هناك وهذه العملية تحدث بشكل مستمر . على أن أفضل وأوضح تعبير عن هاتين العمليتين في اللغة العربية هو «التكوير» ، حيث استخدم الله (سبحانه وتعالى) في القرآن الكريم هذه العبارة لتوضيح التغيرات والتطورات التي تطرأ على الشمس عندما يقترب العالم من نهايته .

﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ .

﴿ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ﴾^(١) .

أي عندما يخفت ضوء النجوم وتصبح مظلمة .

﴿ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْثَرَتْ ﴾^(٢) .

أي عندما تتحطم الكواكب وتتهادى وتتساقط .

النجوم والكواكب تهرم وتشيب أيضاً :

النجوم أيضاً كالشمس ليست أزلية ولا أبدية ، لأنها ذات بداية ونهاية محددة ومعلومة . والنجوم أيضاً مثل الشمس تستهلك الهيدروجين الموجود في أجوائها وينتج عن ذلك الطاقة . وهذه النجوم تهرم شيئاً فشيئاً ويخفت نورها ويضمحل ويصغر حجمها وفي نهاية المطاف تنفجر وتتساقط .

« عندما ينتهي المخزون من غاز الهيدروجين في محيط كوكب ما

(١) سورة التكوير ، الآيتان : ١ و ٢ .

(٢) سورة الانفطار، الآية : ٢ .

ويستهلك الكوكب كل ما عنده من هذا الغاز فإنه يبدأ بالإنكماش والتقلص حيث يبدأ حجمه يصغر شيئاً فشيئاً . وكلما صغر حجم الكواكب كلما ازدادت سرعة دورانه حتى يتفجر في النهاية ويتلاشى ويتبعثر في الفضاء بسرعة كالفقاعات المضيئة . على أن انفجار الكواكب والنجوم لا يستغرق أكثر من دقيقة واحدة ، ولكن خلال هذه الفترة القصيرة فإن تسعة أعشار الكوكب يتتشر ويتناثر في الفضاء»^(١).

﴿ وإذا الجبال سُيرت ﴾^(٢).

أي عندما تتلاشى الجبال وتنتشر وتسير في الفضاء كالغبار .

﴿ وتكون الجبال كالعهن المنفوش ﴾^(٣).

أي تصبح الجبال هشة لينة كالصوف المندوف .

﴿ وإذا البحارُ سُجّرت ﴾^(٤).

أي عندما تشتعل البحار .

﴿ وإذا البحارُ فُجّرت ﴾^(٥).

أي عندما تنشق البحار وتتصل ببعضها البعض .

زيادة أشعة الشمس وحرارتها :

ذكرنا من قبل أنه كلما ازداد استهلاك الهيدروجين الموجود في الغلاف الخارجي للشمس كلما ازدادت كمية الهيليوم المتراكمة على سطح الشمس وفي

(١) غزشته وآيندة جهان ، صفحة ١٧٤ .

(٢) سورة التكوير ، الآية : ٣ .

(٣) سورة القارعة ، الآية : ٥ .

(٤) سورة التكوير ، الآية : ٦ .

(٥) سورة الانفطار ، الآية : ٣ .

مركزها . وهذا الأمر يؤدي إلى ارتفاع درجة حرارة الشمس وزيادة حرقتها بعد نفاد كمية الهيدروجين الموجودة في المنطقة المحيطة بكوكب الشمس عندها تزداد الأشعة أو الطاقة الشمسية الواصلة إلى الأرض .

«إن أشعة الشمس تقوى وتشتد بمرور الزمن وعندما تنتهي كمية الهيدروجين الموجودة في الشمس فإن قوة الإشعاع الشمسي تزداد بمقدار مائة ضعف تقريباً . ومن هنا يتضح بأن البحث حول الطاقة الشمسية أوصلنا إلى نتائج تتناقض تماماً مع ما تقوله نظرية (كلاسي) . إذ بدلاً من أن نقول إن العالم سيواجه عصراً جليدياً نتيجة ركود النشاطات الشمسية ، علينا أن نقول بأن الحياة ستزول من على سطح الأرض وذلك بسبب الارتفاع الكبير الذي يطرأ على درجة الحرارة التي ترسلها الشمس إلى الأرض حيث تصل درجة الحرارة على سطح الأرض إلى أكثر من درجة غليان الماء وذلك عندما يقترب عُمر الشمس من نهايته .

وفي مثل هذه الحرارة المرتفعة قد لا تذوب الصخور والقشرة الأرضية الصلبة .

غليان مياه البحار:

ولكن بالتأكيد فإنّ مياه البحار والمحيطات سوف تغلي وهذا ما يؤدي إلى موت جميع الكائنات والموجودات الحية سواء تلك التي تعيش في البحار أو على اليابسة . إذن فمن المحتمل بشكل عام أن تموت جميع الكائنات الحية الراقية^(١) قبل أن ترتفع الحرارة إلى درجة لا تطاق ولا يمكن تحملها^(٢) .

(١) الكائنات الراقية أي الأكثر تكاملاً من حيث الخلقة كالإنسان والحيوانات الأخرى . وهناك في المقابل الكائنات الدنيا أو الوضيعة كالحشرات وأنواع البكتريا وغيرها (المترجم) .

(٢) بيدائش ومرگه خورشيد ، صفحة ١٣١ .

نظرية « كلاسي » تقول : إن حرارة الشمس تنخفض إلى درجة يتجمد معها كل شيء ، وتنعدم الحياة على سطح الأرض من شدة البرودة . أما اليوم فقد ثبت خلاف هذه النظرية أن يقول العلماء بأن الحرارة على سطح الأرض تزداد مائة ضعف نتيجة لنفاذ الهيدروجين من الشمس .

والقرآن الكريم الذي نزل على الرسول الأكرم ﷺ قبل أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان لم يتطرق إلى انخفاض درجة حرارة الشمس وتجمد الكائنات الحية على سطح الأرض عندما يتحدث عن موضوع نهاية العالم وانقراضه ، بل إن القرآن الكريم يتحدث عن الجو الملهب المحرق الذي يسود الأرض (لدى قرب انتهاء عمر الكون) وهذا ما يشير إليه علماء اليوم باعتباره علماً تمكنوا من الوصول إليه . ولكن هناك اختلاف بين ما يقوله القرآن الكريم وما يذكره هؤلاء العلماء ، فالقرآن الكريم يقول : إن الحرارة على سطح الأرض ترتفع بشكل هائل وهذه الحرارة هي أكثر بكثير مما جاء في نظريات الفلكيين المعاصرين ، فهؤلاء يقولون بأن مياه البحار والمحيطات تبدأ بالغليان من شدة الحرارة ولكن القرآن الكريم يذكر بأن الحرارة تتجاوز درجة غليان الماء ويقول : ﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ أي اشتعلت والتهبت . وهؤلاء الفلكيون يقولون : « بأن الصخور والقشرة الأرضية الصلبة من المحتمل جداً أن لا تذوب ولا تنصهر في ظل هذه الحرارة العالية » ولكن القرآن الكريم يقول : ﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴾ أي تتفتت الجبال وتتناثر كالصوف المتناثر المطروق من قبل النداف وتبدأ جزيئات هذه الجبال بالتحرك .

الإشارة إلى مختلف النظريات لتقريب الموضوع إلى الأذهان:

ولا بد من القول في هذا المجال إلى أن الإشارة إلى بعض النظريات العلمية التي وضعها العلماء المعاصرون ، في هذا الفصل أو في الفصول الأخرى (من هذا الكتاب) يهدف إلى تقريب بعض الأمور والقضايا التي ذكرها القرآن الكريم إلى أذهان القراء الكرم، وليس إلى تأييد تلك النظريات وتأكيداتها بشكل قاطع من خلال ما جاء في كتاب الله . لأن النظرية طالما لم يتم إثباتها

بالأدلة والبراهين الدامغة تبقى في إطار الفرضية والخيال ، ولهذا السبب فإن النظريات تتغير باستمرار ، إذ قد تظهر في المستقبل نظرية جديدة حول حرارة جو الأرض في نهاية عمر الشمس ، تسقط الفرضية الحالية التي تقول بأن العالم يشهد فترة جليدية يتجمد فيها كل شيء عندما يقترب هذا العالم من نهايته .

القرآن الكريم لم يشر إلى كيفية فناء الشمس وموتها :

إن كل ما أشار إليه القرآن الكريم هو تكوير الشمس (وخمودها) وتساقط النجوم والكواكب واشتعال البحار والمحيطات وانهيار الجبال وتفتتها ، ولكنه لم يذكر سبب وقوع هذه الحوادث ومصدر هذه الحرارة (الهائلة) على الأرض ، كما لم يتحدث القرآن الكريم بشكل صريح عن كيفية انقراض العالم وزواله وتفكك وانهيار المنظومة الشمسية . وعليه فإن الفرضيات العلمية المتغيرة وغير المؤكدة لا يمكنها أن تفسر وتبين الأمور الواقعية التي وردت في الآيات القرآنية .

زوال العالم وانقراضه بصورة مفاجئة:

وهنا لا بد لنا أن نشير إلى أن الله (سبحانه وتعالى) لو شاءت إرادته أن يكون موت الشمس وزوالها بصورة طبيعية وأن تواصل مسيرها وبقائها ولا تواجه أي حادث في منتصف طريق العمر ولا تنفجر لأي سبب من الأسباب ، لكان من الممكن أن يتحقق مفهوم تكوير الشمس أي تداخلها وخمودها بشكل كامل ونهائي في نهاية عمرها ، وذلك وفقاً لنظرية الفلكيين وعلماء الفلك والنجوم .

ولكن وكما يظهر من خلال الآيات القرآنية والأحاديث والروايات - والتي سنشير إليها فيما بعد - فإن انقراض وزوال الشمس والكواكب والأجرام السماوية والعالم بأسره يتم دفعة واحدة وبصورة مفاجئة وفقاً للمشئة الإلهية حيث ينهار النظام الكوني بغتة وبشكل مفاجيء ونتيجة لحادث نجهل طبيعته ، وتصل الشمس خلال فترة قصيرة جداً إلى مرحلة التكوير النهائي والنجوم تصبح مظلمة لا ينبعث منها أي نور وتموت كافة المخلوقات الحية الأرضية منها والسماوية دفعة واحدة

وفي آنٍ واحد ، وينتهي عمر النظام الكوني . إذن لا يبقى هناك مجال للبحث حول أفول الشمس وموتها بصورة طبيعية . وهناك إلى جانب النظرية المرفوضة والباطلة التي وضعها الفلاسفة القدماء والتي تقول بأن الكواكب والأجرام والمجرات السماوية هي قديمة بذاتها وصفاتها ، هناك نظرية أخرى حول الأجسام الفلكية ثبت بطلانها أيضاً من الناحيتين العلمية والتجريبية ، وهذه النظرية تقول :

نظرية حول الأجسام والكواكب الفلكية :

أما الأجسام الفلكية فقد زعم الفلاسفة أنها لا ثقيلة ولا خفيفة ولا حارة ولا باردة ولا رطبة ولا يابسة ولا يصحُّ الخرقُ والإلتئام والكونُ والفسادُ عليها^(١) . لقد جاء طرح هذه النظريات الخاطئة التي لا أساس لها من الصحة والواقعية من قبل فلاسفة الأمس نتيجة للتخلف العلمي وعدم توفر وسائل وأجهزة البحث والتجارب والتحقيقات العلمية وعدم وجود أجهزة ومعدات وتلسكوبات قوية للرصد الفلكي ، أما علماء اليوم فقد تمكنوا في ظل التقدم العلمي وارتفاع مستوى المعلومات عند البشر واختراع الأجهزة والمعدات العلمية المختلفة ، تمكنوا من اكتشاف الكثير من مجاهيل هذا الكون وأسراره وأدركوا بالتالي بطلان نظريات الفلاسفة القدماء التي لا تستند إلى أي أساس من الواقعية . ولكن هذا لا يعني بأن علماء اليوم يتمتعون بنظرة واقعية دائماً وأبداً وأنهم لا يطرحون نظريات باطلة وسخيفة حول الكون والنظام الكوني ، بل على العكس من ذلك فلأن هناك في عصرنا الحاضر عصر التقدم والتطور موضوعات كثيرة قابلة للبحث والدراسة والتحقيق وأن هذه الموضوعات التي تتناول مختلف المجالات العلمية تزداد يوماً بعد يوم ، فمن الطبيعي أن يزداد عدد النظريات التي يطرحها العلماء والباحثون في المجالات والموضوعات المختلفة ، وبين هذا العدد الكبير من النظريات التي يطرحها المتخصصون في المحافل العلمية ، هناك عدد قليل منها

(١) تلخيص المحصل ، صفحة ٢٢٥ .

ينطبق مع الواقع وبالتالي تكون مقبولة من الناحية العلمية ، أما باقي النظريات المطروحة فإما أنه ثبت بطلانها أو أنه تجمّد لسنوات طويلة وأحياناً لعدة قرون لأنها غير مقبولة بشكل كامل وقطعي من الناحية العلمية وفي نفس الوقت لا يعلن الخبراء والعلماء رفضهم لها . وعلى سبيل المثال فإنّ هناك نظريات عديدة طرحت حول الشمس وكيفية نشوئها وكذلك كيفية نشوء الأقمار والكواكب التابعة للمنظومة الشمسية وتتضمن كل واحدة من هذه النظريات بعض الانتقادات ونقاط الضعف، ولكن أيّاً من هذه النظريات لم يثبت صحتها حتى الآن كما لم تحظ بصورة قاطعة حتى الآن بقبول الأوساط العلمية . وقد أشار السيد « پير روسو » في كتابه إلى هذه النظريات بشكل ملخّص مع الانتقادات الموجهة لكل نظرية من هذه النظريات .

الشمس ونظرية لابلاس :

« لقد تصور (لابلاس) أن الشمس كانت في البداية عبارة عن كتلة من الغاز وكان وزنها أكبر بكثير من وزنها الحالي ، كما أن حجمها النوعي كان قليلاً جداً وحرارتها كانت هائلة وكانت تدور حول محورها ، ثم أخذت هذه الكتلة الغازية تبرّد شيئاً فشيئاً فتقلّصت وقلّ حجمها . وكلما ازداد تقلّص الشمس كلما ازدادت سرعة دورانها . وقد انفصلت حلقة دائرية عن الشمس نتيجة زيادة سرعة دورانها . هذه الحلقة الجميلة المكونة من المواد الموجودة في الفضاء والتي بدأت على الفور تدور حول الكوكب الذي نشأت منه، تكسّرت شيئاً فشيئاً ولكن القطع المتناثرة منها التصقت والتحمت ببعضها البعض وشكّلت كوكباً من كواكب المنظومة الشمسية . ويضيف (لابلاس) قائلاً : إذا تكررت هذه العملية بالنسبة لسائر الكواكب التابعة للمنظومة الشمسية عندها يتضح لنا سرّ تكوين المنظومة الشمسية ونشوئها . وإذا تكررت هذه العملية بالنسبة

للكواكب السيارة الأخرى لاتضح لنا سرّ نشوء الأقمار الأخرى .
وإذا كان عندكم أدنى شك في هذا الأمر فانظروا إلى كوكب (زحل)
لتروا كيف أن حلقة دائرية قد انفصلت عنه وهذه الحلقة سينتج عنها
قمر في المستقبل . هذا هو استدلال «لابلاس» . «برأيي أن
مشاهدة كوكب زحل ، لا يثبت هذه النظرية لأننا اليوم نعلم بأن
الحلقة التي تحيط بكوكب زحل لا ينتج عنها قمر في المستقبل بل
أنها بقايا لقمر مندرثر متلاشي ، وأن القمر (قمر منظومتنا الشمسية)
سيواجه نفس المصير بعد تفتته . من ناحية أخرى نظراً لأن الشمس
الأصلية كانت تدور من المغرب إلى المشرق ، فإن الكواكب السيارة
التي تنتج عن حلقات تلك الشمس كان يجب أن تدور في نفس
الاتجاه ، في حين أن كوكبي «أورانوس» و«نبتون» يتحركان ويدوران
في عكس هذا الاتجاه . وبهذا فإن فرضية (لابلاس) لم تستطع أن
ترد على هذه الضربة القاصمة التي وجهت لها ولهذا فإنها انهارت
وسقطت .

ورغم أن كلاً من (فاي) Faye و(ليغونديز) Ligondes حاولا في نهاية
القرن الأخير إعادة الحياة إلى فرضية (لابلاس) إلا أنهما لم ينجحا
في ذلك وأضحت نظرية (لابلاس) لا قيمة لها سوى قيمتها
التاريخية .

«وفي حوالي عام ١٩٠٠ طرح الفلكيان (جمبرلن) و(مولتون) نظرية
جريئة تقول : إذا مرّ كوكب أو جرم سماوي بالقرب من الشمس دون
أن يصطدم أو يرتطم بها فماذا سيحدث في هذه الحالة ؟ .

إن الجاذبية الموجودة في هذا الكوكب المار قريباً من شمسنا
ستحدث موجة مدّ هائلة في المواد (المنصهرة الموجودة على سطح
الشمس) ، كما يحدث بالنسبة لحالي المدّ والجزر في المحيطات
وذلك تحت تأثير جاذبية القمر ، حيث أن جاذبية القمر تسحب مياه

المحيطات باتجاهها وهذا ما يؤدي إلى ارتفاع مستوى مياه المحيطات (والبهار المفتوحة) وينتج عن ذلك ما يسمّى بـ (المدّ) . وعندما يكون حجم الكوكب المار قرب الشمس كبيراً وبالتالي يكون وزنه ثقيلًا فإنّ حالة المدّ تتخذ في هذه الحالة شكل جبل عظيم يفصل عن الشمس في نهاية الأمر .

نظرية عالم الفلك الإنجليزي «جينز» :

وقام الفلكي الإنجليزي الشهير (جنز) Jans بعد ذلك باستئناف البحث والتحقيق والدراسة حول هذه النظرية المذكورة آنفاً وتمكن من خلال قيامه ببعض المحاسبات من وضع تلك النظرية بشكل أكثر دقة وأصبحت نظرية (جنز) مطروحة على الشكل التالي : في العصور القديمة أي قبل مليارات القرون مرّ كوكب بالقرب من شمسنا أحدث مدّاً هائلاً وعظيماً في الشمس، حيث انفصلت عن الشمس بعض المواد على شكل سيجار طويل ثم تجزأت هذه المواد إلى عدد من الأجرام والكواكب الكبيرة والصغيرة . ولكن الفلكي الأمريكي (روسل) Rusell احتجّ على نظرية (جنز) وقال : لكي يتمكن هذا المدّ من تكوين كواكب سيّارة وأجرام سماوية فإنّ الكوكب المعتدي يجب أن يكون قريباً جداً من الشمس بل وأقرب من كوكب عطارد . إذن فماذا تقولون بالنسبة للكوكب (بلوتون) حيث المسافة بينه وبين الشمس أكثر من المسافة بين عطارد والشمس بمائة مرّة ؟ .

وقال الفلكي الانجليزي (ليتلتون) Litelton عام ١٩٣٦ : إنّ شمسنا كانت في بداية الأمر كوكباً مزدوجاً أي أنها كانت تتكون من كوكبين كل كوكب كان يدور حول الآخر . وعندما وصل الكوكب المعتدي فإنه لم يقترب من شمسنا بل اقترب من رفيقتها (أي من الكوكب

الثاني) الأمر الذي أدى إلى انفصال المادة المذكورة عن الشمس وهذه المادة كما قلنا كانت على شكل سيجار طويل تفتت إلى عدة أجزاء . أما الكوكب المعتدي فإنه لم يبق في مكانه بل استمر في مسيره حاملاً معه جزءاً من السيجار والجزء الباقي من السيجار اقترب من شمسنا وانفصلت عنه الكواكب السيارة وبدأت تدور حوله .

كلام ليبير روسو :

«يقول (ليبير روسو) : قلماً يوجد اليوم فلكي في العالم لم يقدم نظرية جديدة خاصة به حول تكوين ونشوء المنظومة الشمسية ، فالسيد (أميل بلو) يعتقد بأن المنظومة الشمسية وجدت إثر اصطدام كوكب ضخيم بكتلة من الغازات الكونية وكان الكوكب المذكور يتحرك بسرعة هائلة بلغت ٧٥٠٠٠ كيلومتر في الثانية .

ونتيجة لهذا الإصطدام فقد انفصلت عن هذا الكوكب الضخم أجزاء على شكل حلقات دائرية تقلصت فيما بعد وكونت الكواكب السيارة . ولكننا لا نملك الدليل والبرهان القاطع الذي يجعلنا نختار الفرضية أو النظرية الصحيحة من بين كل هذه النظريات أو الفرضيات المطروحة . وإنني أعتقد بأن هذا الموضوع هو من المواضيع التي يستمر الجدل حولها إلى ما لا نهاية دون أن يتوصل العلماء إلى اتفاق حوله »^(١).

أما الأديان السماوية التي جاء بها الأنبياء والمرسلون فإنها تعتبر جميع عوالم الوجود والكون بأسره مخلوق وفقاً لمشئته الله وإرادته الحكيمة ، فهو المطلع على الحقائق ويعرف طبيعة وخصائص مخلوقاته ، وهو يعلم ماذا خلق وكم خلق وكيف خلق .

(١) چه ميدانم ؟ نجومی تلسکوب ، صفحه ٨٢ .

معرفة الخالق بخلقه :

عن مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ (الباقر) عليه السلام قَالَ : سَمِعْتُهُ يَقُولُ :
« كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءَ غَيْرُهُ وَلَمْ يَزَلِ اللَّهُ عَالِمًا بِمَا كَوَّنَ فَعِلْمُهُ بِهِ قَبْلَ كَوْنِهِ
كَعِلْمِهِ بِهِ بَعْدَ مَا كَوَّنَهُ » (١).

إنَّ النظريات التي وضعها علماء الأمس واليوم حول نشوء المجموعة
الكونية والمنظومة الشمسية لا تتعدى إطار الفرضية والإعتقاد والتصور . فقد ثبت
بطلان بعض تلك الفرضيات أو النظريات والبعض الآخر منها وضع جانباً حيث
لم يستطع العلماء إثباتها بالدليل القاطع كما لم يستطيعوا رفضها والإعلان عن
بطلانها لعدم وجود دليل مقنع على بطلانها ، فهذه النظريات قد تبقى مجمدة
لقرون طويلة .

جهل البشر لكيفية خلق الكون :

والسبب في ظهور كل هذه النظريات والفرضيات والإحتمالات المختلفة
هو جهل البشر وعدم معرفته سرّ خلق الكون ، حيث أن الله القادر العليم هو وحده
الذي خلق عالم الكون ووضع القوانين التكوينية لهذا الكون وهذا العالم ، وأنه
(تعالى) هو وحده يعلم كيف خلق ويعرف عدد ما خلق . فهو لم يستشر أحداً
عندما خلق العالم ولم يستعن بأحد ولم يطلع أحداً على خطة الخلق . وقد أشار
الله (سبحانه وتعالى) في القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة ، حقيقة أن أي مخلوق
لم يكن على علم بخلق العالم وكيفية هذا الخلق .

عدم الإطلاع على خلق الإنسان والحيوان :

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ
عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ

(١) السماء والعالم ، صفحة ١٩ .

بَدَلًا * مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ
الْمُضِلِّينَ عِزًّا ﴿٥١﴾

لم يكن للإنسان ولا لإبليس علم بخلق العالم :

يقول بعض المفسرين : إِنَّ الضمير «هم» في « ما أشهدتهم » يعود إلى إبليس وذريته والبعض الآخر يقول بأن هذا الضمير يعود إلى الظالمين من البشر وهو كما جاء في آخر الآية . وعلى أية حال فلا الإنسان ولا إبليس كانا على علم بإرادة الله في خلق العالم ، وأن الله لم يُحضر أو يستدع أيّاً منهما عندما خلق العالم ولم يطلعهما على كيفية الخلق وأن كل ما قيل ويقال لا يعدو كونه حدساً وخيالاً وتصوراً . إِنَّ البشر في الماضي وفي الوقت الحاضر ليس فقط لا علم له بماضي الكون والمجرات والكواكب وكيفية حدوثها وظهورها ، بل إنه لا يعرف شيئاً أيضاً عن مستقبلها وما سيحلّ بها وكيفية انقراضها وزوالها ، بل إِنَّ هذا البشر لا يعرف حتى مستقبل هذه الكرة الأرضية التي يعيش فوقها وماذا سيكون مصيرها ، وكيف ستنتهي وتزول .

« خلال عشرة أعوام استطاع الإنسان أن يتسلّق قمة جبل (افرست) ويصل إلى القطب الجنوبي ويكتشف أعماق البحار ويرسل الكائنات الحية إلى الفضاء الخارجي ، ولكنه لم يستطع أن يكتشف الأسرار الكامنة تحت أقدامه . فليس مستبعداً أن يتمكن الإنسان من الحصول على كمية من تراب كوكب المريخ ولكنه حتى الآن لا يعرف ممّ يتكون مركز الكرة الأرضية التي يعيش فوقها » .

مستقبل الأرض وجهل البشر :

« حيث أن مستقبل حضارتنا رهن بمعرفة طبيعة مركز الأرض (ونواتها المركزية) وأن الكشف عن هذا السرّ الغامض يكشف أمامنا أسراراً

(١) سورة الكهف ، الآيتان : ٥٠ و ٥١ .

مهمة أخرى ترتبط بكوكبنا الأرضي (ويجيب على الكثير من التساؤلات التي تراود أذهان البشر) ومن جملة هذه التساؤلات : هل أن الأرض ستبرد في نهاية المطاف وتتقلص ويصغر حجمها أم على العكس من ذلك ترتفع درجة حرارتها فتنبسط ويزداد حجمها ؟ هل أننا نواجه عصراً جليدياً آخر في المستقبل أم أننا يجب أن نتوقع انفجاراً لاحقاً ؟ هل أن البراكين هي سبب الهزات الأرضية والزلازل أم بالعكس أن الزلازل هي التي تسبب تفجر البراكين ؟ .

وللإجابة على كل هذه التساؤلات المحتملة فإن العلماء منهمكون الآن بإيجاد ثقب أو ثغرة في قشرة الأرض والقيام بأهم الاختبارات والدراسات على مر التاريخ^(١).

نتيجة بحثنا السابق :

ونستنتج من بحثنا السابق بأن القرآن الكريم أشار في العديد من آياته المباركة إلى انقراض وزوال العالم ونهاية عمر الشمس والقمر والنجوم وأعلن بشكل صريح لا لبس فيه بأن الخالق الحكيم عندما خلق السموات والأرض وما بينهما فإنه حدد لها عمراً معيناً وأجلاً محدداً محتوماً . إذن فالكون بكل ما يحتويه من كواكب ومجرات وأجرام سماوية هو مخلوق وحادث ، نشأ في يومٍ ما وظهر إلى الوجود وسينتهي عمره في يومٍ ما ويزول وينقرض .

وخلال الفترة التي نزل فيها القرآن الكريم وحتى قبل ذلك بعدة قرون وأيضاً بعد نزول القرآن بعدة قرون ، كان هناك عدد كبير من كبار الفلاسفة والعلماء في العالم يتحدثون عن القدم الذاتي للسموات والكواكب والمجرات الكونية وكانوا يعتقدون بأن العالم هو أزلي وأبدي ، لم تكن له بداية ولن تكون له نهاية (أو عمر محدد) ، ولهذا فإن بعض الحكماء (والفلاسفة) المسلمين من أنصار نظرية قدم العالم ، كانوا يفسرون الآيات القرآنية وفقاً لظنونهم

(١) دانستنيهای جهان علم ، صفحة ٨٦ .

وتصوراتهم ، وذلك لكي لا تتعرض فرضياتهم وتصوراتهم للإساءة والانتقاد من الناحية الدينية .

ولكن - وكما أشرنا إلى ذلك من قبل - فقد ثبت للعلماء والباحثين المعاصرين ، نتيجة للتطور الذي شهده العالم في مجال العلوم الطبيعية وأجهزة وأساليب البحث العلمي والتجارب العلمية ، ثبت لهؤلاء العلماء بأن العالم ليس أزلياً ولا أبدياً، بل هو ظاهرة بدأت من نقطة معينة وتنتهي في نقطة معينة .

والخلاصة أن هؤلاء العلماء بعد جهود ومحاولات كبيرة قاموا بها خلال القرنين أو الثلاثة الأخيرة للتعرف على أسرار الكون ، توصلوا إلى نفس النتيجة التي أعلن عنها القرآن الكريم قبل أربعة عشر قرناً من الزمان وهذه هي إحدى المعاجز العلمية للقرآن الكريم . ولا بد أن نشير هنا إلى أن جميع علماء الفلك متفقون بأن المنظومة الشمسية سوف ينتهي أجلها عاجلاً أم آجلاً ، ويزول النظام المهيمن عليها ، وقد ذكرنا من قبل بأن العلماء قاموا بحسابات خاصة حددوا بموجبها كمية غاز الهيدروجين الموجودة في الشمس بصورة تقريبية وتوصلوا إلى نتيجة مؤداها أن الشمس تشع بنورها منذ أربعين مليار عام وأنها ستظل تشع بنورها لستين مليار عام أخرى قادمة . وعلى هذا الأساس واستناداً إلى هذه الحسابات المحتملة فإن العالم سينتهي ويزول خلال فترة طويلة جداً جداً قادمة . وبالطبع فإن حسابات العلماء هذه لا تتحقق بالفضل وبشكل دقيق إلا إذا تحقق شرطان : الأول : أن تحسب وتحدد كمية غاز الهيدروجين التي افترض وجودها في محيط الشمس بشكل دقيق ومطابق للواقع .

الشرط الثاني : أن تموت الشمس وتزول وتنطفئ بصورة طبيعية أي بعد أن ينفد وينتهي كل مخزونها من غاز الهيدروجين الموجود في محيطها .

موت الشمس وفنائها بصورة فجائية :

أمّا إذا شاءت الإرادة الربانية أن تموت الشمس بصورة غير طبيعية وتتلاشى وتفنى نتيجة حادث معين يقع في الكون بصورة مفاجئة وقبل أن ينفد وينتهي مخزون الهيدروجين الموجود فيها ، ففي تلك الحالة فإن انقراض العالم وزواله

ومن ثم قيام الساعة وحلول يوم القيامة سوف لن يكون أمراً بعيداً جداً ، وعندها لا ضرورة للكلام عن بلايين أو ملايين أو آلاف بل وحتى مئات السنين ، إذ أن موت وفناء الشمس والكواكب الدائرة في فلكها سيكون مفاجئاً ومباغتاً ويمكن أن يحدث هذا الأمر خلال فترة قصيرة وينتهي عمر المنظومة الشمسية خلال فترة تقل كثيراً عن الفترة (التي يتوقعها العلماء) وهي عشرات المليارات أو البلايين من السنين .

ولعل ما جاء في القرآن الكريم في هذا المجال هو خير مصداقٍ على ذلك :

﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً * وَنَرَاهُ قَرِيباً ﴾ (١).

إذن فكما يظهر من خلال آيات القرآن الكريم والأحاديث والروايات (المنقولة عن النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام) - والتي ستشير إليها فيما بعد - فإن انقراض وزوال العالم ونهاية الدنيا ، سيكون مفاجئاً ويحدث دفعة واحدة كالزلازل المفاجيء . فهذا الحدث المفاجيء أو هذا الزلزال قد يقع في أية لحظة وينهي حياة المنظومة الشمسية ويضع نهاية لكل النظم الكونية .

ولهذا السبب فإن الأئمة عليهم السلام اعتبروا فناء الدنيا وزوالها حدثاً كسائر الأحداث والوقائع التي يشهدها العالم ودعوا الناس إلى عدم التشبث بالدنيا والابتعاد عن مغريات الحياة الدنيا وأن يفكروا دائماً بفناء هذه الدنيا وزوالها .

كلام للإمام الصادق (ع) :

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : « ثَلَاثَةُ أَشْيَاءٍ لَا يَنْبَغِي لِلْعَامِلِ أَنْ يَنْسَاهُنَّ عَلَى كُلِّ حَالٍ : فَنَاءُ الدُّنْيَا وَتَصَرُّفُ الْأَحْوَالِ وَالْآفَاتُ الَّتِي لَا أَمَانَ لَهَا » (٢).

(١) سورة المعارج ، الآيتان : ٥ و ٦ .

(٢) بحار الأنوار ، المجلد ١٧ ، صفحة ١٨٣ .

الفهرس

المحاضرة الأولى

دعوة الأنبياء والإيمان بيوم المعاد

٦	مقارنة بين الإسلام والمدارس المادية
٦	خلق الأشياء بقدر
٧	قصور فكر الإنسان
٨	نظرة الإسلام والمدارس المادية إلى الإنسان
٨	الإنسان مخلوق ذو بعدين
٩	الإنسان مخلوق على أساس حكمة خاصة وهدف معين
٩	مسؤولية الإنسان أمام الله
١٠	بعد الموت يبدأ الإنسان حياة جديدة
١٠	الفرق بين المذهب المادي والمذهب الإلهي
١١	الإعتقاد أو عدم الإعتقاد بالآخرة
١٢	الأسس الإعتقادية لجميع الأديان السماوية
١٢	طريق الإيمان بالله
١٣	وجود خالق لهذا الكون أمر بديهي
١٣	طريق الإيمان بيوم الجزاء
١٤	يوم القيامة وما أخبرنا به على لسان الأنبياء

١٤	المتقين وإيمانهم بالآخرة
١٥	الإيمان وترجيح الآخرة على الدنيا
١٥	الصالحين من أصحاب البصائر النيرة
١٦	حكاية الرسول الأكرم (ص) مع أحد الصالحين
١٧	الغرائز وإشباعها
١٧	غريزة حب الحياة
١٧	الإنسان وحلم الخلود
١٨	رغبة الخلود وحياة الآخرة
١٨	عاطفة الحياة الأبدية
١٩	حب البقاء
١٩	الشعور بالحياة الخالدة
١٩	جزاء الظالمين
٢١	الله ومراقبة الظالم
٢٢	التعصب القومي وإنكار المعاد
٢٣	الكلام الذي لا يستند إلى المنطق والدليل
٢٣	الإعتقاد الباطل والرد الحازم
٢٤	الله هو الذي يحيي في الدنيا والآخرة
٢٤	إنكار المعاد والغرائز اللامشروعة
٢٥	بداية الحياة الجديدة بعد الموت
٢٦	ثواب وعقاب الآخرة
٢٦	العلاقة بين الحاضر والمستقبل
٢٦	الإهتمام بالقضايا المعنوية إلى جانب القضايا المادية
٢٧	العوامل التي تحث الإنسان على تحقيق منفعه الدنيوية والأخروية
٢٧	إرتكاب الذنوب يؤدي بالإنسان إلى السقوط والضياع
٢٨	الحياة المادية والعبودية الإقتصادية
٢٩	القيم الخلقية من المنظار المادي
٢٩	تكامل الآلة بدل التكامل الإنساني والمعنوي

٢٩	العالم المتحضر والاتجاه المادي
٣٠	استياء وتدمير الشباب من الوضع السائد
٣٠	تجاهل المعنويات
٣١	مرحلة الشباب والشعور بالبراءة
٣٢	إنسان اليوم والقضايا المادية
٣٣	اختلال التوازن بين الجسم والروح
٣٣	التمرد على سنة الخليفة وهي سنة الله
٣٣	جهل الإنسان لحقيقته
٣٤	الفرق بين النفاق وبين الجهل بالنفس والتغرب عنها
٣٥	الحياة البهيمية

المحاضرة الثانية

الإيمان بالمعاد والشعور بالمسؤولية

٣٨	الماديون ينظرون إلى الكون والإنسان من بُعد واحد
٣٨	مدرسة الأنبياء والإيمان بالمبدأ والمعاد
٣٩	كيف يستفيد الإنسان من أيام حياته
٣٩	الموت أفضل من الحياة بدون سعي نحو الكمال الإنساني
٤٠	ذكر الله وراحة الضمير
٤٠	الإيمان بالله وكبح جماح الغرائز والشهوات
٤١	عالم الآخرة والحياة الأبدية الخالدة
٤١	الإيمان بالمعاد والشعور بالمسؤولية
٤٢	التشاؤم من حياة الدنيا
٤٣	القلق الذي لا علاج له
٤٤	إنكار المعاد وتفاهة الدنيا
٤٤	المذهب المادي يعني الإستغلال
٤٥	الوصول إلى الكمال في ظل الإيمان
٤٥	استغلال الفرص

٤٦	الحياة الدنيا والعقبات التي تعترض سبيل الإنسان
٤٦	من هم الذين يعتقدون بأن الدنيا تافهة ؟
٤٧	الموت يعني ولادة الإنسان من جديد
٤٨	بناء الذات والفوز والفلاح في الآخرة
٤٨	كيف يُحشر يوم القيامة من كان أعمى البصيرة في الدنيا
٤٩	حرية الإنسان في بناء ذاته
٤٩	شكر النعم أو الكفر بها
٥٠	الدنيا من وجهة نظر الأنبياء
٥٠	التفكير بالمستقبل
٥١	الغفلة وعدم الوعي
٥١	السعي لإحياء القيم الإنسانية
٥٢	الواعون الذين يعرفون واجبهم
٥٢	الحياة بهدف والوصول إلى الكمال
٥٣	العذاب النفسي ومحاولات الانتحار
٥٣	التفكير الخاطيء
٥٤	معياري الفوز في الآخرة
٥٤	الله يراقب حركات الإنسان ومسكناته
٥٥	توضيح الهدف من الحياة
٥٥	السيطرة على الغرائز
٥٦	سيطرة الغرائز على الإنسان تُنسيه نفسه
٥٦	الميول الاجتماعية والتكامل
٥٧	حب الذات وعلاقته بإرتكاب الجريمة
٥٨	السبب في انتشار الفساد والانحطاط الخلقي
٥٨	المشكلة الاجتماعية الكبرى
٥٩	أساليب تطبيق القوانين
٥٩	معاينة المجرمين
٦٠	الدولة المتقدمة والجرائم الرهيبة التي تقع فيها

٦١	عدم الإيمان بالله هو السبب في زيادة عدم الجرائم
٦١	القيم الإنسانية أصبحت منسية
٦٢	الأنبياء يعملون على تنمية المكارم الأخلاقية عند الأفراد
٦٢	الإيمان كفيل بتحقيق الأمن الاجتماعي
٦٤	ما هو المقصود بالإيمان بيوم الجزاء
٦٤	المذنبون وصحيفة الأعمال
٦٥	محاسبة الناس يوم القيامة على أساس العدل
٦٦	المخلوق يستحي من الخالق
٦٦	تجنب الظلم
٦٧	الحياة المادية وتقبل المسؤولية
٦٧	الإهتمام بالقيم الإنسانية
٦٧	الأنبياء وتربية النفس
٦٧	كبح جماح الميول والرغبات اللامشروعة
٦٨	إعلاء كلمة الحق والأجر والثواب الإلهي
٦٩	حب الشهادة
٦٩	الموت في سبيل الله
٧٠	كلام حمزة عم النبي (ص)
٧٠	الإيمان بالقيامة والتضحية في سبيل الله
٧١	الفطرة الإنسانية والأخلاق الكريمة
٧٢	محبة الناس وأهميتها في الإسلام

المحاضرة الثالثة

حول الملائكة

٧٣	ثلاثة أيام مهمة ومصيرية في حياة الإنسان
٧٤	حديث للإمام الرضا (ع)
٧٤	أول منزل هو منزل الآخرة
٧٤	آخر منازل الدنيا

٧٥	الإنسان في غفلة عن الموت
٧٥	اليقين الشبيه بالشك
٧٦	هكذا تقتضي حكمة الله ومصلحته
٧٧	ذكر الموت وأثره في إصلاح الباطن
٧٧	عند الموت ينكشف غطاء الغيب
٧٧	ما يراه الإنسان المؤمن أثناء الإحتضار
٧٨	الملائكة حسب ما أخبرنا به الأنبياء
٧٩	الملائكة تؤدي واجباتها التي يكلفها بها الله
٧٩	أوصاف الملائكة
٧٩	الأنبياء وملك الوحي
٨٠	الملائكة والمهام الإلهية
٨٠	إدارة النظام الكوني
٨٠	وكلاء الله لتدبير شؤون عالم الوجود
٨١	حملة العرش الإلهي
٨١	معنى العرش
٨٢	الله يستوي على العرش
٨٢	مقام الملائكة
٨٢	تأويل لا قيمة له
٨٣	حول الملائكة
٨٤	الدين والقضايا التي يعجز العقل عن إدراكها
٨٤	مؤشرات تدل على وجود الملائكة
٨٥	الأعضاء الحيوية في الجسم تعرف وظائفها
٨٥	إنتاج الحليب في الثديين
٨٧	التنسيق بين أنسجة الجسم ظاهرة مذهشة
٨٧	الخصائص الطبيعية للخلايا
٨٨	الملائكة تحافظ على النظام في عالم الوجود
٨٨	وظائف الخلايا في الجسم

٨٨	الصفات الخاصة بالخلايا
٨٩	الصفات الخاصة بكل نوع من الخلايا
٩٠	التوجيه الذاتي أو التكويني في الخلايا
٩١	جواب موسى لفرعون
٩١	تشبيه الخلية بالبيت
٩٢	اختلاف العناصر التي تكون الخلية وعدد الخلايا من عضو إلى آخر
٩٣	التعاون بين أعضاء الجسم
٩٤	التوازن الطبيعي بين مواليد الذكور والإناث في العالم
٩٤	الخلية الجنسية عند الولد وعند البنت
٩٥	منشأ التوازن بين المواليد من الذكور والإناث
٩٦	الملائكة وسطاء بين الخالق والمخلوق
٩٦	قصور العقل البشري
٩٧	المالك الحقيقي للموت والحياة
٩٧	ملك الموت والمهمة الإلهية
٩٨	الموت والعودة إلى الله
٩٨	الإمام علي (ع) يرد على أحد الزنادقة
٩٩	عالمين منفصلين مختلفين
٩٩	عالم النوم وعالم اليقظة
١٠٠	أول علامات اليقظة
١٠٠	معنى الرغبة في لقاء الله
١٠٠	الدنيا هي مكان لتربية النفس والذات
١٠١	آخر لحظة من حياة الدنيا
١٠٢	الشخص المحتضر ورؤيته الملائكة
١٠٢	قبض روح الجنين
١٠٢	المحتضر والضغط النفسية
١٠٣	قبول توبة المذنبين
١٠٣	إصلاح الفكر والعمل

١٠٣	طهارة الضمير تحفظ الإنسان من الذنوب
١٠٤	الندم على الذنوب تحقيق السعادة للإنسان
١٠٤	التوبة الحقيقية تكون قبل الموت

المحاضرة الرابعة

الروح الإلهية والحياة الخالدة

١٠٦	أوضاع البشر بعد الموت
١٠٧	نظرية الفلاسفة الماديين
١٠٧	نظرية الفلاسفة الروحيين
١٠٧	نظرية الروحيين
١٠٨	كلام لـ «كرسي موريسن»
١٠٨	نظرة «لاندمان»
١٠٩	شرارة لا تنطفئ
١٠٩	الجماعة التي لا تعتقد ببقاء الروح
١١٠	سمو المشاعر وبقاء الروح
١١٠	الإنسان موجود ذو بعدين
١١١	موضوعين مترابطين
١١١	الروح تلك الحقيقة المجهولة
١١٢	عالم اليوم وروح الإنسان
١١٢	المسألة المعقدة التي لم يعثر على حل لها
١١٣	الوحي الإلهي وكلام الأنبياء
١١٣	الروح أو معيار الإنسانية
١١٤	تسلم روح المحتضر
١١٥	الحديث بين الملائكة والمتوفي
١١٥	روح الله وسجود الملائكة
١١٥	الروح التي اصطفاها الله وفضلها على جميع الأرواح
١١٦	صفات الكائنات الحية

١١٦	القوة الكامنة في الحياة
١١٧	الإعتقاد الخاطيء عند أصحاب النظرية المادية
١١٨	إدعاء القرابة بين الإنسان والقرود
١١٨	الروح الخاصة بالإنسان
١١٩	الروح تنسب إلى الله
١١٩	الأمواج اللامرئية
١٢٠	الشبه بين الروح والضوء أو النور
١٢١	حديث الإمام الصادق (ع) مع أحد الزنادقة
١٢١	معنى روح الله
١٢٢	الروح مصدر كرامة للإنسان
١٢٢	تفوق روح الإنسان
١٢٢	الإنسان مؤهل للوصول إلى الكمال المطلق
١٢٣	الإنسان مخلوق ذو بعدين
١٢٣	حالات الروح والبدن
١٢٤	خطاب النبي (ص) إلى قتلى معركة بدر
١٢٤	الأنبياء وبقاء الروح
١٢٤	الموت هو بداية الحياة
١٢٥	مدرسة الأنبياء والسعادة الأبدية
١٢٦	المقارنة بين العقل الإلكتروني والكائن الحي
١٢٦	الحياة من وجهة نظر الماديين
١٢٧	تشبيه من الدكتور اراني
١٢٨	إنكار أصالة الروح كوجود مستقل بحد ذاته
١٢٨	تصور باطل وكلام مخالف للحقيقة
١٢٩	القرون الماضية والنظريات غير الواقعية
١٢٩	العناصر الأربعة
١٣٠	الكلام اللامعقول للدكتور اراني
١٣١	الفيلسوف العالمي «برتراند رسل» يتردد في نفي وجود الروح

١٣١	الإلتزام بالأدب في الحديث
١٣٢	الدكتور اراني وإنحيازه الفئوي
١٣٣	تحقير الروحانيين وتكريم الماديين
١٣٣	سؤال موجه للدكتور اراني
١٣٤	نظرية قديمة حول نشوء الروح
١٣٤	التوازن في العناصر الأربعة
١٣٥	نظرية أبو الحسين البصري
١٣٥	التفكير الخاطيء للدكتور اراني
١٣٥	تطور العلم ونظرية الروحانيين
١٣٦	الفلاسفة الإلهيين ونظرية الروح
١٣٦	الروحانيون والأدلة التجريبية
١٣٧	الرؤيا والإرتباط أو الإتصال بالأرواح
١٣٨	الرؤيا والمنطق المادي
١٣٨	الرؤيا والتحليل النفسي
١٣٩	الرؤيا والرغبات غير المحققة
١٣٩	الرؤيا ونظرية فرويد
١٤٠	الرؤيا والضمير الباطني
١٤٠	ابن سيرين والتحليل النفسي
١٤١	الرؤيا والمستقبل المجهول
١٤١	الكشف عن حقيقة مخفية
١٤٢	رؤيا تكشف عن سر
١٤٣	الإمام الصادق وابن أبي العوجاء

المحاضرة الخامسة

الموت وبدء حياة الآخرة

١٤٥	التقدير الإلهي أمر لا يمكن رده وتجنبه
١٤٦	جهود البشر للتعرف على طبيعة الموت

١٤٧	هل أن الموت يعني الفناء والعدم
١٤٧	الرد على الثنويين
١٤٨	شبهة معتنقي مبدأ الثنوية
١٤٩	ما هو بذاته عدم وما يتطلب وما يستلزم العدم
١٥١	السيئات هي من نوع العدم
١٥١	الموت أمر وجودي مخلوق
١٥٢	حكمة الموت أو السنة الإلهية الحكيمة
١٥٣	إعادة تكوين أعضاء المجتمع البشري
١٥٤	الطلب الذي يتعارض مع مصلحة المجتمع
١٥٤	نعمة الموت إلى جانب نعمة الحياة
١٥٥	الآثار المترتبة على اليقظة وعلى النوم
١٥٥	مقارنة بين الموت والنوم
١٥٦	التشابه بين الموت والنوم
١٥٦	الموت هو التقدير الإلهي
١٥٧	الموت مخلوق من قبل الخالق
١٥٧	مالك الموت والحياة
١٥٨	نتيجة البحث
١٥٨	تذكير ضروري في محله
١٥٩	أمر عديم يسيطر على العالم
١٥٩	الخطوة الحكيمة التي يقوم بها الموت
١٦٠	نظام محكم دقيق
١٦٠	شدائد ومصاعب الموت
١٦١	الوصول إلى عالم الغيب
١٦١	تسجيل الموجات الدماغية - الكترونسفالو غرافي -
١٦٣	أمواج الدماغ في حالة الإثارة والإضطراب
١٦٥	الضغوط التي يتعرض لها الشخص المحتضر
١٦٥	كلام للإمام علي (ع)

١٦٦	ضمان السعادة الأبدية
١٦٦	الإنسان والحياة الخالدة
١٦٧	التخلق بالخلق والصفات الإنسانية
١٦٧	معنى الاستعداد للموت
١٦٨	البشر والهروب من الموت
١٦٨	حالة الإحتضار وذهاب العقل
١٦٩	الموت في نظر المؤمنين
١٦٩	نيل الثواب أو العقاب الإلهي في الآخرة
١٦٩	الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر
١٧٠	الخوف من الموت نتيجة الجهل وعدم الوعي
١٧٠	المكان المجهول وخطر الحوادث
١٧١	سبب الخوف من الموت
١٧١	الفرق بين خوف المؤمن وخوف الكافر من الموت
١٧٢	الإطلاع على المصير
١٧٢	المذنبون المؤمنون
١٧٣	علي (ع) يصف الموت
١٧٣	الندم بعد فوات الأوان
١٧٤	لحظات الإحتضار والأمل بالرحمة الإلهية
١٧٤	الأمل بفضل الله
١٧٤	حسن الظن بالله
١٧٥	لحظة الموت وكلمة التوحيد

المحاضرة السادسة

محاسبة النفس وإحياء القيم الإنسانية

١٧٦	الإستفادة من صيغة التشبيه والأمثال
١٧٧	صفات رابحة أو خاسرة
١٧٨	متاع السعادة والشقاء

١٧٨	تجارة ليس فيها خسارة ولا زوال
١٧٨	سماسرة متاع الإيمان
١٧٨	طول الأمل أو مصيدة الشيطان
١٧٩	حساب العمر على أساس الأيام
١٧٩	حساب عمر الإنسان بعدد الأنفاس
١٧٩	الميزانية الختامية وحساب الأرباح والخسائر
١٨١	حقيقة السعادة والشقاء
١٨١	يوسف (ع) يطلب من الله حسن العاقبة
١٨١	سؤال علي (ع) وجواب الرسول (ص)
١٨٢	تجاهل حقوق الناس
١٨٢	الذين يصحون من غفلتهم في الأيام الأخيرة من حياتهم
١٨٣	لحظة الموت والإطلاع على نتيجة الأعمال
١٨٤	المحتضر يرى صحيفة أعماله
١٨٥	المسافة التي تفصل بين الإنسان وبين الجنة أو النار
١٨٥	كلام أبي ذر عند وفاة ابنه
١٨٦	الطلب المستحيل
١٨٦	المعاملات التي تنمي وتربي الشخصية الإنسانية
١٨٧	التدقيق في الصفات المالية
١٨٨	محاسبة النفس
١٨٨	وصايا النبي (ص) لأبي ذر الغفاري
١٨٨	محاسبة النفس مربحة ونافعة
١٨٩	محاسبة النفس في كل يوم
١٨٩	ذكر الله عشيةً وصباحاً
١٩٠	محاسبة النفس وتجنب الذلّ
١٩٠	التخلص من حساب يوم القيامة
١٩١	بعض الاختلافات بين الإنسان والحيوان
١٩٢	الإنسان مخلوق ذو بعدين

١٩٢	الحرية هي رأسمال ثمين
١٩٣	قمع الغريزة الجنسية والإلتزام بالتقوى
١٩٣	الهيمنة على الكرة الأرضية
١٩٤	الإنسان وإعمار الأرض
١٩٥	الإنسان يستطيع أن يكون أفضل من الملائكة وأسوأ من الحيوان
١٩٦	الإنسان فيه مزيج من العقل والشهوة
١٩٦	العقل نائم وأهواء النفس يقظة
١٩٧	العقل مغلوب والهوى غالب
١٩٧	التعاليم الإلهية وإحياء القيم الإنسانية
١٩٨	إحياء الأرض في عصر الزراعة
١٩٨	إحياء الأرض في عصر التقدم الصناعي
١٩٩	البشر وإعمار الكرة الترابية (الأرض)
١٩٩	الإنسان هذا الكائن المجهول والغامض
٢٠٠	المعرفة النسبية بالبعد الحيواني في الإنسان
٢٠٠	هل أن التفكير والعقل هو أمر مادي
٢٠١	الإنسان والحياة بعد الموت
٢٠٢	تربية الذات في ظل الإسلام
٢٠٢	مهمة الأنبياء
٢٠٣	قانون الغاب وسيطرة مبدأ القوة
٢٠٣	الإنحطاط الخلقي في عصر الثورة الصناعية
٢٠٤	سباق التسلح في عالم اليوم
٢٠٤	الصواريخ والرؤوس الذرية والنووية
٢٠٥	السعي من أجل تربية النفس والسير في طريق الإنسانية
٢٠٦	الاستفادة من توجيهات العقل
٢٠٦	التمييز بين الطريق المستقيم والطريق المعوج
٢٠٦	النتيجة التي يحصل عليها الإنسان من إتباعه لمنطق العقل
٢٠٧	الإنسان العاقل من وجهة نظر الإمام

٢٠٨	الطريق الذي تسلكه الأكثرية في عصر الحضارة الصناعية
٢٠٩	تفكير خاطيء وتصوير باطل
٢٠٩	حصيلة الإيمان وحصية العلم
٢١٠	النتيجة التي نخلص إليها من هذا البحث

المحاضرة السابعة

الاسلام واحترام الموتى

٢١٢	دفن الموتى
٢١٣	تعلم الدفن من الغراب
٢١٣	قاييل يتعلم الدفن من الغراب
٢١٣	إحراق جثث الموتى
٢١٤	المجوس وأجساد الموتى
٢١٤	حرق الجثث
٢١٥	الأنبياء ودفن الموتى
٢١٥	المجوس وعرب الجاهلية
٢١٥	دفن الموتى مدعاة لرضى الله
٢١٦	تزيين الموتى بالذهب والحلي والمجوهرات
٢١٦	أجساد فراعنة مصر
٢١٧	فرعون موسى في القبر
٢١٧	نقل جثة فرعون إلى المتحف
٢١٨	العمل اللامشروع
٢١٩	الحدود التي وضعها الإسلام لاحترام الموتى
٢٢٠	الإسراع في تجهيز ودفن الميت
٢٢٠	تغسيل وتكفين المتوفى
٢٢٠	تشيع الجنازة
٢٢١	الغلو في احترام الموتى
٢٢٢	غسل مس الميت

٢٢٣	إيجاد مشكلة قانونية
٢٢٤	نجوى المسلمين مع الرسول (ص)
٢٢٥	تصرف الأثرياء المتكبرين
٢٢٥	النجوى عند الضرورة
٢٢٦	الأمر بدفع الصدقة
٢٢٦	تكريم المتوفى وذويه
٢٢٧	عمل مخالف للفضيلة والتقوى
٢٢٧	إحترام الإنسان
٢٢٨	القبر من حيث كونه رحمة أو عذاب
٢٢٨	العذاب اللامشهود في القبر
٢٢٩	توضيح حول هذا الحديث
٢٣٠	التدريب على إتقان العمل
٢٣١	سعد بن معاذ وضغطة القبر
٢٣١	ضغط القبر كفارة للذنوب
٢٣١	جزاء المؤمنين في القبر
٢٣١	عقاب الكافرين في القبر
٢٣٢	حول سؤال القبر
٢٣٢	سؤال القبر من المؤمن الحقيقي والكافر الحقيقي
٢٣٤	المستضعفون الذين يعيشون وسط بيئة فاسدة
٢٣٤	على المرء أن يهاجر من المنطقة التي يسودها الشرك
٢٣٥	أصحاب الأعراف
٢٣٦	معرفة القبر
٢٣٦	كلام للعلامة المجلسي
٢٣٧	كلام للحكيم الرباني فيض الكاشاني
٢٣٧	النظر إلى الوجود من بُعد واحد
٢٣٨	الحقائق التي لا تنطبق مع منطق العلم الحديث
٢٣٨	الموت وإنفصال الروح عن الجسم

٢٣٩	الضغوط المادية المحسوسة
٢٣٩	الضغط المعنوي اللامحسوس
٢٤٠	ما هو المقصود بضغط القبر

المحاضرة الثامنة

عالم البرزخ وبطلان نظرية التناسخ

٢٤١	البرزخ أو عالم بعد الموت
٢٤٢	الثواب والعقاب في عالم البرزخ
٢٤٢	أجر الشهداء
٢٤٢	أرواح المؤمنين وجنة البرزخ
٢٤٢	عذاب فرعون وأتباعه يوم القيامة
٢٤٣	العذاب قبل يوم القيامة
٢٤٣	العلماء وبطلان نظرية التناسخ
٢٤٤	تناسخ الأرواح وعودتها إلى الدنيا
٢٤٤	المتكاملون السعداء
٢٤٥	نيل الكمال المطلق
٢٤٥	الساقطون الأشقياء
٢٤٦	السقوط والشقاء التام
٢٤٦	المدنّبون الأشقياء الذين يعانون من النقائص
٢٤٦	فئات الوسط والعودة إلى الدنيا
٢٤٧	التناسخ الإستكمالي
٢٤٨	التناسخ من وجهة نظر الإسلام
٢٤٨	تصور باطل ومستحيل
٢٤٩	تغير الشكل أو الهيئة وفقاً لصفات الخلقية للفرد
٢٥٠	الأشخاص ذوي الطباع الشرسة
٢٥١	إعتقاد مخالف لتعاليم الأنبياء

٢٥١	الكفر بالله وإنكار القيامة
٢٥٢	الإنحراف عن طريق الدين القويم
٢٥٢	القيامة من وجهة نظر أصحاب التناسخ
٢٥٢	نظريتين حول خلق الروح
٢٥٣	خلق الروح قبل الجسم
٢٥٤	روح الإنسان أو المخلوق الآخر
٢٥٤	سؤال الزنديق ورد الإمام الصادق (ع)
٢٥٥	الإسترشاد بكلام الإمام (ع)
٢٥٥	كلام للفيلسوف صدر المتألهين
٢٥٥	كلام في بطلان نظرية التناسخ
٢٥٦	الروح والحوادث التي تمر في حياة الشخص
٢٥٧	بطلان نظرية التناسخ من وجهة نظر الدين والعلم
٢٥٧	المؤمن والنعم الإلهية في عالم البرزخ
٢٥٨	صديق الإنسان في حياته ومماته
٢٥٨	ما يرافق الميت في القبر
٢٥٩	أول ما يسجل في قائمة أعمال الإنسان
٢٦٠	نهاية دار التكليف (الدنيا)
٢٦٠	الفرق بين عالم البرزخ وعالم الآخرة
٢٦١	البرزخ وزيادة النعيم أو العذاب
٢٦٢	الذين يسنون سنة سيئة
٢٦٣	من يسن سنة ضلالة
٢٦٤	المتوفى والثواب المستمر
٢٦٤	التصدق عن الموتى
٢٦٤	الوالدين والولد الصالح
٢٦٥	السيد المسيح والوحي الإلهي
٢٦٥	النفع الذي يعود على المتوفى في عالم البرزخ

المحاضرة التاسعة

الغيب المطلق والغيب النسبي - الارتباط مع الأرواح

٢٦٧ الأساس الذي تقوم عليه الأديان السماوية
٢٦٨ الحقائق غير الملموسة
٢٦٨ الغيب المطلق في الدين
٢٦٩ قصور العقل البشري
٢٦٩ الغيب النسبي من وجهة نظر الدين
٢٦٩ ما يرجوه المؤمن في عالم البرزخ
٢٧٠ الجشعون في عالم البرزخ
٢٧٠ غيب القيامة بالنسبة لأهل البرزخ
٢٧١ نداء أهل الجنة إلى أهل النار
٢٧١ الناس يجهلون مستقبلهم
٢٧٢ النشاط والفرح نتيجة عدم العلم بالمستقبل
٢٧٢ تمنى علم الغيب
٢٧٣ توقع في غير محله
٢٧٣ علم الغيب يختص بالله وحده
٢٧٣ الإطلاع على الغيب بإذن الله
٢٧٤ الرؤيا الصادقة والإطلاع على الغيب
٢٧٤ شح المياه في مكة وحفر بئر زمزم
٢٧٥ حفر البئر وتدفق الماء منه
٢٧٥ قبيلة جرهم تغلق بئر زمزم
٢٧٦ التعرف على المكان المجهول
٢٧٦ شجرة النور في رؤيا عبد المطلب
٢٧٧ البشارة بولادة النبي (ص)
٢٧٧ رؤيا واحدة وعدة أنباء عن الغيب
٢٧٨ الرؤيا الصادقة تعني الإلهام الرباني

٢٧٨	كلام من الله في عالم الرؤيا
٢٧٨	رغبة البشر في معرفة الأمور الغيبية
٢٧٩	الذين يدعون معرفة الغيب والمستقبل
٢٨٠	سؤال من الإمام الصادق (ع)
٢٨٠	تصديق المنجم يعني تكذيب القرآن الكريم
٢٨١	تجنب التنجيم من أجل الإطلاع على الغيب
٢٨٢	الموت ومشاهدة عالم البرزخ
٢٨٢	علي (ع) في وادي السلام
٢٨٣	ما قاله النبي (ص) لسلمان الفارسي
٢٨٣	سلمان في المقبرة
٢٨٤	الروح يكلم سلمان الفارسي
٢٨٤	ما قاله سلمان في اللحظات الأخيرة من حياته
٢٨٤	شائعة تحضير الأرواح
٢٨٥	جمعية الاتصال بالأرواح
٢٨٦	إحضار روح الشاعر سعدي
٢٨٧	سعدي ونظم الشعر بالعربية
٢٨٨	روح سعدي تتذمر
٢٨٨	التنبؤ بالمستقبل والتحدث عن الغيب
٢٨٩	الرؤيا الصادقة
٢٨٩	المذهب المادي والمبادئ الأربعة
٢٩٠	رؤيا واقعية ونموذجية
٢٩١	الحديث بين الأب والابن
٢٩٢	قصور منطق الماديين
٢٩٣	الاتصال بالأرواح في عالم الرؤيا
٢٩٣	الرؤيا التي فسرّها الإمام الصادق (ع)
٢٩٤	عالم البرزخ والغيب النسبي
٢٩٤	صفات الإنسان العاقل

٢٩٥	القرآن ينصح الإنسان
٢٩٥	الأنبياء والأئمة (ع) وتوجيهاتهم الأبوية
٢٩٥	حديث للرسول الأكرم (ص)
٢٩٦	كلام للإمام علي (ع)

المحاضرة العاشرة

عالم الوجود ليس أزلياً ولا أبدياً

٢٩٧	نهاية الدنيا قبل يوم القيامة
٢٩٨	زوال العالم وفنائه هو تطور أساسي وجذري
٣٠٠	بداية ونهاية المخلوقات
٣٠٠	الخالق الذي لا أول قبله ولا نهاية له
٣٠٠	نظرية باطلة حول الكون
٣٠١	كلام الأنبياء والعلم الحديث
٣٠٢	ماذا نعني بالأزلي والأبدي
٣٠٤	النظريات المختلفة حول نشوء الأجسام
٣٠٤	نظرية الدهريين
٣٠٥	قدم الصانع والمصنوع
٣٠٥	العلماء المعاصرون وما جاء به الأنبياء
٣٠٦	الأنبياء ونشوء المادة
٣٠٦	المادة ليست أزلية
٣٠٧	المادة ظاهرة مخلوقة
٣٠٧	نظرية قدم الحركات السماوية
٣٠٩	خلق الإنسان من وحل متعفن
٣٠٩	خلق النطفة والإنسان
٣١٠	المواد المنصهرة في أعماق الأرض
٣١٠	حرارة الأرض في بداية نشوئها
٣١١	البحار مغلقة في الهواء

٣١١	الكون ظاهرة مؤقتة
٣١٣	ما هو مصدر الطاقة الشمسية
٣١٤	الطاقة ما دون الذرية
٣١٤	استهلاك الهيدروجين وإنتاج الهيليوم
٣١٥	النجوم والكواكب تهرم وتشخ أيضاً
٣١٦	زيادة أشعة الشمس وحرارتها
٣١٧	غليان مياه البحار
٣١٨	الإشارة إلى مختلف النظريات للتقريب إلى الأذهان
٣١٩	القرآن الكريم لم يشر إلى كيفية فناء الشمس وموتها
٣١٩	زوال العالم وإنقراضه بصورة مفاجئة
٣٢٠	نظرية حول الأجسام والكواكب الفلكية
٣٢١	الشمس ونظرية لابلاس
٣٢٣	نظرية عالم الفلك الإنجليزي «جيتز»
٣٢٤	كلام لبيير روسو
٣٢٥	معرفة الخالق بخلقه
٣٢٥	جهل البشر لكيفية خلق الكون
٣٢٥	عدم الإطلاع على خلق الإنسان والحيوان
٣٢٦	لم يكن للإنسان ولا لإبليس علم بخلق العالم
٣٢٦	مستقبل الأرض وجهل البشر
٣٢٧	نتيجة بحثنا السابق
٣٢٧	موت الشمس وفنائها بصورة فجائية
٣٢٩	كلام للإمام الصادق (ع)

فسألکم الدعاء

علي صراط الحق